

فقه الصيام

كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى
الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ





د. رشيد الجراح

Certificate of Registration
CopyrightFrance

Copyright Registration Number: 9H2F1R2

CopyrightFrance.com, Website registered under number 2104 by the State Prosecutor of the High Court of Evreux (FRANCE) certifies having delivered the certificate of the original following registration

Name of the registrant: Rasheed Saleem Al-Jarrah

Title or URL of the registered document: https://www.dr-rasheed.com/

Description: Dr. Rasheed's blog documents his lifelong reflections on the Quran, offering linguistic and analytical insights without adhering to any specific sect. The goal is to officially archive and legally protect his writing, ideas and stories presented in the blog.

Date / time of the registration: 15-02-2025 à 20:46

The submitted document has been time stamped by a RGS qualified Certification Authority and ETSI TS 102 023 certified.

Paris (date) 15-02-2025 - The publication manager G.E.E. :

Reminder : (code of the intellectual property, extracts) :

✔ **Point L.335-2.** All publishing of written documents, musical composition, drawing painting or any other totally or partly printed, engraved production regardless of the laws and regulations concerning author's property is a forgery and any forgery is an offence. In France, forgery of published work in France or abroad is punished by 3 years in prison and a 300.000 euros fine. Will be punished the same way selling export and import of counterfeit work.

✔ **Point L.335-3.** Is also considered a forgery offence all reproduction , representation or circulation by any mean, of piece of spiritual work by violating the author's rights, as they are set and regulated by law. Is also considered as a forgery offence the violation one of the owner of the software's rights.



3c14c5091f191db578780f4e846d7a176d3cb058592f3b129f067ba1aa063728

كلمة فريق عمل مدوّنة روح

الحمد لله الذي علّم الإنسان بالقلم، وخصّه بنعمة البيان، وجعل تدبّر كتابه العزيز سبيلًا للهداية.
أمّا بعد،

يمرّ الفكر الديني المعاصر بمنعطفٍ تاريخي يفرض إعادة تأسيس العلاقة مع النصّ المؤسِّس؛ فكثير من المفاهيم والمناهج قد ترسّخت عبر القرون حتى غدت في الوعي العام بمنزلة المسلّمات المطلقة. في خضمّ هذه الحاجة الملحة للمراجعة والتجديد، يأتي مشروع الأستاذ الدكتور رشيد سليم الجرّاح ليقدّم قراءةً مغايرة للقرآن الكريم، قراءةً لا تكتفي بحدود التفسير الموروث بل تتجاوزه نحو فهمٍ جديد يتأسّس على منهجٍ علميٍّ دقيق، يلامس روح النصّ بعمق ويقترب من منطق العقل والفطرة السليمة.

لعلّ في الاسم الذي يحمله الدكتور رشيد سليم الجرّاح إشارةً بالغة الدلالة؛ فهو بحقٍّ يُجري عمليةً جراحية للكلمة القرآنية. إنه يتعامل مع مفردات الوحي برُشدٍ متناهٍ، كأنّه يضعها تحت مجهر الفكر واللغة، فيُريك نسيجها العضوي، ويكشف عن أعصابها الصرفية وعروقها الدلالية، لتتجلّى بذلك أبعادها النفسية والمادية العميقة. هكذا تتحوّل الكلمة في مشروعه من مجرّد رمزٍ صوتي إلى كيانٍ حيٍّ نابضٍ بالمعنى، يحمل إمكانات التأويل التي تنتظر التحرير.

لقد كانت أبحاث الدكتور الجرّاح ومقالاته بمثابة أطروحات نوعية تميّزت بالعمق والجرأة الفكرية، فمثّلت دعوةً صريحةً لإعادة بناء علاقتنا التلقّائية بالوحي، لا على قاعدة التلقّي الجامد، بل على أساس الفهم المتدبّر والتحليل العلمي المحكم. وهي دعوةٌ ضرورية تُعيد إلى النصّ حيويته الجوهرية، وإلى الفكر الديني توازنه المنشود، وتُحيي مسؤولية الباحث في إعمال العقل وكسر حاجز السؤال الموقوف.

وانطلاقًا من قناعتنا الراسخة بأهمية هذا المشروع الريادي، وبضرورة حفظه وتوثيقه ليكون مرجعًا للباحثين والمهتمين، تضافرت جهود فريق المدوّنة. لقد قمنا بجمع هذه المقالات والدراسات المنشورة، ومن ثم تنظيمها وتصنيفها وتحريرها بعناية فائقة، لتصدر الآن في هذا العمل المتكامل الذي نضعه بكل تقدير بين يدي القارئ الكريم.

نحن نؤمن يقينًا بأنّ هذه الكتابات تمثّل إسهامًا محوريًا في مسار الفكر القرآني المعاصر، وأنها تفتح آفاقًا رحبة للتأمّل والمراجعة والتجديد، بما يليق بكتابٍ أنزله الله للعقل قبل التقليد، وللحياة قبل التاريخ.

إنّ هذا العمل ليس سوى نقطة انطلاق في مسارٍ نأمل أن يكون مستدامًا؛ وفاءً لصاحب هذا المشروع العلمي الرائد، وإيمانًا بما قدّمه من اجتهادٍ صادق ورؤيةٍ علمية مغايرة تستحقّ كل التقدير والاحتفاء.

فريق عمل مدوّنة الدكتور رشيد الجراح:

 المهندس **عامر محمد العوض، مهندس نظم المعلومات من مايكروسوفت.**

 المهندس **زكرياء مصباح، مهندس مدني.**

 الأستاذ **مصطفى عيسى، مصمم ديكور ومستشار في العقارات.**

 الأستاذ **محمد عادل الخولي، مستشار في العقارات.**

 الدكتور **يوسف فرمي، مهندس البحث والتطوير في الإلكترونيات الدقيقة والبصريات.**

للإتصال بالفريق : roohblog2025@gmail.com

الفهرس:



فقه الصيام

الجزء الأول



فقه الصيام – الجزء الأول

سنحاول في هذه السلسة من المقالات (إن أذن الله لنا بشيء من علمه) تقديم رؤية (نظن أنها جديدة) تخص مشروعية الصيام، طارحين كل التساؤلات التي يمكن أن يكون لها علاقة بهذه العبادة العظيمة، لذا سنبدأ النقاش بطرح جملة أولية من التساؤلات، نذكر منها:

- ⇐ ما هو الصيام؟
- ⇐ لماذا الصيام؟
- ⇐ متى الصيام؟
- ⇐ كم الصيام؟
- ⇐ على من يجب الصيام؟
- ⇐ ما هي أحكام الصيام؟
- ⇐ ما هي الشعائر الأخرى التي ترتبط بالصيام؟
- ⇐ الخ

وقبل الدخول في تفصيلات هذه التساؤلات في محاولات أولية لتقديم إجابات مفتراة من عند أنفسنا عليها، نجد لزاما أن نعيد التأكيد (كالعادة) أن كل افتراء نتجرأ على تقديمه لا يمكن أن يتجاوز (بأي حال من الأحوال) أن يكون رأيا بشريا قابلا للصواب والخطأ، فلا يظنن أحد أن هذا هو فقه الصيام كما شرعه الله في كتابه العزيز، بل هو فقط فهمنا (نحن) لما نظن أنه تشريع إلهي لفقه الصيام. فنحن نقدم رأيا علميا أكاديميا قابلا للتصحيح على الدوام، ولا نتجرأ على تقديم فتاوى للناس ليأخذوا بها دون تمحيص ولا تدقيق. فمن أراد أن يتخذ كلامنا هذا تشريعا دينيا، فهو وحده المسئول عن ذلك، ونحن على استعداد أن نتبرأ منه في الدنيا قبل أن يتبرأ منا في الآخرة. لذا، نكرر الطلب من القارئ الكريم أن ينظر إلى الرأي المقدم هنا بعين الناقد المتفحص وليس بأذن السامع المقلد، ونتوقع منه أن يحاول إيجاد الخلل حيثما وجد للوقوف عليه، وبالتالي إعادة النظر في المسألة في كل وقت وحين حتى يتبين لنا (بحول الله وتوفيقه) صراطه المستقيم الذي ندعو الله مخلصين له الدين أن يهدينا إياه. فالله وحده ندعوه أن يهدينا رشدنا، وأن يعلمنا الحق الذي نقوله، فلا نفتري عليه الكذب، إنه هو السميع البصير- آمين.

أما بعد،

الباب الأول: الصيام مطلوب من الذين آمنوا

قال تعالى:

- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٨٣ أَيَّامٗا مَّعۡدُودَٰتٖۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۚ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدۡيَةٞ طَعَامُ

مِسۡكِينٖۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيۡرٗا فَهُوَ خَيۡرٞ لَّهُۥۚ وَأَن تَصُومُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ١٨٤ شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ وَلِتُكۡمِلُواْ ٱلۡعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ١٨٥﴾ [البقرة: 183-185]

لو دققنا في هذه الآية الكريمة، لوجدنا على الفور بأن الصيام قد كُتب (بصريح اللفظ القرآني) على الذين آمنوا فقط (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ). ليكون السؤال الذي لا مفر منه الآن هو: كيف يمكن أن نفهم بأن الصيام قد كُتب فقط على " ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ"؟

افتراء خطير جدا جدا 1: ما دام أن الصيام قد كُتب فقط على ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ، فهو إذن فعل تعبدي إلزامي للذكور من الرجال.

افتراء خطير جدا جدا 2: الصيام لم يكتب على المؤمنات (الإناث) ولا على الأطفال الذين لم يبلغوا الحلم

الدليل

نحن نظن أن عبارة " ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ" (كما ترد في كتاب الله) لا تنطبق (كما نفهمها) إلا على الذكور من المؤمنين، ويأتي الدليل على ذلك – برأينا- من الآيات الكريمة الكثيرة التي تبرز الَّذِينَ آمَنُواْ فقط بأفعال محددة بذاتها، كما في الآية الكريمة التالية مثلا:

- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ كَرۡهٗاۖ وَلَا تَعۡضُلُوهُنَّ لِتَذۡهَبُواْ بِبَعۡضِ مَآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ إِلَّآ أَن يَأۡتِينَ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖۚ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ فَإِن كَرِهۡتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَيَجۡعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيۡرٗا كَثِيرٗا ١٩﴾ [النساء: 19]

ف " ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ" هم من ينهاهم الله أن يرثوا النساء كرها (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ كَرۡهٗاۖ). أليس كذلك؟ وهم المأمورون بأن لا يعضلوا النساء ليذهبوا ببعض ما آتوهن (وَلاَ تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُواْ بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ)، أليس كذلك؟

السؤال: ألا يجبرنا مثل هذا القول الفصل من العزيز الحكيم أن لا نخلط بين الألفاظ؟ ألا يجب علينا أن نقف عند دلالة الألفاظ كما بيّنها الله في كتابه الكريم لا كما تعلمناها في المدارس والجامعات والجوامع ومنابر الخطابة التقليدية؟

رأينا المفترى: إن دقة اللفظ القرآني تدعونا أن نفصل بين الذين آمنوا (من الذكور) من جهة والنساء من جهة أخرى.

نتيجة مفتراة (1): هناك في النص القرآني لفظ "الَّذِينَ آمَنُواْ"

نتيجة مفتراة (2): هناك لفظ النِّسَاء

نتيجة مفتراة (3): جاء النص القرآني ليتحدث عن الَّذِينَ آمَنُواْ من جهة و النِّسَاء من جهة أخرى في الآية نفسها:

- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ كَرۡهٗاۖ وَلَا تَعۡضُلُوهُنَّ لِتَذۡهَبُواْ بِبَعۡضِ مَآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ إِلَّآ أَن يَأۡتِينَ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖۚ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ فَإِن كَرِهۡتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَيَجۡعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيۡرٗا كَثِيرٗا ١٩﴾ [النساء: 19]

ولو تدبرنا الآية الكريمة الأخرى التالية، لوجدنا أن الذين آمنوا هم الذين ينكحوا المؤمنات:

- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَكَحۡتُمُ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ ثُمَّ طَلَّقۡتُمُوهُنَّ مِن قَبۡلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمۡ عَلَيۡهِنَّ مِنۡ عِدَّةٖ تَعۡتَدُّونَهَاۖ فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحٗا جَمِيلٗا ٤٩﴾ [الأحزاب: 49]
- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٖ فَٱمۡتَحِنُوهُنَّۖ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّۖ فَإِنۡ عَلِمۡتُمُوهُنَّ مُؤۡمِنَٰتٖ فَلَا تَرۡجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلۡكُفَّارِۖ لَا هُنَّ حِلّٞ لَّهُمۡ وَلَا هُمۡ يَحِلُّونَ لَهُنَّۖ وَءَاتُوهُم مَّآ أَنفَقُواْۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّۚ وَلَا تُمۡسِكُواْ بِعِصَمِ ٱلۡكَوَافِرِ وَسۡـَٔلُواْ مَآ أَنفَقۡتُمۡ وَلۡيَسۡـَٔلُواْ مَآ أَنفَقُواْۚ ذَٰلِكُمۡ حُكۡمُ ٱللَّهِ يَحۡكُمُ بَيۡنَكُمۡۖ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ١٠﴾ [الممتحنة: 10]

لذا، يستحيل (نحن نفتري القول) أن تكون المؤمنات من ضمن مجموعة الذين آمنوا مادام أن ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ هم من يقومون بفعل نكاح ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ.

ثانيا، لو أن المؤمنات مشمولات ضمن فئة الذين آمنوا (كما يرغب أن يظن أهل الفكر التقليدي)، لأصبح لزاما عليهن (أي على المؤمنات) السعي لذكر الله من يوم الجمعة كما جاء في الآية الكريمة التالية:

- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٩﴾ [الجمعة: 9]

السؤال: من أين جاء التشريع أن السعي لذكر الله من يوم الجمعة فعل إلزامي بالذكور من الرجال فقط بينما غير إلزامي بالنسبة للنساء والأطفال؟ لم لا نجد النساء على مر التاريخ الإسلامي يشاركن في السعي لذكر الله من يوم الجمعة على سبيل الإلزام كما الرجال؟ فهل يقبل سادتنا العلماء (أهل الدراية) أن ينطبق

اللفظ " يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ " على الذكور والإناث في هذه الآية الكريمة؟ لم تنطلق حناجرهم على الدوام أن هذا الفعل (السعي لذكر الله من يوم الجمعة) لا يشمل النساء في حين أنه إلزامي للذكور من الرجال؟

السؤال المربك: لم لا تنطلق حناجرهم بمثل ذلك في حالة الصيام بالرغم أن الخطاب موجه في الحالتين لنفس الفئة وهم الذين آمنوا بالصيغة اللفظية نفسها (أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا)؟

- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٨٣﴾ [البقرة: 183]
- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٩﴾ [الجمعة: 9]

أم تراهم يفرقون بين الذين آمنوا في آية الصيام عن الذين آمنوا في حالة السعي إلى ذكر الله من يوم الجمعة؟ من يدري؟!!!

رأينا المفترى: مادام أن المخاطب في الحالتين جاء بصيغة "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ"، فإن عقيدتنا التي نؤمن بها تقضي بأن لا نقبل أن يقع الصيام في باب الإلزام على النساء إلا في اليوم الذي يقع الإلزام عليهن كذلك في السعي لذكر الله من يوم الجمعة. فمتى طلب علماؤنا الأجلاء من النساء السعي لذكر الله من يوم الجمعة على سبيل الإلزام (وأعتقد جازما أنهم لن يفعلوا)، يكون الصيام عليهن إلزاميا كذلك. وبخلاف ذلك، تكون تلك عقيدة مشوهة اخترعوها من عند أنفسهم، ما أنزل الله بها من سلطان. انتهى.

نتيجة مفتراة خطيرة جدا: هناك فصل واضح في كتاب الله بين الذين آمنوا (من الذكور) والمؤمنات (من الإناث)، لتكون النتيجة التي نريد أن نعود إليها (وربما لا يرغب أهل الدين أن تقع على مسامعهم) هي أن الصيام قد كتب فقط على الذين آمنوا:

- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٨٣ أَيَّامٗا مَّعۡدُودَٰتٖۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۚ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدۡيَةٞ طَعَامُ مِسۡكِينٖۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيۡرٗا فَهُوَ خَيۡرٞ لَّهُۥۚ وَأَن تَصُومُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ١٨٤ شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ وَلِتُكۡمِلُواْ ٱلۡعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ١٨٥﴾ [البقرة: 183-185]

السؤال: هل مطلوب من النساء الصيام على سبيل الإلزام؟

جواب مفترى: كلا، فالصيام بالنسبة للنساء ليس مفروض عليهن فرضا، وإنما هو بالنسبة لهن فعل تطوعي (إن أردن ذلك). فمن شاءت أن تصوم منهن، فلها ذلك، ومن شاءت أن لا تصوم، فلها ذلك، ولا يترتب على عدم صيامها عقوبة، ولكن يترتب على صيامها أجرا عظيما من عند الله:

- ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾﴾ [الأحزاب: 35]

ثالثا، لو دققنا في السياق القرآني نفسه، لوجدنا أن الخطاب جاء بصيغة التذكير بدليل الضمائر المستخدمة (مِنكُم، لَّهُۥ، لَّكُمْ) حتى في حالة تعذر الصيام لسبب كالمرض أو السفر:

- ﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ ۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۚ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ ۚ وَأَن تَصُومُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٤﴾﴾ [البقرة: 184]

ولا نجد أن ضمائر التأنيث (مِنكُنَّ، لَهُنَّ) قد استخدمت في حالة الصيام إطلاقا، بالرغم من ورودها في آيات أخرى في كتاب الله:

- ﴿وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾﴾ [الأحزاب: 29]
- ﴿وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ ۚ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِىٓ أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِى ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوٓا۟ إِصْلَٰحًا ۚ وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٨﴾﴾ [البقرة: 228]

لذا، نحن نتجرأ أيضا على الظن بأن القضاء في حالة تعذر الصيام بسبب المرض أو السفر لا يقع إلا على الرجل المكلّف بالصيام. فالمرأة التي لا تصوم بسبب الدورة الشهرية أو الحمل والوضع مثلا ليس مطلوب منها (نحن نفتري القول) القضاء مادام أن الصيام في الأصل بالنسبة لها يقع في باب التطوع الاختياري وليس التطوع الإلزامي.

رابعا، نحن نفتري الظن من عند أنفسنا بأن الرجل الذي يطيق الصيام (أي يقدر عليه) يمكن له هو أيضا أن لا يقوم بفعل الصيام، ويستبدل ذلك بالفدية (طَعَامُ مِسْكِينٍ):

- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ ۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۚ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ ۚ وَأَن تَصُومُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٤﴾﴾ [البقرة: 183-184]

ولكن التطوع في الصيام هو خير حتى للذين يطيقونه (وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدۡيَةٞ طَعَامُ مِسۡكِينٖۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيۡرٗا فَهُوَ خَيۡرٞ لَّهُۥۚ وَأَن تَصُومُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ).

نتيجة مفتراة من عند أنفسنا (1): الصيام فعل تطوعي مفروض على الرجل، لكن يمكن له (إن كان يطيق الصيام) أن يقدم بدل ذلك الفدية وإن كان الصيام هو خير له.

نتيجة مفتراة من عند أنفسنا (2): أما بالنسبة للمرأة فالصيام فعل اختياري يمكن أن تقوم به من أجل الثواب إن هي أرادت، ولكن يمكن لها أن لا تقوم به، وليس مطلوب منها الفدية أو القضاء إن لم تقم بفعل الصيام مادام أن الأمر برمته بالنسبة لها ليس أكثر من فعل اختياري.

الباب الثاني: وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ

السؤال: ما معنى أن الإنسان يطيق الصيام في قوله تعالى (وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدۡيَةٞ طَعَامُ مِسۡكِينٖۖ)؟

- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٨٣ أَيَّامٗا مَّعۡدُودَٰتٖۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۚ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدۡيَةٞ طَعَامُ مِسۡكِينٖۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيۡرٗا فَهُوَ خَيۡرٞ لَّهُۥۚ وَأَن تَصُومُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ١٨٤﴾ [البقرة: 183-184]

رأينا المفترى: نحن نظن أن من يطيق "فعل ما" هو من يستطيع القيام به لكن بحصول المشقة في ذلك، بدليل قوله تعالى:

- ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلۡجُنُودِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ مُبۡتَلِيكُم بِنَهَرٖ فَمَن شَرِبَ مِنۡهُ فَلَيۡسَ مِنِّي وَمَن لَّمۡ يَطۡعَمۡهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّيٓ إِلَّا مَنِ ٱغۡتَرَفَ غُرۡفَةَۢ بِيَدِهِۦۚ فَشَرِبُواْ مِنۡهُ إِلَّا قَلِيلٗا مِّنۡهُمۡۚ فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ هُوَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ قَالُواْ لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلۡيَوۡمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦۚ قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٖ قَلِيلَةٍ غَلَبَتۡ فِئَةٗ كَثِيرَةَۢ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ٢٤٩﴾ [البقرة: 249]

فنحن نظن أن الطاقة تحتمل معنى الاستطاعة على الفعل مع وجود المشقة في ذلك، فلو كان لجنود طالوت طاقة بجالوت وجنوده، لما ترددوا في المواجهة، ولو كان لهم طاقة بهم، لهزموهم بجهدهم الذاتي. ولكن لما لم يكن لهم طاقة بجالوت وجنوده، عبروا عن ذلك صراحة (قَالُواْ لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلۡيَوۡمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦۚ)، فكانوا بحاجة لنجدة تساعدهم في الخروج من هذا المأزق (كَم مِّن فِئَةٖ قَلِيلَةٍ غَلَبَتۡ فِئَةٗ كَثِيرَةَۢ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ).

نتيجة مفتراة: فالطاقة تحتاج إلى الصبر للقيام بالفعل لأنها هي – برأينا- القدرة على العمل مع وجود المشقة في ذلك.

استراحة قصيرة: لماذا للبيت الذي نسكن فيه طاقة (نافذة صغيرة مرتفعة)؟

تخيلات مفتراة من عند أنفسنا: نحن نعتقد أن طاقة البيت هي عبارة عن منفذ ضيق وصعب لا يُلجأ إليه إلا في حالة تعذر الخروج من الباب الرئيسي. ولنتصور المشهد على النحو التالي: يكون في البيت فتحة واسعة معروفة للجميع يتم الدخول والخروج منها بسهولة في الحالات الطبيعية وتسمى الباب:

- ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ۗ وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَـٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ١٨٩﴾ [البقرة: 189]

لكن ربما يكون هناك منافذ جانبية لا تستخدم للدخول والخروج إلى البيت إلا ربما في حالة تعذر استخدام الباب، وهذه تسمى منافذ (كالشباك أو النافذة مثلا)، وقد تسمى أحيانا طاقة، وكلما ارتفعت هذه الفتحة عن الأرض أكثر وضاق اتساعها، كلما أصبحت تعرف أكثر باسم "طاقة" (على الأقل في اللهجة الأردنية)، ولكن لماذا؟

جواب مفترى من عند أنفسنا: لأنها منفذ صعب لا يلجأ إليه إلا عند تعذر استخدام المنافذ الأخرى كلها. فلو أنت أردت أن تخرج بنفسك أو أن تخرج شيئا من أغراض البيت، لاستخدمت الباب أولا ثم الشباك (النافذة) إن تعذر استخدام الباب. ولو تعذر استخدام الشباك (النافذة) أيضا، لوجدت أن الطاقة هي المنفذ الوحيد على صعوبته.

لذا نحن نتخيل أنه عندما يطيق الشخص منّا شيئا، فإنه يستطيع القيام به لكن ذلك يتطلب منه مشتقة كبيرة، وكذلك (نحن نفتري القول) هو "طياق" الصوم (وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ۖ). فمن وجد أنه يستطيع الصيام ولكن ذلك يسبب له المشقة، يكون إذا من الذين يطيقونه، وهنا (نحن لازلنا نفتري الظن) يجوز له الفدية (طعام المسكين)، ولا يطلب منه القضاء في أيام أخر.

السؤال: على من ينطبق هذا السيناريو؟ من الذي يمكن أن يكون من الذين يطيقون الصيام (أي يستطيعون الصيام لكن بمشقة كبيرة)؟

جواب: نحن نظن أن هذا ينطبق على من كانت حرفته (فيها مشقة) دائمة يتعذر معها قضاء الصيام في أيام أخر؟

السؤال: هل لك أن تعطي مثالا على ذلك؟

جواب مفترى من عند أنفسنا: دعنا نتخيل أصحاب الحرف اليدوية الشاقة، كالبناء والخباز مثلا. فكيف يستطيع من كان يعمل في هذه الحرف الشاقة أن يصوم رمضان؟ وكيف له أن يقوم بالقضاء في أيام أخر مادام أن حرفته مستمرة طوال أيام العام؟ فمتى يستطيع أن يصوم ومتى يستطيع أن يقوم بالقضاء؟

جواب مفترى من عند أنفسنا: مادام الرجل المكلف بالصيام يعمل في حرفة كهذه، فإن الصيام يقع عنده في باب التطوع، فيجوز له (نحن نفتري الظن) أن يقدم الفدية (وهي طعام مسكين عن كل يوم يفطره من أيام الصيام)، ولكن إن كان في إجازة من ذلك العمل كيوم عطلته الأسبوعية مثلا، فيجب عليه الصيام في ذلك اليوم مادام أنه لم يعد من الذين يطيقون الصيام في ذلك اليوم.

نتيجة مفتراة من عند أنفسنا: نحن نفتري الظن من عند أنفسنا بأن الفدية (طعام مسكين) مرتبطة إذن بالطاقة على الصيام، فكلما وجد الشخص نفسه في طاقة أن يصوم، أصبحت الفدية ممكنة (وإن كان التطوع بالصيام هو خير له)، ومتى ذهبت هذه الطاقة، أصبح الصيام واجبا مفروضا عليه.

نتائج مفتراة من عند أنفسنا حتى الآن
الصيام فرض واجب على الرجال من الذين آمنوا، ويجب القضاء إن تعذر عليهم الصيام بسبب المرض أو السفر
الصيام تطوعي على الذين يطيقونه من الرجال، فتجوز هنا الفدية ولا يجب القضاء، ولكن الصيام خير له
لم يكن الصيام إلا فعلا اختياريا على النساء، ولا يجب القضاء في حالة تعذر الصيام بسبب العذر الشرعي كالدورة الشهرية أو كالحمل والوضع.

الخ.

الباب الثالث: شهادة الشهر

لما كان شهر رمضان هو أيام معدودات، يمكن للإنسان (الرجال من الذين آمنوا) أن يشهد الشهر كله، ويمكن أن لا يشهده كله، ليكون السؤال الآن هو: كيف يتحدث القرآن عن وجوب الصيام على من شهد الشهر (فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُۖ)؟ ألا يمكن مثلا أن يكون الإنسان في حالة غيبوبة في بداية شهر رمضان ثم يستفيق من غيبوبته في منتصف الشهر أو في آخره، فيشهد من الشهر بعضه وليس كله؟ ثم ألا يمكن أن يكون واع تماما في بداية الشهر ثم يذهب في غيبوبة في منتصفه أو في آخره أو في بعض منه؟ فلماذا جاء النص القرآني على نحو (فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ)؟

- ﴿شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ وَلِتُكۡمِلُواْ ٱلۡعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ١٨٥﴾ [البقرة: 185]

السؤال: فهل يصبح بذلك الصيام مفروضا على من شهد الشهر كله؟ وبكلمات أخرى نحن نسأل: هل يجب عليّ أن أشهد الشهر كله حتى أكون ملزما بصيامه؟ وما المطلوب من الذي شهد بعض الشهر وليس كل الشهر؟

رأينا المفترى: نحن نجد لزاما ضرورة الوقوف عند معنى مفردة الشهر؟ لنطرح السؤال على النحو التالي: كيف يمكن لي أن أشهد الشهر؟

رأينا المفترى من عند أنفسنا: نظن أننا قد تعرضنا في مقالات سابقة كثيرة لنا عن معنى مفردة الشهر، وحاولنا التمييز بين مفردة الشهر التي تدل على الشهر الشمسي (أي اليوم والليلة معا) ومفردة الشهر التي تدل على الشهر القمري (دورة القمر كاملة). وزعمنا الظن بأن العربية تميز بين مفردتين للشهر على النحو التالي:

- ⇐ شهر وتجمع على أشهر، وهذه هي دورة الشهر الشمسي، أي غياب الشمس وظهورها بالكلية، وهذا يحدث كل 24 ساعة مرة واحدة، وينتج عنه اليوم والليلة، فنسمي اليوم والليلة معا (أي الدورة الشمسية كاملة) شهرا.
- ⇐ شهر وتجمع على شهور، وهذه هي دورة الشهر القمري، أي غياب القمر وظهوره بالكلية، وهذا يحدث كل 29- 30 يوما مرة واحدة، وينتج عنه أشهر العام الاثنا عشر.

(للتفصيل انظر سلسلة مقالاتنا تحت عنوان: ما دلهم على موته إلا دابة الأرض تأكل منسأته: باب الشهر)

السؤال: ما علاقة هذا كله بقوله تعالى (فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ) في الآية الكريمة التالية؟

- ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾﴾ [البقرة: 185]

جواب مفترى خطير جدا جدا: نحن نفتري القول أن هذا ينطبق على الشهر الشمسي (أي اليوم والليلة)، فأنت مطلوب منك (كواحد من الذين آمنوا) الذي يقع عليهم تكليف الصيام أن تصوم كل شهر شمسي أنت تشهده فقط. ولا يطلب منك أن تصوم الشهر الشمسي الذي لم تشهده.

السؤال: كيف ذلك؟

رأينا المفترى: نحن نظن أن هذا يتطلب منا معرفة كيفية أن نشهد الشهر، فمتى يمكن أن يعتبر الإنسان قد شهد شهرا من رمضان؟ ومتى يعتبر غير شاهد لشهر من رمضان؟

جواب مفترى من عند أنفسنا: نحن نظن أن شهر رمضان يبدأ من بعد صلاة المغرب مباشرة:

- ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ ۚ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ۗ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ ۖ فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ ۚ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ۖ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ ۚ وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ ۗ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٨٧﴾﴾ [البقرة: 187]

فلو تدبرنا هذه الآية الكريمة، لوجدناها أنها قد ابتدأت بالحديث عن ليلة الصيام التي أحل الله لنا فيها الرفث إلى نسائنا (أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ ۚ)، ويشرع لنا فيها أن نأكل ونشرب حتى يتبين لنا الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر (وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ۖ)، ثم انتقلت لتبيان أن الصيام يبدأ من هناك، فنتوقف عن الأكل والشرب وعن مباشرة النساء، حتى نتم الصيام إلى الليل. فيكون بذلك قد تم شهر واحد من أشهر رمضان، أي شهر شمسي واحد (ليلة ويوم معا). وهكذا يتكرر الشهر الشمسي الثاني والثالث والرابع، الخ. حتى ينتهي شهر رمضان القمري كله.

السؤال: متى إذن تشهد شهر رمضان (فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ)؟

جواب مفترى: إن شهادة شهر رمضان الشمسي تبدأ من الليل، وهناك تبدأ ليلة الصيام التي يجوز لنا فيها أن نرفث إلى النساء وأن نأكل ونشرب في تلك الليلة على نية الصيام (أي الامتناع عن ما كنا نفعل في ليلة الصيام) عندما يتبين لنا الخيط الأبيض والأسود من الفجر حتى نتم الصيام إلى الليل، وفي هذه الحالة يكون المؤمن المكلف بالصيام قد شهد شهرا واحدا من رمضان، فوجب عليه أن يصومه، ويتكرر السيناريو نفسه في كل شهر شمسي (ليلة ويوم معا) طوال شهر رمضان القمري كله.

نتيجة مفتراة: شهر الصيام يبدأ من ليلة الصيام (أي بعد آذان المغرب) ويستمر إلى الليل (آذان المغرب) من الشهر الثاني. وليس أدل على ذلك من مراقبة هلال شهر رمضان وما يسمى بصلاة التراويح، فما أن يظهر هلال شهر رمضان من ليلة الصيام من الشهر الأول للصيام حتى يكون ذلك هو شهادة الشخص على الشهر الأول، وهكذا في الشهر الثاني والثالث إلى نهاية آخر شهر (شمسي) من شهر رمضان (القمري). ويقوم المسلمون بصلاة التراويح في أول ليلة من رمضان ويتوقفون عن ذلك في آخر ليلة بعد رمضان (التي ستكون صبيحتها هو يوم العيد).

السؤال: لماذا؟

جواب: دعنا نتصور السيناريو التالي: تخيل لو أنك كنت في غيبوبة خلال شهر شمسي واحد من رمضان، ثم استيقظت من هذه الغيبوبة في نهار رمضان، فهل يعتبر ذلك شهر من أشهر رمضان التي وجب

عليك صيامه؟ وماذا لو أنك بدأت تصوم من الساعة الثانية عشر ظهرا عندما استفقت من غيبوبتك، فهل يعتبر ذلك شهر من أشهر رمضان التي شهدتها؟

جواب مفترى، كلا وألف كلا، فحتى يحسب لك أنك قد صمت شهرا من أشهر رمضان الشمسية، وجب عليك (نحن نفتري الظن) أن تشهد ليلة الصيام السابقة لبيان الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر، وتكون قد عقدت النيّة على صيام ذلك الشهر متى ما تبين لك الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر. ولعلي أكاد أجزم الظن أن توافر النية المسبقة في الصيام التي اختلف فيها أهل العلم قد جاءت من هذا الباب، أي أن تكون قد شهدت شهر الصيام (من ليلة الصيام) وليس أن تشهد فقط يوم الصيام أو ليلة الصيام فقط، فالصيام يحسب للمسلم بالشهر (اليوم والليلة معا). وشهر الصيام يبدأ (كما بدأت الآية الكريمة السابقة) بليلة الصيام ثم يمتد إلى يوم الصيام حتى الليل، حيث يبدأ الشهر الثاني وهكذا بالنسبة للشهر الثالث والرابع والخامس حتى الشهر التاسع والعشرين أو الثلاثين منه. وما أن تتم تلك الأشهر كلها حتى يكون شهر الصيام القمري كله قد تم.

الباب الرابع: تحديد وقت الإمساك والإفطار في شهر رمضان

لو تتبعنا السياقات القرآنية التي تتحدث عن الصيام، لوجدنا الآية الكريمة التالية تحدد لنا الفترة الزمنية التي يجب علينا أن نصوم فيها، قال تعالى:

- ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ ۚ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ۗ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ ۖ فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ ۚ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ۖ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ ۚ وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ ۗ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٨٧﴾﴾ [البقرة: 187]

لنخرج بنتيجة قلما يستطيع أحد أن يجادل فيها تتمثل في أن الصيام يبدأ مع تبيان الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر وينتهي مع بداية الليل:

- ﴿... وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ۖ...﴿١٨٧﴾﴾ [البقرة: 187]

لكن بالرغم من وضوح مفردات الآية الكريمة التي تدل على بداية الصيام (حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ۖ) ونهايته (ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ ۚ)، إلا أنّ أهل العلم قد اختلفوا في تحديد هذه الأوقات على أرض الواقع. فوضوح اللفظ في الآيات الكريمة لم ينعكس على التطبيق العملي على أرض الواقع بسبب كثرة آراء أهل العلم حول تفسيرات هذه المفردات القرآنية ودلالتها الحقيقية على أرض الواقع.

ولكن بالرغم من الاختلافات الفقهية بين أهل العلم، ظلّ الناس يطبقون هذا التشريع الإلهي بفطرتهم السليمة، فيحرصون على الصيام بأفضل طريقة ممكنة. فأخذوا يتحرزون الدقة في الإمساك في الفجر وكذلك في الإفطار مع بداية الليل.

لكن ما يجب التنبيه له هو أن الناس لم تعهد الدقة في تحديد الوقت في كل الأزمان والعصور، فاختراع الساعة اليدوية لم يبدأ مع الرسالة الدينية، فكان الناس يلجئون إلى أساليب بدائية في تحديد وقت الفجر ووقت الغروب. ولا شك أن المناخ كان حاسما في كثير من الأحيان، فتحديد الوقت في نهار الصيف ولياليه أكثر سهولة من تحديده في الشتاء خاصة عندما تتكبد السماء بالغيوم متغيرة الألوان.

وقد تعرضنا لهذه الجزئية في واحدة من مقالاتنا السابقة وافترينا الظن بأن هناك طريقة طبيعية للتغلب على عوامل الطقس في تحديد وقت الفجر ووقت الغروب حتى في أشد أيام وليال الشتاء المعتم. وكان افتراؤنا حينئذ هو أن هناك في الطبيعة كائنات لا يمكن أن يفوتها وقت الفجر ووقت الغروب وذلك لأن هذا هو وقت تسبيحها، وأخص بالذكر هنا الطيور التي تطير بجناحيها.

- ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍۢ ۖ كُلٌّۭ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٤١﴾﴾ [النور: 41]

فالطير تبدأ يومها مع طلوع الفجر، فتصطف معا وتنطلق أصواتها بالتسبيح بحمد ربها، وإن كنا لا نفقه ذلك التسبيح:

- ﴿فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًۭا وَعِلْمًۭا ۚ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ ۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿٧٩﴾﴾ [الأنبياء: 79]
- ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًۭا ﴿٤٤﴾﴾ [الإسراء: 44]

وما أن تنهي اصطفافها الصباحي وتسبيحها حتى تنطلق في البلاد متفرقات تبحث عن رزقها.

نتيجة مفتراة: نحن نفتري الظن من عند أنفسنا بأن وقت الإمساك عن الطعام والشراب وشهوة الجنس في يوم رمضان تبدأ مع بيان الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر، وهو الوقت الذي تصطف فيه الطيور لتبدأ يومها بالتسبيح بحمد ربها.

عندما ينتهي اليوم ويبدأ ظلام الليل بالاقتراب تبدأ هذه الطيور رحلة العودة إلى مساكنها، فتتجمع وتصطف معا من جديد في تسبيحها الثاني بحمد ربها، فتنطلق أصواتها من جديد في التسبيح الجماعي الذي لا نفقهه، لتحمد ربها من جديد على ما رزقها في يومها هذا.

نتيجة مفتراة: نحن نفتري الظن من عند أنفسنا بأن وقت الإفطار في رمضان يبدأ مع بداية الليل، وهو الوقت الذي تعود فيه الطيور إلى مساكنها مع قدوم الليل

ولا شك عندنا أن هذه الكائنات الحية (أي الطيور التي تطير بجناحيها) مزودة بنظام توقيت لا يمكن أن تخدعه عوامل المناخ. فالطير يستطيع أن يحدد طلوع الفجر كما يستطيع أن يحدد بداية الليل بكل دقة ويسر، فلا مجال للخطأ في ذلك. ولو بحث أهل العلم عن هذه الساعة البيولوجية في الطيور، لوجدوها، ويمكن أن يستفيدوا منها أكثر من استفادتهم من الساعات الرقمية التي صنعها البشر في عصر التكنولوجيا الحديثة.

الباب الخامس: باب إتمام الصيام إلى الليل

قال تعالى:

- ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ ۚ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ۗ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ ۖ فَٱلْـَٔـٰنَ بَـٰشِرُوهُنَّ وَٱبْتَغُوا۟ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۚ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ۖ ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ ۚ وَلَا تُبَـٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَـٰكِفُونَ فِى ٱلْمَسَـٰجِدِ ۗ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَـٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٨٧﴾﴾ [البقرة: 187]

السؤال: ما معنى إتمام الصيام إلى الليل؟ هل يجوز الإفطار بمجرد سماع آذان المغرب؟ هل رفع الآذان لصلاة المغرب يقع في الليل؟ الخ

افتراء خطير جدا جدا (لا تصدقوه): نحن نظن (مخطئين) أنه يمكن للصائم أن يفطر في أي وقت شاء لكن هذا يجعله ممن لم يتم الصيام إلى الليل. انتهى.

السؤال: لم أفهم ما تريد قوله؟ هل يمكن توضيح ذلك أكثر؟ يطلب صاحبنا على عجل.

حسنا، لكن قبل الدخول في جلب الدليل على هذا الافتراء الخطير جدا (الذي هو لا شك من عند أنفسنا)، دعنا نحاول الوقوف على معنى مفردة أَتِمُّوا۟ التي نظن أنها مفتاح الفهم في هذا الموضوع. لذا، وجب الوقوف على معناها بشكل جلي قبل المضي قدما في نقاش نظن أن طريقه محاطة بالألغام الخطيرة التي يجب أن نكون على حذر للخروج منها سالمين بإذن الله.

أما بعد،

لقد حاولنا في الجزء السادس والثلاثين من سلسلة مقالاتنا تحت عنوان "قصة يونس" التفريق بين معنى الإتمام من جهة والإكمال من جهة أخرى كما جاء في الآية الكريمة التالية:

- ﴿... ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَـٰمَ دِينًا ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِى مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ ۙ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣﴾﴾ [المائدة: 3]

ولا أجد ضيرا في إعادة الخطوط العريضة للتفريق بين المفردتين من أجل الوقوف على معنى إتمام الصيام إلى الليل الذي هو موضوع النقاش هنا. ولنبدأ بالتساؤلات التالية:

⇐ ما معنى إكمال الدين (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ)؟
⇐ ما معنى إتمام النعمة (وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي)؟
⇐ لماذا جاء الدين بلفظ الإكمال؟
⇐ لماذا جاءت النعمة بلفظ الإتمام؟
⇐ الخ.

افتراء خطير جدا 1: نحن نظن أن إكمال الشيء يعني عدم النقص فيه أو الزيادة عليه.

افتراء خطير جدا 2: نحن نظن أن الإتمام يحتمل الزيادة والنقص.

الدليل

بداية، دعنا نجلب مثال العدة، لنطرح التساؤل التالي: هل المطلوب إتمام العدة أم إكمال العدة؟

جواب مفترى: لو دققنا في الآية الكريمة التالية التي تبين لنا العدة المطلوبة:

- ﴿شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ وَلِتُكۡمِلُواْ ٱلۡعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ١٨٥﴾ [البقرة: 185]

لوجدنا على الفور أن هناك عدّة مطلوب من الشخص إكمالها (وليس إتمامها)، وذلك لأن العدة (لا محالة) محددة بعدد ثابت، فلا يمكن أن تكون كاملة لو أنها أُنقصت يوما واحد.

وهذا المنطق ذاته ينطبق في حالة الصيام في الحج وبعد الرجوع منه. فمطلوب ممن تمتع بالحج إلى العمرة أن يصوم ثلاثة أيام في الحج وسبعة بعد الرجوع، فتكون بذلك عشرة كاملة:

- ﴿وَأَتِمُّواْ ٱلۡحَجَّ وَٱلۡعُمۡرَةَ لِلَّهِۚ فَإِنۡ أُحۡصِرۡتُمۡ فَمَا ٱسۡتَيۡسَرَ مِنَ ٱلۡهَدۡيِۖ وَلَا تَحۡلِقُواْ رُءُوسَكُمۡ حَتَّىٰ يَبۡلُغَ ٱلۡهَدۡيُ مَحِلَّهُۥۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوۡ بِهِۦٓ أَذٗى مِّن رَّأۡسِهِۦ فَفِدۡيَةٞ مِّن صِيَامٍ أَوۡ صَدَقَةٍ أَوۡ نُسُكٖۚ فَإِذَآ أَمِنتُمۡ فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلۡعُمۡرَةِ إِلَى ٱلۡحَجِّ فَمَا ٱسۡتَيۡسَرَ مِنَ ٱلۡهَدۡيِۚ فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٖ فِي ٱلۡحَجِّ وَسَبۡعَةٍ إِذَا رَجَعۡتُمۡۗ تِلۡكَ عَشَرَةٞ كَامِلَةٞۗ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمۡ يَكُنۡ أَهۡلُهُۥ حَاضِرِي ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ١٩٦﴾ [البقرة: 196]

فلا يمكن إذن أن تكتمل الفترة إلا بصيام عشرة كاملة (تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ)، فلو صام من تمتع بالعمرة إلى الحج تسعة أيام، لما أكتمل المطلوب، ولا يجوز أن يصوم أكثر من ذلك، لأن ذلك يصبح زيادة على

المطلوب، أي كمن يصلي خمس ركعات بدلا من أربعة، فهذا لا يجوز بأي حال من الأحوال، لأن المطلوب هو حالة الاكتمال.

ولا تكتمل الرضاعة إلا بالحولين الكاملين:

- ﴿۞ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَۚ وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِۚ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَاۚ لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةٌۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦۚ وَعَلَى ٱلْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَۗ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَاۗ وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّآ ءَاتَيْتُم بِٱلْمَعْرُوفِۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٣﴾﴾ [البقرة: 233]

والكافرون يحملون أوزارهم كاملة يوم القيامة، فلا ينقص منها شيء، ولا يزاد عليها مثقال ذرة، وإلا لأصبح ذلك ظلما للعباد:

- ﴿لِيَحْمِلُوٓا۟ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍۗ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [النحل: 25]

ونحن لا ننعت البدر بالاكتمال كأن نقول (اكتمل البدر) إلا عندما يصل إلى المرحلة التي لا يمكن أن يزاد فيها شيء. فيبقى القمر غير كامل حتى يصبح بدرا، فبعد ذلك يتعذر الزيادة فيه، بل يعود مرة أخرى إلى مرحلة التناقص بعد أن يكون قد اكتمل.

وإذا ما كنت جالسا في امتحان في قاعة الدرس، وقمت بتسليم ورقة الإجابة إلى المدرس، فأنت بذلك تكون قد أكملت الامتحان، لأنه من الاستحالة (في الوضع الطبيعي) أن تعاد إليك ورقة الامتحان لتضيف إليها شيئا جديدا. فتسليم ورقة الامتحان للمراقب على الامتحان يعني أنك وصلت إلى مرحلة لا يمكن الزيادة على ما كتبت.

نتيجة مهمة: الاكتمال يعني وصول المرحلة التي لا يمكن الزيادة عليها.

أما الإتمام - بالمقابل- فهو قابل للزيادة حتى وإن وصلت إلى مرحلة التمام.

الدليل

لا شك أننا جميعا نتمتع بنعمة الله علينا، فنعمة الله أصابتنا جميعا، لكننا نعلم يقينا أننا لا نستطيع أن نحصي نعمة الله:

- ﴿وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾﴾ [النحل: 18]

فمهما تحصلت لك من هذه النعمة (بغض النظر عن عددها)، فإن نعمة الله تكون قد تمت عليك، لكن ذلك لا يعني أن هذه النعمة لا تزاد. فقد تكون نعمة الله تامة عليك، فتصيبك نعمة أخرى، فيكون ذلك من فضل ربك عليك. وتبقى النعمة دائمة الزيادة فيها مادام أننا لا نستطيع أن نحصي نعمة الله، وبذلك تكون النعمة قابلة للإتمام على الدوام.

نتيجة مفتراة: الإتمام لا يعني الوصول إلى مرحلة نهائية مادامت قابلة للزيادة دائما.

(**ملحوظة**: للأمانة العليمة أود أن أؤكد بأن مثل هذا التفريق بين معنى الإكمال والإتمام قد سمعته من الأستاذ الكبير فاضل السامرائي الذي هو عندنا أستاذ كبير، ولغوي من الطراز الأول الذي يعتد كثيرا بكلامه)

وليس أدل على أن الإتمام قابل للزيادة من هذا الحوار الذي دار بين موسى وشعيب:

- ﴿قَالَ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنۡ أُنكِحَكَ إِحۡدَى ٱبۡنَتَيَّ هَٰتَيۡنِ عَلَىٰٓ أَن تَأۡجُرَنِي ثَمَٰنِيَ حِجَجٖۖ فَإِنۡ أَتۡمَمۡتَ عَشۡرٗا فَمِنۡ عِندِكَۖ وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أَشُقَّ عَلَيۡكَۚ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ٢٧﴾ [القصص: 27]

فالأجل المتفق عليه الذي لا يجوز لطرف منهما أن يخل به هو ثماني حجج، لكن كان بمقدور موسى (إن هو رغب في ذلك) أن يتمم ذلك الأجل، فيصبح عشر حجج بدلا من ثمانية. ولو كان الاتفاق المسبق بينهما على عشرة حجج فقد لا زيادة فيها ولا نقص، لكانت تلك عشر حجج كاملة.

السؤال: كيف يمكن الاستفادة من هذه الأفهام في قضية إتمام الصيام إلى الليل كما جاء في قوله تعالى (ثُمَّ أَتِمُّواْ الصِّيَامَ إِلَى الَّليْلِ):

- ﴿أُحِلَّ لَكُمۡ لَيۡلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمۡۚ هُنَّ لِبَاسٞ لَّكُمۡ وَأَنتُمۡ لِبَاسٞ لَّهُنَّۗ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمۡ كُنتُمۡ تَخۡتَانُونَ أَنفُسَكُمۡ فَتَابَ عَلَيۡكُمۡ وَعَفَا عَنكُمۡۖ فَٱلۡـَٰٔنَ بَٰشِرُوهُنَّ وَٱبۡتَغُواْ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمۡۚ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلۡخَيۡطُ ٱلۡأَبۡيَضُ مِنَ ٱلۡخَيۡطِ ٱلۡأَسۡوَدِ مِنَ ٱلۡفَجۡرِۖ ثُمَّ أَتِمُّواْ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيۡلِۚ وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمۡ عَٰكِفُونَ فِي ٱلۡمَسَٰجِدِۗ تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقۡرَبُوهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ ١٨٧﴾ [البقرة: 187]

السؤال بطريقة أخرى: لماذا قال الله تعالى (ثُمَّ أَتِمُّواْ الصِّيَامَ إِلَى الَّليْلِ)؟ لماذا لم يقل (ثم أكملوا الصيام إلى الليل)؟

جواب مفترى: لا شك عندنا أن الإفطار من الصيام يحصل في وقت محدد، وهو وقت قدوم الليل (أي عند صلاة المغرب)، لكن لمّا كان الله قد طلب منا إتمام الصيام إلى الليل، فإن هناك فسحة وافرة في الزيادة في وقت الصيام حتى تتحقق من قدوم الليل. فيمكن للإنسان أن يفطر مباشرة عند أذان المغرب (كما تفعل الغالبية الساحقة من أبناء المسلمين)، لكن هذا لا يقع في باب إتمام الصيام. فمن أفطر مباشرة

مع آذان المغرب، فهو قد صام إلا أنه لم يتم صيامه إلى الليل. فقد جاء الطلب الإلهي منّا أن نتم الصيام إلى الليل، فمن المستحب إذن (وربما من الواجب علينا) أن لا يفطر الصائم مباشرة عند أذان المغرب، بل عليه أن يحاول إتمام الصيام (أي الزيادة فيه قليلا) للتحقق من بلوغ الليل. فهذه الزيادة القليلة (وإن كانت دقائق معدودة) تقع في باب إتمام الصيام. ويستحيل – نحن نرى – أن يأتي النص على نحو (ثم أكملوا الصيام إلى الليل) لأن ذلك يصبح وقتا محددا لا يمكن الزيادة فيه، وهذا غير ممكن لأن الله قال عند الحديث عن الليل (عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ):

- ﴿۞ إِنَّ رَبَّكَ يَعۡلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدۡنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيۡلِ وَنِصۡفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٞ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَۚ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحۡصُوهُ فَتَابَ عَلَيۡكُمۡۖ فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرۡضَىٰ وَءَاخَرُونَ يَضۡرِبُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَبۡتَغُونَ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنۡهُۚ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقۡرِضُواْ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗاۚ وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنۡ خَيۡرٖ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيۡرٗا وَأَعۡظَمَ أَجۡرٗاۚ وَٱسۡتَغۡفِرُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمُۢ ٢٠﴾ [المزمل: 20]

فما دام أننا لن نستطيع أن نحصي الليل والنهار، فإننا لن نكون قادرين على تحديد اللحظة التي يكتمل فيها الليل أو النهار، لذا لا يمكن أن يطلب الله منا (نحن نفتري القول) أن نفطر باكتمال النهار وبدء الليل، لذا جاء الطلب الإلهي على نحو أن نتم الصيام إلى الليل.

رسالة إلى العامة من الناس: نحن نرى أن من واجب المسلم الذي يريد أن يلتزم بالطلب الإلهي (ثُمَّ أَتِمُّواْ الصِّيَامَ إِلَى الَّليْلِ) أن يتحرى قدوم الليل، فلا ضير أن ينتظر دقائق معدودة بعد أذان المغرب، ليفطر من صيامه، ويكون بذلك قد أتم الصيام إلى الليل. ولعل أفضل طريقة إلى ذلك تتمثل (نحن نرى) في أن يقوم المسلم بتأدية صلاة المغرب التي يقع وقتها في زلفا من الليل، ثم ما أن ينهي صلاته حتى يكون بذلك قد ضمن إلى حد كبير حلول الليل، فيظفر بالأجرين، أجر الصلاة على وقتها، وأجر إتمام الصيام إلى الليل. والله أعلم.

ولعلي أكاد أجزم الظن بأن مثل هذا المنطق المفترى من عند أنفسنا يحل إشكالات عديدة مثل صيام المرأة والطفل والمسافر والمريض ومن يسكن البلاد التي يطول فيها النهار عن الحد الطبيعي. وهو ما سنتعرض له لاحقا بإذن الله وتوفيق منه، فالله وحده أسأل أن يعلمني ما لم أكن أعلم وأن يزدني علما وأن يهديني لأقرب من هذا رشدا، إنه هو العليم الحكيم.

الباب السادس: الحكمة من الصيام

لو تدبرنا الآية الخاصة بإلزامية الصيام للمؤمنين:

- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٨٣﴾ [البقرة: 183]

لوجدنها تتحدث أن ذلك قد حصل على نحو أنه قد كُتِب على الَّذِينَ آمَنُواْ كتابة كما كتب على الذين من قبلنا، وأن الهدف من ذلك احتمالية حصول التقوى:

ولو أمعنا في هذه الآية الكريمة، لربما وجب علينا أن نطرح عدة تساؤلات، نذكر منها:

- ⇐ لماذا كتب الصيام على الذين آمنوا؟
- ⇐ لماذا كُتب علينا كما كُتب على الذين من قبلهم؟
- ⇐ ومن هم الذين قبلنا الذين كُتب عليهم الصيام؟
- ⇐ متى كان ذلك؟ أي متى حصلت الكتابة؟
- ⇐ من الذي كتبها على الذين آمنوا؟
- ⇐ كيف يمكن أن تتحقق التقوى من الصيام؟
- ⇐ الخ

المبحث الأول: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ

افترينا الظن في بداية هذه المقالة بأن الصيام إلزامي على البالغين المكلفين من الرجال، القادرين على الرفث إلى النساء:

- ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْۚ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّۗ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْۖ فَٱلْـَٰٔنَ بَٰشِرُوهُنَّ وَٱبْتَغُواْ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْۚ وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِۖ ثُمَّ أَتِمُّواْ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِۚ وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ فِي ٱلْمَسَٰجِدِۗ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ١٨٧﴾ [البقرة: 187]

فالصيام مكتوب على من بلغ مرحلة القدرة على الرفث إلى النساء، لذا فهو مكتوب فقط على البالغين المكلفين من الذكور. أما صيام المرأة والطفل، فهو يقع في باب الزيادة في الأجر، لأن الصيام لم يكتب على الأطفال ولا على النساء. انتهى.

لكن دعنا نذهب إلى أبعد من ذلك، فنجلب الآيات الكريمة التالية:

- ﴿وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ٥٤ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا ٥٥﴾ [مريم: 54-55]
- ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ١٣١ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَاۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًاۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَۗ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ١٣٢﴾ [طه: 131-132]

لماذا جاء الأمر للأهل بالصلاة (وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ) على وجه التحديد ثم بالزكاة (وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ)؟ فأين أمر الأهل بالصيام أو بالحج؟ هل نجد أحدا من الرسل كان يأمر أهله بالصيام؟ نحن نسأل.

جواب مفترى: على الأقل أنا لم أجد ذلك في كتاب الله، وعلى من يجده أن يهديني إليه وله مني الثناء والشكر، ومن الله الأجر بإذنه، إنه هو السميع المجيب.

السؤال: ما المطلوب من النساء إذا؟ يرد صاحبنا مستغربا.

وقد يرد صاحبنا مستغربا على النحو التالي: لا نجد آية في كتاب الله تحرم على النساء القتل أو شرب الخمر أو الإفساد في الأرض، فهل يعني (حسب منطقك) أن النساء يستطعن القيام بذلك دون مخالفة للشرع؟

رأينا المفترى: كلا وألف كلا. فالمطلوب من النساء المؤمنات هو ما جاء في الآية الكريمة التالية التي تبين ما بايعن النبي الكريم عليه:

- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾ [الممتحنة: 12]

إذن، كانت مبايعة المؤمنات للنبي على الشروط التالية:

⇐ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا
⇐ وَلَا يَسْرِقْنَ
⇐ وَلَا يَزْنِينَ
⇐ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ
⇐ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ
⇐ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ

وهنا يجدر الإشارة إلى أن كل الأعمال التي يطلب من المرأة أن لا تقوم بها لأنها تخالف الشرع (كالخمر والميسر والأنصاب والأزلام) تقع – برأينا- في باب الشرط الأخير في المبايعة، ألا وهو (وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ). فالخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان، مطلوب منا أن نجتنبه، ومطلوب كذلك من المرأة أن تجتنبه لأنها بخلاف ذلك تكون قد عصت بما هو معروف، الأمر الذي قد يخرجها من دائرة الإيمان كليا إن هي لم تلتزم بما هو معروف.

السؤال: وكيف ذلك؟ كيف نعلم أن امرأة ما هي من المؤمنات التي لا تعصي في معروف؟

جواب مفترى: علينا أن نمتحنهن لنعلم بإيمانهن؟

السؤال: وكيف نمتحنهن؟

جواب مفترى: كما جاء في الآية الكريمة التالية:

- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٖ فَٱمۡتَحِنُوهُنَّۖ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّۖ فَإِنۡ عَلِمۡتُمُوهُنَّ مُؤۡمِنَٰتٖ فَلَا تَرۡجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلۡكُفَّارِۖ لَا هُنَّ حِلّٞ لَّهُمۡ وَلَا هُمۡ يَحِلُّونَ لَهُنَّۖ وَءَاتُوهُم مَّآ أَنفَقُواْۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّۚ وَلَا تُمۡسِكُواْ بِعِصَمِ ٱلۡكَوَافِرِ وَسۡـَٔلُواْ مَآ أَنفَقۡتُمۡ وَلۡيَسۡـَٔلُواْ مَآ أَنفَقُواْۚ ذَٰلِكُمۡ حُكۡمُ ٱللَّهِ يَحۡكُمُ بَيۡنَكُمۡۖ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ١٠﴾ [الممتحنة: 10]

لو تدبرنا هذه الآية الكريمة جيدا، لوجدنا بأنها تبين لنا ضرورة (لا بل إلزامية) امتحان النساء لنعلم أنهن مؤمنات (فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ).

افتراء خطير جدا جدا 1: لابد من امتحان النساء لنعلم أنهن مؤمنات

تساؤلات مثيرة:

- ⇐ كيف يتم الامتحان؟
- ⇐ من الذي يكتب الأسئلة؟
- ⇐ ما هي مادة الامتحان المقررة؟
- ⇐ ما هي الموضوعات المطلوب من النساء الدراسة عليها؟
- ⇐ من الذي سيصحح الامتحان؟
- ⇐ متى وقت كتابة الامتحان ووقت تقدمه؟
- ⇐ ما طبيعة الامتحان: نظري أم عملي؟
- ⇐ متى تظهر النتائج؟
- ⇐ الخ.

إذن، نحن بحاجة أن نتوقف عند هذه الجزئية بعضا من الوقت لنعلم كيف لنا أن نمتحن المؤمنات من النساء. ولعلي أكاد أجزم الظن بأن في هذا الأمر خيرا كثيرا للطرفين: الرجل والمرأة. فامتحان المرأة يعطي صورة حقيقية للرجل، يستطيع بناء على ذلك، اتخاذ قرارات صائبة بإذن الله. ولا شك أن معرفة ماهية هذا الامتحان مقدما تعطي المرأة فرصة حقيقية أن تجتاز هذا الامتحان بكل يسر وسهولة إن هي أرادت ذلك، أي إن أرادت أن تكون حقا من المؤمنات.

السؤال: ما هي طبيعة هذا الامتحان الذي يعقد للنساء لمعرفة المؤمنات منهن حقا؟

رأينا المفترى: لا شك عندنا أن العلاقة بين المؤمنين من جهة والمؤمنات من جهة أخرى هي علاقة بين طرفين، يتعين على طرف أن يكون طرف أعلى درجة من طرف آخر. ولا شك أن للرجال على النساء درجة:

- ﴿... وَلَهُنَّ مِثۡلُ ٱلَّذِي عَلَيۡهِنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيۡهِنَّ دَرَجَةٞۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ٢٢٨﴾ [البقرة: 228]

وبذلك تحققت القوامة للرجل على النساء:

- ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٞ لِّلۡغَيۡبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُۚ وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهۡجُرُوهُنَّ فِي ٱلۡمَضَاجِعِ وَٱضۡرِبُوهُنَّۖ فَإِنۡ أَطَعۡنَكُمۡ فَلَا تَبۡغُواْ عَلَيۡهِنَّ سَبِيلًاۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيّٗا كَبِيرٗا ٣٤﴾ [النساء: 34]

السؤال: ما متطلبات هذا التفضيل؟

رأينا المفترى: بداية، يجب أن نفهم بأن التفضيل – كما أسلفنا في أكثر من مقالة سابقة لنا- لا يعني الخيرية، وإنما ازدياد في المهام الموكلة للطرف المفضل.

فالله قد فضل بني إسرائيل على العالمين لأنه (نحن نرى) قد أوكل لهم مهام لم يوكلها لغيرهم من العالمين، فتضاعفت مسؤولياتهم.

فالله هو من فضل بعض الرسل على بعض بالرغم أنه لا تفريق بينهم، وذلك لأن الرسل المفضلين هم من أوكلت لهم مهام إضافية، فتضاعفت مسؤولياتهم، وهكذا. (للتفصيل انظر مقالاتنا السابقة)

إن ما يهمنا طرحه هنا هو أن تفضيل الرجال على النساء (بالقوامة) يعني مضاعفة مسؤوليات الرجل مقابل مسئوليات المرأة.

السؤال: كيف يقوم كل بدوره بنجاح؟

رأينا المفترى: إذا حصل الانسجام بين الطرفين، فعرف كل طرف حدود مسئولياته، وأقر للآخر بمسئولياته.

السؤال: وكيف يمكن أن نستكشف هذا الانسجام بين الطرفين؟

جواب مفترى خطير جدا: نحن نظن أن امتحان العلاقة بين طرفين (لمعرفة ماهية هذه العلاقة بينهما) تتحقق بما جاء في الآية الكريمة التالية:

- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ٢ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصۡوَٰتَهُمۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمۡتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ لِلتَّقۡوَىٰۚ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٌ عَظِيمٌ ٣﴾ [الحجرات: 2-3]

فهذه الآية الكريمة تبين طبيعة العلاقة بين النبي الكريم من جهة والمؤمنين من حوله من جهة أخرى. كما تبين حصول الامتحان لقلوب من هم حول النبي لبيان طبيعة هذه العلاقة من قبل كل شخص اتجاه النبي الكريم حينئذ.

السؤال: كيف ذلك؟

رأينا المفترى: نحن نعلم يقينا بأن طاعة النبي واجبة، فإذا ما قضى أمرا، فلا يحق لمؤمن ولا مؤمنة بعد ذلك أن يكون لهم الخيرة، ولا يحق لمن حوله أن لا يطيعه في شيء. واقرأ – عزيزي القارئ الكريم – الآيات الكريمة التالية:

- ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾﴾ [الأحزاب: 36]
- ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء: 65]
- ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴿٨٠﴾ وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا۟ مِنْ عِندِكَ بَيَّتَ طَآئِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ ٱلَّذِى تَقُولُ ۖ وَٱللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ ۖ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٨١﴾﴾ [النساء: 80-81]

إذن، لابد من معرفة المؤمن من غير المؤمن من الرجال والنساء ممن هم حول الرسول، فكيف كان يعرف المؤمن من غير المؤمن منهم؟

جواب مفترى من عند أنفسنا: بامتحان قلوبهم (أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ)

السؤال: وكيف ذلك؟

رأينا المفترى: نحن نظن أن الآية الكريمة التالية ترشدنا إلى طرقة امتحان المؤمن من غير المؤمن:

- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ وَلَا تَجْهَرُوا۟ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ ۚ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٣﴾﴾ [الحجرات: 2-3]

السؤال: ما الذي تفهمه من ذلك؟

افتراء خطير جدا جدا: نحن نفتري القول من عند أنفسنا بأن معرفة المؤمن من غير المؤمن تنطوي على وجود عنصرين اثنين فقط، ألا وهما:

⇐ عدم رفع الصوت (لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ)

⇐ عدم الجهر بالقول (وَلَا تَجْهَرُوا۟ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ)

افتراء خطير جدا جدا: بخلاف ذلك (أي إذا حصل رفع الصوت فوق صوت النبي أو الجهر له بالقول) فإنه سيؤدي إلى أن يحبط عمل المؤمن كله (أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ).

إذن، كان لزاما على من كان من المؤمنين من حول النبي أن يكون متبعا للرسول، لكن لا يمكن أن يصل درجة الإيمان الحقيقي إلا أن يكون من الذين:

⇐ لا يرفعون أصوتهم فوق صوت النبي، و
⇐ لا يجهروا له بالقول كجهر بعضهم لبعض،
⇐ لأنه بخلاف ذلك ستحبط أعمالهم وهم لا يشعرون.

وقد جاء ذلك جليا في قوله تعالى:

- ﴿۞ قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا وَلَمَّا يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمۡۖ وَإِن تُطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتۡكُم مِّنۡ أَعۡمَٰلِكُمۡ شَيۡـًٔاۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ١٤﴾ [الحجرات: 14]

فالفرق بين الأعرابي المسلم والأعرابي المؤمن هو طاعة الله ورسوله التي إن تحققت لا يلتهم من أعمالهم شيئا، أي لا يحبط منها شيئا. أما عدم طاعة الرسول (التي هي أصلا طاعة لله)، فإنها تؤدي إلى أن تحبط أعمال الشخص وهو لا يعلم:

- ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗا ٨٠ وَيَقُولُونَ طَاعَةٞ فَإِذَا بَرَزُواْ مِنۡ عِندِكَ بَيَّتَ طَآئِفَةٞ مِّنۡهُمۡ غَيۡرَ ٱلَّذِي تَقُولُۖ وَٱللَّهُ يَكۡتُبُ مَا يُبَيِّتُونَۖ فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ٨١﴾ [النساء: 80-81]

هناك إذا فرق بين من كان يطيع الرسول حقا مقابل من كان يقول فقط طاعة وهو في الحقيقة يبيت في نفسه غير الذي يقول بفيه.

السؤال: **مرة أخرى**: كيف يمكن تمييز الذي يطيع الرسول حقا من الذي يطيع الرسول نفاقا (أي فقط يقول طاعة)؟

رأينا المفترى: نحن نظن أن الذي يطيع الرسول هو من التزم بغض صوته عند الرسول، فيكون من الذين امتحن الله قلوبهم بالإيمان.

السؤال: وما هي ماهية عض الصوت عند رسول الله؟

رأينا المفترى: نحن نظن أن غض الصوت تتمثل في أمرين أثنين، وهما:

⇐ عدم رفع الصوت فوق صوت النبي
⇐ عدم الجهر بالقول له كجهر بعضكم لبعض.

السؤال: وما الفرق بين رفع الصوت فوق صوت النبي وعدم الجهر له بالقول؟

رأينا المفترى: دعنا بداية نستعرض ما جاء في واحدة من أمهات كتب التفسير كتفسير الطبري مثلا، الذي جاء فيه عن هذه الآية الكريمة:

{يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض { يقول تعالى ذكره : يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله , لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت رسول الله تتجهموه بالكلام , وتغلظون له في الخطاب } ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض {يقول: ولا تنادوه كما ينادي بعضكم بعضا : يا محمد , يا محمد , يا نبي الله , يا نبي الله , يا رسول الله . وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل . ذكر من قال ذلك : 24520 - حدثني محمد بن عمرو , قال : ثنا أبو عاصم , قال : ثنا عيسى ; وحدثني الحارث , قال : ثنا الحسن , قال : ثنا ورقاء جميعا , عن ابن أبي نجيح , عن مجاهد , في قوله } : ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض , { قال لا تنادوه نداء , ولكن قولا لينا يا رسول الله - 24521 . حدثنا بشر , قال : ثنا يزيد , قال : ثنا سعيد , عن قتادة , قوله } : ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض { كانوا يجهرون له بالكلام, ويرفعون أصواتهم , فوعظهم الله , ونهاهم عن ذلك - * . حدثني ابن عبد الأعلى , قال : ثنا ابن ثور , عن معمر , عن قتادة , كانوا يرفعون , ويجهرون عند النبي صلى الله عليه وسلم , فوعظوا , ونهوا عن ذلك - 24522 . حدثت عن الحسين , قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد , قال: سمعت الضحاك يقول في قوله } : لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي .. . { الآية , هو كقوله } : لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا 63 24 { نهاهم الله أن ينادوه كما ينادي بعضهم بعضا وأمرهم أن يشرفوه ويعظموه , ويدعوه إذا دعوه باسم النبوة - 24523 . حدثنا أبو كريب , قال : ثنا زيد بن حباب , قال : ثنا أبو ثابت ابن ثابت قيس بن الشماس , قال : ثني عمي إسماعيل بن محمد بن ثابت بن شماس , عن أبيه , قال : لما نزلت هذه الآية } لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول { قال : قعد ثابت في الطريق يبكي , قال : فمر به عاصم بن عدي من بني العجلان , فقال : ما يبكيك يا ثابت ؟ قال : لهذه الآية , أتخوف أن تكون نزلت في , وأنا صيت رفيع الصوت قال : فمضى عاصم بن عدي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم , قال : وغلبه البكاء, قال : فأتى امرأته جميلة ابنة عبد الله بن أبي بن سلول , فقال لها : إذا دخلت بيت فرسي , فشدي علي الضبة بمسمار , فضربته بمسمار حتى إذا خرج عطفه وقال : لا أخرج حتى يتوفاني الله , أو يرضى عني رسول الله صلى الله عليه وسلم ; قال : وأتى عاصم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره خبره , فقال : " اذهب فادعه لي " فجاء عاصم إلى المكان , فلم يجده , فجاء إلى أهله , فوجده في بيت الفرس , فقال له : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوك , فقال : اكسر الضبة, قال : فخرجا فأتيا نبي الله صلى الله عليه وسلم , فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ما يبكيك يا ثابت " ؟ فقال : أنا صيت , وأتخوف أن تكون هذه الآية نزلت في } لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول { فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : " أما ترضى أن تعيش حميدا , وتقتل شهيدا , وتدخل الجنة " ؟ فقال : رضيت ببشرى الله ورسوله , لا أرفع صوتي أبدا على رسول الله , فأنزل الله } إن الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى .. . { الآية - 24524 3 49 . حدثنا ابن حميد , قال : ثنا يعقوب , عن حفص, عن شمر بن عطية , قال : جاء ثابت بن قيس بن الشماس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو

محزون , فقال " : يا ثابت ما الذي أرى بك " ؟ فقال : آية قرأتها الليلة , فأخشى أن يكون قد حبط عملي } يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي { وكان في أذنه صمم , فقال : يا نبي الله أخشى أن أكون قد رفعت صوتي , وجهرت لك بالقول , وأن أكون قد حبط عملي , وأنا لا أشعر: فقال النبي صلى الله عليه وسلم : " امش على الأرض نشيطا فإنك من أهل الجنة 24525 " -حدثني يعقوب بن إبراهيم , قال : ثنا ابن علية , قال : ثنا أيوب , عن عكرمة , قال : لما نزلت } : يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ... { الآية , قال ثابت بن قيس : فأنا كنت أرفع صوتي فوق صوت النبي صلى الله عليه وسلم , وأجهر له بالقول , فأنا من أهل النار , فقعد في بيته , فتفقده رسول الله صلى الله عليه وسلم , وسأل عنه , فقال رجل : إنه لجاري , ولئن شئت لأعلمن لك علمه , فقال : " نعم " , فأتاه فقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد تفقدك , وسأل عنك , فقال : نزلت هذه الآية } يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي { ...الآية وأنا كنت أرفع صوتي فوق صوت رسول الله صلى الله عليه وسلم , وأجهر له بالقول , فأنا من أهل النار , فرجع إلى رسول الله فأخبره , فقال : " بل هو من أهل الجنة " ; فلما كان يوم اليمامة انهزم الناس , فقال : " أف لهؤلاء وما يعبدون , وأف لهؤلاء وما يصنعون " , يا معشر الأنصار خلوا لي بشيء لعلي أصلى بحرها ساعة قال : ورجل قائم على ثلمة , فقتل وقتل - 24526 . حدثنا ابن عبد الأعلى , قال : ثنا ابن ثور , عن معمر , عن الزهري , أن ثابت بن قيس بن شماس , قال : لما نزلت }لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي { قال : يا نبي الله , لقد خشيت أن أكون قد هلكت , نهانا الله أن نرفع أصواتنا فوق صوتك , وإني امرؤ جهير الصوت , ونهى الله المرء أن يحب أن يحمد بما لم يفعل , فأجدني أحب أن أحمد ; ونهى الله عن الخيلاء وأجدني أحب الجمال ; قال : فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : " يا ثابت أما ترضى أن تعيش حميدا , وتقتل شهيدا , وتدخل الجنة ؟ " فعاش حميدا , وقتل شهيدا يوم مسيلمة- 24527 . حدثني علي بن سهل , قال : ثنا مؤمل , قال : ثنا نافع بن عمر بن جميل الجمحي , قال : ثني ابن أبي مليكة , عن الزبير , قال " : قدم وفد أراه قال تميم , على النبي صلى الله عليه وسلم , منهم الأقرع بن حابس , فكلم أبو بكر النبي صلى الله عليه وسلم أن يستعمله على قومه , قال : فقال عمر : لا تفعل يا رسول الله , قال: فتكلما حتى ارتفعت أصواتهما عند النبي صلى الله عليه وسلم , قال : فقال أبو بكر لعمر : ما أردت إلا خلافي , قال : ما أردت خلافك . قال : ونزل القرآن } : يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي .. . { إلى قوله } : وأجر عظيم { قال : فما حدث عمر النبي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك , فيسمع النبي صلى الله عليه وسلم , قال : وما ذكر ابن الزبير جده , يعني أبا بكر.

السؤال: فهمتوا إشيء؟

جواب مفترى: أنا لا. لم أفهم شيئا. فقط كلام مكرر يقتل شهية القارئ في إتمام البحث عن الحقيقة.

تساؤلات

- كيف يكون رفع الصوت فوق صوت النبي؟
- كيف يكون الجهر للنبي بالقول؟
- ما الفرق بين رفع الصوت فوق صوت النبي من جهة والجهر له بالقول من جهة أخرى؟

أما بعد،

نحن نظن أن الجهر بالقول على وجه التحديد هو ما يعرف بيننا على نحو ارتفاع نبرة الكلام (أو volume بالمفردات الأجنبية) بدليل قوله تعالى:

- ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١١٠﴾﴾ [الإسراء: 110]

فالجهر في الصلاة (سماع صوت القارئ من قبل من هم حوله) تقابله المخافتة (التي قد لا يسمعها إلا القارئ نفسه).

وكذلك الجهر بالسوء من القول لا بد أن يكون مسموعا:

- ﴿لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ﴿١٤٨﴾﴾ [النساء: 148]

والله يدعونا أن نذكره في أنفسنا دون الجهر من القول:

- ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾ وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٢٠٥﴾﴾ [الأعراف: 204-205]

والله هو يعلم ما نجهر من القول وما نكتم:

- ﴿إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ ﴿١١٠﴾﴾ [الأنبياء: 110]

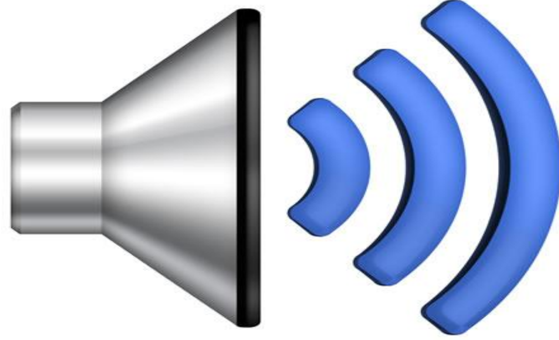
والله يعلم الجهر وما يخفى:

- ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ﴿٦﴾ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ ﴿٧﴾﴾ [الأعلى: 6-7]

نتيجة مفتراة: الجهر بالقول عملية تدرجية تبدأ من بعد الكتمان وتصل إلى أعلى درجات ارتفاع النبر كما في الشكل التوضيحي التالي:



فالمؤشر يعمل على رفع وحفظ حجم الصوت (volume). فكلما تحرك المؤشر إلى اليمين، ازدادت نبرة وحدة الصوت الذي تتلقاه أذن السامع، كما في الشكل التوضيحي التالي:



إن ما يهمنا قوله (ربما مخطئين) بأن من أخلاقيات من دخل الإيمان في قلبه أنه لا يجهر للرسول بالقول، أي لا يرفع من بنيرة وحدة صوته عند الحديث مع الرسول مباشرة.

نتيجة مفتراة مهمة جدا: الجهر بالقول هو عبارة عن معيار كمي (أي حجم الصوت الذي يستخدم في حضرة الرسول الكريم)

السؤال: إذا كان هذا هو الجهر بالقول، فما هو إذن رفع الصوت عند الرسول (لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ)؟

- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ۝٢ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصۡوَٰتَهُمۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمۡتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ لِلتَّقۡوَىٰۚ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٌ عَظِيمٌ ۝٣﴾ [الحجرات: 2-3]

رأينا المفترى: نحن نظن أن رفع الصوت عند النبي لا علاقة له بارتفاع أو انخفاض حجم الصوت (أو Volume بالمفردات الأجنبية) لأن ذلك نحن نرى يقع في باب الجهر بالقول (وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ)، ولكن له علاقة بنوعية الصوت. انتهى.

السؤال: وكيف ذلك؟

رأينا المفترى: نحن نظن أن الصوت تعني الرأي. فعندما تدلي بصوتك في الانتخابات الحديثة، فإنك تدلي برأيك فيمن ستختار. وعندما نقول فلان له صوت عالي، فهو ذو رأي معروف وربما مسموع، وهكذا.

السؤال: ما علاقة هذا برفع الصوت فوق صوت النبي؟

رأينا المفترى: لا شك – عندنا- أن للرسول صوت (رأي) ولمن حوله أصوات (آراء)، فهل بالضرورة أن يتطابق (على الدوام) صوت النبي (أي ما يقوله) مع أصوات من هم حوله جميعا؟ وبكلمات أكثر وضوحا نحن نسأل: هل كان إذا قضى الله ورسوله أمرا يأخذ كل من حول الرسول ذلك دون جدال ولا مناقشة؟

دعنا ندقق في الآيات الكريمة التالية:

- ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗا ۝٨٠ وَيَقُولُونَ طَاعَةٞ فَإِذَا بَرَزُواْ مِنۡ عِندِكَ بَيَّتَ طَآئِفَةٞ مِّنۡهُمۡ غَيۡرَ ٱلَّذِي تَقُولُۖ وَٱللَّهُ يَكۡتُبُ مَا يُبَيِّتُونَۖ فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ۝٨١﴾ [النساء: 80-81]

ألا يبين لنا من هذه الآية الكريمة بأن من كانوا حول الرسول لم يكونوا لينزلوا جملة واحدة عند قوله؟ ألم يكن مطلوب منهم أنه إذا قضى الله ورسوله أمرا أن لا يكون لهم الخيرة من أمرهم؟

- ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤۡمِنٖ وَلَا مُؤۡمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمۡرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُ مِنۡ أَمۡرِهِمۡۗ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلٗا مُّبِينٗا ۝٣٦﴾ [الأحزاب: 36]

ألم يكن يعلم هؤلاء بأن طاعة الرسول هي طاعة الله؟

- ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗا ۝٨٠﴾ [النساء: 80]

فكيف يبعضهم يبيت غير الذي يقوله الرسول:

- ﴿وَيَقُولُونَ طَاعَةٞ فَإِذَا بَرَزُواْ مِنۡ عِندِكَ بَيَّتَ طَآئِفَةٞ مِّنۡهُمۡ غَيۡرَ ٱلَّذِي تَقُولُۖ وَٱللَّهُ يَكۡتُبُ مَا يُبَيِّتُونَۖ فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ۝٨١﴾ [النساء: 81]

ما الذي يريده هؤلاء عندما يبيتون غير الذي يقوله الرسول؟

جواب مفترى: إنهم يريدون أن يكون هناك صوت من أصواتهم يرتفع فوق صوت النبي.

نتيجة مفتراة: ارتفاع الصوت فوق صوت النبي يعني أن يكون هناك رأي يعلو على رأي النبي نفسه. أي عدم الامتثال الكلي لما يقوله النبي.

منطقنا المفترى: في زمن وجود النبي كرسول بين القوم، كان من المفترض أن يكون صوت النبي هو الأعلى، فصوته (أي رأيه) نافذ لا جدال فيه، لأنه ما ينطق عن الهوى، إنما هو وحي يوحي، مادام أن الذي علمه هو شديد القوى:

- ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ٤ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلۡقُوَىٰ ٥﴾ [النجم: 3-5]

لكن هذه الحقيقة لم تجد صداها في قلوب كل من كان حول النبي حينئذ، فكان هناك على الدوام من يحاول أن يحتج على ما يقوله النبي، فأنزل الله قوله تعالى:

- ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ جَآءُوكَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسۡتَغۡفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابٗا رَّحِيمٗا ٦٤ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا ٦٥﴾ [النساء: 64-65]

ووصلت الجرأة ببعضهم أن يتوعد النبي والذين آمنوا معه:

- ﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعۡنَآ إِلَى ٱلۡمَدِينَةِ لَيُخۡرِجَنَّ ٱلۡأَعَزُّ مِنۡهَا ٱلۡأَذَلَّۚ وَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَا يَعۡلَمُونَ ٨﴾ [المنافقون: 8]

فما كان هؤلاء من المؤمنين، فانقسم الناس من حول النبي إلى فئات ثلاثة، وهم:

⇐ المنافقون
⇐ المسلمون
⇐ المؤمنون

فالمنافقون هم الذين يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم:

- ﴿وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُواْۚ وَقِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ قَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدۡفَعُواْۖ قَالُواْ لَوۡ نَعۡلَمُ قِتَالٗا لَّٱتَّبَعۡنَٰكُمۡۗ هُمۡ لِلۡكُفۡرِ يَوۡمَئِذٍ أَقۡرَبُ مِنۡهُمۡ لِلۡإِيمَٰنِۚ يَقُولُونَ بِأَفۡوَٰهِهِم مَّا لَيۡسَ فِي قُلُوبِهِمۡۚ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يَكۡتُمُونَ ١٦٧﴾ [آل عمران: 167]

أما المسلمون فهم الذين أسلموا ولما يدخل الإيمان في قلوبهم (قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ)، لأن الأيمان مرتبط مباشرة بطاعة الله ورسوله. وانظر عزيزي القارئ – إن شئت- في تكملة سياق الآية نفسها:

- ﴿۞قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا وَلَمَّا يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمۡۖ وَإِن تُطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتۡكُم مِّنۡ أَعۡمَٰلِكُمۡ شَيۡـًٔاۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ١٤﴾ [الحجرات: 14]

فما كان هؤلاء - نحن نتخيل - يغضون أصواتهم عند رسول الله. ولا غرابة في ذلك مادام أنهم لازالوا حديثي عهد بالإسلام. لذا، كانوا يبدون رأيهم، وقد يحاولون أن يجعلوا صوتهم (أي رأيهم) يعلوا فوق صوت النبي، كما حصل في القصة التاريخية عن معركة أحد عندما كان رأيهم أن يخرجوا للقتال خارج

المدينة، فعلى صوتهم فوق صوت النبي (أي كان رأيهم هو الذي أخذ به)، فكانت النتيجة كارثية كما راءوها بأم أعينهم. والسبب في ذلك هو أن هؤلاء الفئة كانوا مسلمين لكن الإيمان لم يدخل في قلوبهم بعد.

أما الفئة الثالثة، فهي الفئة المؤمنة، وهم الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى، فكانوا يغضون أصواتهم عند رسول الله، فلا يحاولوا أن يجعلوا رأيهم (أو رأي غيرهم) يعلو فوق رأي النبي، فلا صوت – عندهم- يعلو فوق صوت النبي، فكانوا هم المؤمنون حقا.

- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصۡوَٰتَهُمۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمۡتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ لِلتَّقۡوَىٰۚ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٌ عَظِيمٌ ٣﴾ [الحجرات: 3]

تلخيص ما سبق: لما كان الرسول متواجدا فيمن حوله حينئذ، كان للرسول صوت (رأي)، وكان لغيره أصوات (آراء)، فكان لزاما على كل من حول النبي أن يلتزم بصوت النبي لأنه لا ينطق عن الهوى، فجاء الامتحان الإلهي لقلوب من حول النبي من هذا الباب، فما نجح في الامتحان إلا الذين كانوا يغضون أصواتهم عند رسول الله، وذلك لأيمانهم المطلق بأن ما ينطق به الرسول هو وحي يوحي. فهؤلاء هم الذين لم يكونوا يجهروا له بالقول كجهر بعضهم لبعض، وهؤلاء هم الذين لم يكونوا ليقبلوا أن يرتفع صوتهم (أي رأيهم الشخصي) فوق صوت النبي. وذلك لأنهم متبعين لما يقوله النبي الذي يأتيه الأمر من ربه.

نتيجة مفتراة: الرسول متبع لما يوحى إليه من ربه:

- ﴿قُلۡ مَا كُنتُ بِدۡعٗا مِّنَ ٱلرُّسُلِ وَمَآ أَدۡرِي مَا يُفۡعَلُ بِي وَلَا بِكُمۡۖ إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ مُّبِينٞ ٩﴾ [الأحقاف: 9]

وبالتالي كان المؤمنين من حوله يغضون أصواتهم عند رسول الله، فلا يجهروا له بالقول ولا يرفعوا أصواتهم فوق صوته.

السؤال: ما علاقة هذا كله بامتحان المؤمنات المهاجرات (موضوع النقاش الرئيس هنا)؟

- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٖ فَٱمۡتَحِنُوهُنَّۖ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّۖ فَإِنۡ عَلِمۡتُمُوهُنَّ مُؤۡمِنَٰتٖ فَلَا تَرۡجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلۡكُفَّارِۖ لَا هُنَّ حِلّٞ لَّهُمۡ وَلَا هُمۡ يَحِلُّونَ لَهُنَّۖ وَءَاتُوهُم مَّآ أَنفَقُواْۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّۚ وَلَا تُمۡسِكُواْ بِعِصَمِ ٱلۡكَوَافِرِ وَسۡـَٔلُواْ مَآ أَنفَقۡتُمۡ وَلۡيَسۡـَٔلُواْ مَآ أَنفَقُواْۚ ذَٰلِكُمۡ حُكۡمُ ٱللَّهِ يَحۡكُمُ بَيۡنَكُمۡۖ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ١٠﴾ [الممتحنة: 10]

رأينا المفترى: نحن نظن أن علمنا بإيمان النساء المؤمنات من النساء غير المؤمنات تتم بالطريقة نفسها (الامتحان):

- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٖ فَٱمۡتَحِنُوهُنَّۖ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّۖ فَإِنۡ عَلِمۡتُمُوهُنَّ مُؤۡمِنَٰتٖ فَلَا تَرۡجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلۡكُفَّارِۖ لَا هُنَّ حِلّٞ لَّهُمۡ وَلَا هُمۡ يَحِلُّونَ لَهُنَّۖ وَءَاتُوهُم مَّآ أَنفَقُواْۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّۚ وَلَا تُمۡسِكُواْ بِعِصَمِ ٱلۡكَوَافِرِ وَسۡـَٔلُواْ مَآ أَنفَقۡتُمۡ وَلۡيَسۡـَٔلُواْ مَآ أَنفَقُواْۚ ذَٰلِكُمۡ حُكۡمُ ٱللَّهِ يَحۡكُمُ بَيۡنَكُمۡۖ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ١٠﴾ [الممتحنة: 10]

فالله هو من فضل الرجال على النساء، فكانت مسئوليات الرجل مضاعفة على مسئوليات المرأة. فكانت الزوجة تابعة لزوجها، تأتمر بأمره بدليل قوله تعالى:

- ﴿وَكَانَ يَأۡمُرُ أَهۡلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرۡضِيّٗا ٥٥﴾ [مريم: 55]
- ﴿وَأۡمُرۡ أَهۡلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصۡطَبِرۡ عَلَيۡهَاۖ لَا نَسۡـَٔلُكَ رِزۡقٗاۖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُكَۗ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلتَّقۡوَىٰ ١٣٢﴾ [طه: 132]

والله هو من طلب من النبي أن يوصل الرسالة قولا لنسائه وبناته ونساء المؤمنين:

- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن يُعۡرَفۡنَ فَلَا يُؤۡذَيۡنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ٥٩﴾ [الأحزاب: 59]

والرجل هو المطلوب منه أن يقي نفسه وأهله نارا وقودها الناس والحجارة:

- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ٦﴾ [التحريم: 6]

السؤال: ما الذي يجب على الرجل أن يفعله حيال امرأته؟ وما الذي يجب على المرأة أن تعمله حيال بعلها؟

افتراء خطير جدا جدا: أظن على الرجل أن يمتحن امرأته ليعلمن أن كانت من المؤمنات حقا أم هي فقط من اللواتي يقلن طاعة ويبيتن غير الذين يقلن

افتراء خطير جدا جدا: أظن أن على المرأة أن تنجح في ذلك الامتحان لتكون من المؤمنات

السؤال: وكيف ذلك؟

رأينا المفترى: نحن نظن أن مبايعة النساء للنبي كانت على الأمور التالية:

- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ يُبَايِعۡنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشۡرِكۡنَ بِٱللَّهِ شَيۡـٔٗا وَلَا يَسۡرِقۡنَ وَلَا يَزۡنِينَ وَلَا يَقۡتُلۡنَ أَوۡلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأۡتِينَ بِبُهۡتَٰنٖ يَفۡتَرِينَهُۥ بَيۡنَ أَيۡدِيهِنَّ وَأَرۡجُلِهِنَّ وَلَا يَعۡصِينَكَ فِي مَعۡرُوفٖ فَبَايِعۡهُنَّ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُنَّ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ١٢﴾ [الممتحنة: 12]

وجاء الطلب الإلهي للرسول أن يقول للمؤمنات ما جاء في الآية التالية:

- ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيْرِ أُو۟لِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا۟ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ ۖ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ۚ وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾﴾ [النور: 31]

لكن السؤال: هل لو فعلت المرأة هذه الأمور جميعا، هل يمكن أن نتيقن من إيمانها؟ ألا يمكن أن يكون ذلك في باب النفاق؟

السؤال: كيف نتيقن من إيمان المرأة؟

جواب مفترى: أن لا تعصي في معروف؟

سؤال: وكيف نستطيع أن نتأكد بأنها لا تعصي في معروف؟

جواب مفترى: علينا أن نمتحنهن.

السؤال: وكيف نمتحنهن؟ وكيف نعرف أن المرأة قد اجتازت الامتحان بنجاح أو أنها قد فشلت به؟

جواب مفترى: أن تكون من الذين يغضون أصواتهن

السؤال: ما معنى ذلك؟

رأينا المفترى: أن تلتزم بأمرين اثنين:

⇐ أن لا تجهر بالقول
⇐ أن لا ترفع صوتها فوق صوت وليها

السؤال: ما معنى ذلك؟

رأينا: على المرأة إن كانت مؤمنة أن تبقى نبرة صوتها في حدود المعقول الذي يعكس مقدار الأدب عندها، فلا تجهر بالقول (كجهر الرجال بعضهم لبعض)، فلا ترفع نبرة وحدة صوتها (أي كثافة الصوت أو الـ Volume بالمفردات الأجنبية) فوق حاجر المنتصف على المؤشر في أسوأ الحالات كما في الشكل التالي:



لأن ارتفاع المؤشر فوق نقطة الوسط (نحن نرى) دليل على ضعف إيمان المرأة. وكلما كانت المرأة جاهرة بصوتها أكثر، كلما قلّ إيمانها، والعكس صحيح. فإيمان المرأة يتناسب تناسبا عكسيا مع الجهر بصوتها:



فعلى المرأة (إن أرادت أن تكون من المؤمنات حقا) أن لا تجهر بالقول كجهر الرجال بعضهم لبعضا، فيبقى خطابها هادئا في نبرته، منسجما مع أنوثتها. ولا شك أن هذا لا يتنافى مع طبيعة المرأة الهادئة المتزنة على عكس طبيعة الرجل الثائرة الجامحة غير المتزنة في أكثر الحالات.

ولا يتوقف الأمر عند عدم الجهر بالقول، بل عليها أن لا ترفع صوتها فوق صوت زوجها (أي لا تجعل رأيها فوق رأي زوجها) أيضا. فتقديم رأيها على رأي زوجها يعني أنها هي من تملك زمام الأمر، وهي من تصدر الأوامر. وهي من تعتبر نفسها مفضلة على بعلها (أي تمتلك مسئوليات أكبر من مسئولياته)، فتتصرف وكأنها هي صاحبة العقد والحل.

السؤال: وما العيب في ذلك؟ أليس بعض النساء أكثر رجاحة عقل من بعولتهن؟ ما المانع أن يكون رأيها مقدما على رأي بعلها إن كانت فعلا جديرة بذلك؟

رأينا المفترى: لا نجد في ذلك ضير، لكن دعنا نوجه السؤال إلى النساء أنفسهن، وليتوقف الرجال عند هذه المرحلة في دسن أنفوهم فيما لا يفهمون.

السؤال للنساء فقط: هل تقبلين (عزيزي المرأة الكريمة) أن تظهري على الملأ بهذا المظهر: أن يرتفع صوتك فوق صوت بعلك الكريم؟ هل تحبين أن يعرف من حولك أن صوتك (أي رأيك) هو دائما فوق صوت (أي رأي) بعلك؟ هل تحبين أن يعرف الناس من حولك أنك أنت صاحبة القرار الأول والأخير في البيت وأن صوت بعلك تابعا لصوتك لا سابقا لصوتك؟ مَن مِن النساء ترضى بذلك حتى وإن كانت نوال السعداوي نفسها (المرأة الأشد دفاعا عن حقوق النساء في مجتمعات التخلف)؟

رأينا المفترى: صحيح أن كثيرا من النساء قد نذرن أنفسهن للدفاع عن المرأة، ومحاولة انتزاع بعض المكاسب للنساء من يد الرجال الظالمين، لكن لا يجب أن يفهم دفاعهن عن المرأة هذا على أنه انسلاخ عن أنوثتهن. فأنا (كرجل) من أشد المدافعين عن حقوق المرأة في مجتمعات التخلف الأعرابي، لكني لا أدعو إلى أن تنسلخ المرأة عن أنوثتها. فالمرأة (كبنت وأخت وزوجة) لا تقبل بأي حال من الأحوال أن يترفع صوتها (أي رأيها) فوق رأي وليها (أبوها أو أخوها أو زوجها). فحتى أم بدر (في باب الحارة) كانت تفرح عندما يحاول أبو بدر أن يتسلم زمام المبادرة بأن يرفع صوته فوق صوتها، أليس كذلك؟!!!

السؤال: لماذا على المرأة أن يكون صوتها أدنى من صوت وليها؟

جواب مفترى: نحن نظن أن السبب في ذلك يعود إلى وجود القلبين في جوف المرأة (انظر المقالة السابعة في سلسلة مقالات فقه الزكاة)، الأمر الذي يجعلها غير قادرة على اتخاذ القرار بشكل حاسم. فالمرأة لا تحب أن تكون مسئولة عن اتخاذ القرار حتى لا تكون مسئولة أيضا عن تبعاته. وتفضل – بالمقابل- أن يقوم أحد آخر (الرجل) باتخاذ القرار عنها، وبالتالي تحمل مسئوليات قراره. لذا جاء الأمر للرجال بأن يقوا أنفسهم وأهليهم نارا وقودها الناس والحجارة:

- ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَٰتٍ مُّؤْمِنَٰتٍ قَٰنِتَٰتٍ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٍ سَٰٓئِحَٰتٍ ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا ۝٥ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۝٦﴾ [التحريم: 5-6]

السؤال: وماذا لو كان قرار الرجل غير صائب؟ هل على المرأة أن تطيعه؟

جواب مفترى: كلا. لأن طاعة المرأة للرجل في المعروف:

- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝١٢﴾ [الممتحنة: 12]

السؤال: ماذا لو أجبرها على المعصية؟

جواب مفترى: نحن نفتري الظن بأن على المرأة في كل الحالات أن لا تجهر بالقول ولا ترفع صوتها، ولقد ضرب الله المثل للمؤمنات بامرأة فرعون:

- ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱمۡرَأَتَ فِرۡعَوۡنَ إِذۡ قَالَتۡ رَبِّ ٱبۡنِ لِي عِندَكَ بَيۡتٗا فِي ٱلۡجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرۡعَوۡنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِي مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ١١﴾ [التحريم: 11]

فلا يمكن أن توضع امرأة في موقف أشد حرجا من موقف امرأة فرعون، فما جهرت بقولها ولا رفعت صوتها، ولكن توجهت إلى ربها أن ينجيها من فرعون وعمله.

ولا شك عندنا أن حالة امرأة فرعون أسوأ من حالة أي امرأة أخرى، وذلك لسبب بسيط أن امرأة فرعون لا تستطيع أن تطلب الطلاق من فرعون. فمن يجرؤ أن يبدي امتعاضا (ولو قليلا) من فرعون؟ ماذا تتوقع أن تكون نتيجة من يبدي امتعاضا (ولو قليلا) من فرعون؟

أما النساء الأخريات، فقد شرع الله أن يطلبن الفراق عن بعولتهن:

- ﴿وَإِنِ ٱمۡرَأَةٌ خَافَتۡ مِنۢ بَعۡلِهَا نُشُوزًا أَوۡ إِعۡرَاضٗا فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَآ أَن يُصۡلِحَا بَيۡنَهُمَا صُلۡحٗاۚ وَٱلصُّلۡحُ خَيۡرٞۗ وَأُحۡضِرَتِ ٱلۡأَنفُسُ ٱلشُّحَّۚ وَإِن تُحۡسِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا ١٢٨ وَلَن تَسۡتَطِيعُوٓاْ أَن تَعۡدِلُواْ بَيۡنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوۡ حَرَصۡتُمۡۖ فَلَا تَمِيلُواْ كُلَّ ٱلۡمَيۡلِ فَتَذَرُوهَا كَٱلۡمُعَلَّقَةِۚ وَإِن تُصۡلِحُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ١٢٩ وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغۡنِ ٱللَّهُ كُلّٗا مِّن سَعَتِهِۦۚ وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا حَكِيمٗا ١٣٠﴾ [النساء: 128-130]

ولا شك أن فطرة النساء تتقبل بهذا المنطق، وليس أدل على ذلك بأن المرأة ترضى أن تفعل كل ما يطلبه منها وليها، مقتنعة تماما أنه هو من يتحمل تبعات هذا كله. فحتى لو كان بعلها سارقا للمال، قد لا ترى غضاضة في أن تصرفه حتى على الكماليات في حياتها وهي مبتهجة مسرورة. وكل ما على المرأة أن تفعله هو أن تنصح بعلها بهدوء (فلا تجهر له بالقول) ولا تحاول أن تجعل صوتها يعلو على صوته (أي أن تشعره بأنه هو صاحب الرأي الأول في البيت – يعني تضحك عليه على الأقل). فحتى لو كان الرأي رأيها، يجب أن تكون ذكية لدرجة أن تظهره على الملأ أنه رأي زوجها. وبهذا تخلي نفسها من مسئولية عواقب القرار، وتحفظ ماء وجه زوجها. والأهم من هذا تلتزم بالهدي الإلهي يبن لا تكون من اللواتي لا يغضضن أصواتهن.

ولعلي أكاد أجزم الظن بأن المرأة التي لا تغض من صوتها، لن تغض من بصرها.

السؤال: كيف ذلك؟

قال تعالى:

- ﴿وَقُل لِّلۡمُؤۡمِنَٰتِ يَغۡضُضۡنَ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِنَّ وَيَحۡفَظۡنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبۡدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنۡهَاۖ وَلۡيَضۡرِبۡنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّۖ وَلَا يُبۡدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوۡ ءَابَآئِهِنَّ أَوۡ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوۡ أَبۡنَآئِهِنَّ أَوۡ أَبۡنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوۡ إِخۡوَٰنِهِنَّ أَوۡ بَنِيٓ إِخۡوَٰنِهِنَّ أَوۡ بَنِيٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوۡ نِسَآئِهِنَّ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيۡرِ أُوْلِي ٱلۡإِرۡبَةِ مِنَ

﴿... ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفۡلِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يَظۡهَرُواْ عَلَىٰ عَوۡرَٰتِ ٱلنِّسَآءِۖ وَلَا يَضۡرِبۡنَ بِأَرۡجُلِهِنَّ لِيُعۡلَمَ مَا يُخۡفِينَ مِن زِينَتِهِنَّۚ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٣١﴾ [النور: 31]

السؤال: لكي تكون المرأة مؤمنة، عليها أن تغض من بصرها أيضا. ليكون السؤال: ما هو غض البصر؟

رأينا المفترى من عند أنفسنا: لا شك عندنا أن غض البصر له علاقة مباشرة بحفظ الفرج، فعدم غض البصر هو مقدمات عدم حفظ الفرج.

السؤال: ما الذي يضطر المرأة أن لا تغض بصرها وقد لا تحفظ فرجها بعد ذلك؟

رأينا المفترى: نحن نظن أن جهرها بالقول ورفعها لصوتها هو ما قد يجعلها لا تغض من بصرها ولا تحفظ فرجها.

السؤال: وكيف ذلك؟

رأينا المفترى: نحن نظن أن هناك حالتان يمكن للمرأة أن لا تغض من بصرها، وهاتان الحالتان إما أن يكون سببهما الرجل نفسه أو المرأة نفسها.

الحالة الأولى، عندما تجد المرأة بأن بعلها غير قادر على الأخذ بزمام الأمور، وأن صوتها قد يرتفع فوق صوته، فإنها تفقد فيه كل معنى الرجولة التي تبحث عنها في زوجها الذي تحلم به، قد يجرها هذا إلى أن تبدأ رحلة النظر فيمن هم حولها، لتقارن بعلها بمن يمكن أن يقع عليه بصرها من حولها من الرجال، وربما يقع بصرها على الرجل الذي تظنه مثالي بالنسبة لها، ولو تطورت الأمر أكثر من ذلك، لربما كان ذلك مدعاة فيما بعد إلى عدم حفظ الفرج (لا سمح الله).

أما الحالة الأخرى، فهي أن يذهب الرجل في ذلك إلى أبعد من اللازم، كأن يجعل صوت زوجته دون صوته على الدوام، فلا يأخذ برأيها، حتى تبدأ تشعر بأنها ليست ذات قيمة فاعلة عنده، فهي لا تستطيع أن ترفع صوتها فوق صوته (ربما لأسباب وضوابط اجتماعية)، لكنها في الوقت ذاته تجد بأنه قد تعدى عليها، فجعلها أقل اعتبارا عنده مما يجب. وفي هذه الحالة يدخل الصراع إلى قلبها، فتبدأ بعملية النفاق الاجتماعي الذي تبين فيه بأنها راضية بذلك في العلن، لكنها تكتم في سرها ما لا تستطيع أن تبديه في العلن، فتبدأ مرحلة عدم غض البصر، أي البحث فيمن حولها عن شخص يهدأ لها نفسها، ويشعرها بقيمتها الحقيقية، وهنا قد يقع بصرها على من تظن أنه الشخص المثالي بالنسبة لها، ولو تطور الأمر إلى أكثر من ذلك، لكان ذلك مدعاة فيما بعد إلى عدم حفظ الفرج (لا سمح الله)

السؤال الأول: ما المطلوب من الرجل؟

لعلي أكاد أجزم الظن بأن الرجل يجب أن يكون مبادرا إلى أخذ زمام الأمر، ليكون صوته هو المرتفع (أي هو صاحب الرأي)، لكن ذلك لا يمنع من أن يعطي الاهتمام لرأي زوجته بالمشورة. وعليه أن يتأكد بأن قرار زوجته يتماشى مع قراره، وفي حالة وجود الخلاف، لابد من المحاورة واللين من قبل الطرفين.

السؤال: هل يمكن أن لا يحصل التوافق بينهما؟

رأينا المفترى: نعم، ربما لا يحصل التوافق التام بينهما، وعندها تبدأ الإشارات تبين بذلك الاتجاه، وربما أهم تلك الإشارات هي عدم غض البصر من قبل الزوجة، التي قد تبدأ رحلة البحث على من تظن أنه قد يكون الخيار الأمثل بالنسبة لها. ولعلي أجد من الضروري التنبيه أن رحلة المرأة في البحث عن الشخص الآخر بعدم غض بصرها ليس مصدره رغبة جنسية كما قد يظن كثيرا من الرجال الذين قد يقع عليهم الاختيار، لكنها رحلة لإيجاد الذات أو للانتقام، فالمرأة التي لا تغض بصرها في ظل وجود بعلها هي امرأة تحاول إيجاد ذاتها مع رجل آخر يستطيع أن يحتويها أو أن تنتقم من زوجها بطريقة أخرى لأنه أهملها ولم يستطع أن يلبي لها حاجاتها النفسية قبل حاجاتها المادية، فربما تريد منه أن يعاود التفكير من جديد، ويحاول أن يتفهم حاجتها أكثر مما كان عليه الحال من ذي قبل. فالمرأة تحب أن تجد الغيرة عليها من قبل بعلها، وإن هي رأت أنه فاتر الغيرة عليها، لجأت إلى أساليب متنوعة (منها عدم غض البصر) لتستثير الغيرة فيه عليها.

السؤال: ما الذي يجب على الرجل فعله في هذه الحالات:؟

رأينا المفترى: إذا وجد الرجل أن صوت امرأته قد يعلو على صوته، وأن ليس هناك فرصة للإصلاح، فالتفريق بينهما هو الأولى، لأن الله سيغني كل من سعته:

- ﴿وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِۦۚ وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا حَكِيمًا ١٣٠﴾ [النساء: 130]

فالرجل يجب أن يكون صوته هو المرتفع في بيته وفي أهله، وإلا حدث خلل اجتماعي في البيت كله. ولا يعني ذلك أن تنتشر في بيوتنا صورة "سي السيد"، المستبد الظالم، بل هي أقصى درجات الديمقراطية، الأخذ بمشورة الجميع، لكن على الجميع أن ينزلوا على رأي واحد، يكون الرجل هو صاحب الصوت الأعلى. بالضبط كنظام الدولة الديمقراطية أو المؤسسة الناجحة، فيستحيل أن تنجح إذا كان هناك أكثر من ربان يقود السفينة، ويستحيل أن تنجح إذا لم يكن الشخص المناسب في المكان المناسب. فالرجل هو قائد سفينة البيت الذي يجب أن يقودها إلى بر الآمان، وعلى جميع أفراد الأسرة أن يدلوا برأيهم، لكن عليهم جميعا أن يحترموا صاحب الحق في الصوت الأعلى، وهو الرجل.

ولكن إن سكتت المرأة، وبان بأنها قد قبلت بالوضع الراهن على مضض بسبب الظروف والضوابط الاجتماعية المحيطة، ولكنها لجأت إلى أسلوب عدم غض البصر، فإن على الرجل أن يسكت على ذلك ما لم تأتي بفاحشة مبينة:

- ﴿... لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍۚ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥۚ لَا تَدْرِى لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا ١﴾ [الطلاق: 1]

السؤال: لماذا؟

رأينا المفترى: لأن الله قد سن لنا طرق الخلاص من هذا الموقف، فحتى من أتت منهن الفاحشة (غير المبينة)، فلا يجوز إخراجها من البيت، بل يجب أن تمسك في البيت:

- ﴿وَٱلَّٰتِي يَأۡتِينَ ٱلۡفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمۡ فَٱسۡتَشۡهِدُواْ عَلَيۡهِنَّ أَرۡبَعَةٗ مِّنكُمۡۖ فَإِن شَهِدُواْ فَأَمۡسِكُوهُنَّ فِي ٱلۡبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلۡمَوۡتُ أَوۡ يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلٗا ١٥﴾ [النساء: 15]

السؤال: على من يقع الحق، على الرجل أم على المرأة؟

رأينا المفترى: نحن نظن أن الحق يقع على من تعدى الحدود:

- ﴿... وَتِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدۡ ظَلَمَ نَفۡسَهُۥۚ لَا تَدۡرِي لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحۡدِثُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ أَمۡرٗا ١﴾ [الطلاق: 1]

السؤال: وكيف ذلك؟

رأينا المفترى: ربما يقع التقصير من طرف واحد أو من الطرفين، فقد تتجاوز المرأة بعض الحدود العادية، وقد حصل ذلك مع نساء النبي، فجاء التهديد المباشر باستبدالهن:

- ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبۡدِلَهُۥٓ أَزۡوَٰجًا خَيۡرٗا مِّنكُنَّ مُسۡلِمَٰتٖ مُّؤۡمِنَٰتٖ قَٰنِتَٰتٖ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٖ سَٰٓئِحَٰتٖ ثَيِّبَٰتٖ وَأَبۡكَارٗا ٥﴾ [التحريم: 5]

وقد يتجاوز الرجل بعض الحدود، فيقع الظلم منه على زوجه، وما أكثر الأمثلة على ذلك!

لكن ما الواجب على الزوج أو الزوجة أن يفعلاه حتى في حالة وقوع الظلم من طرف على طرف آخر؟

رأينا المفترى: على المرأة أن تختار أحد الطريقين، إما طريق التي ضرب الله بها مثلا للذين آمنوا (امرأت فرعون)، فتصبر وتحتسب ذلك عند الله، وتدعو الله النجاة إنْ تجاوز الرجل كل الحدود (كما فعل فرعون). أو أن تختار – بالمقابل – طريق اللاتي ضرب الله بهن مثلا للذين كفروا (امرأت نوح وامرأت لوط). فالمرأة المؤمنة هي التي لا شك ستختار طريق الجنة، فسيكون لها بيتا في الجنة أفضل من بيت بعلها الذي ظلمها وسلبها حقها في الحياة الدنيا.

السؤال: ما الواجب على الرجل أن يفعله؟

رأينا المفترى: أن يتقي الله فلا يظلم زوجته، وأن يحاول توفير أقصى ما يستطيع، فينفق من سعته كما أمره الله، ومن قدر عليه رزقه، فلينفق مما آتاه الله، لأن الله لا يكلف نفسا إلا وسعها:

- ﴿لِيُنفِقۡ ذُو سَعَةٖ مِّن سَعَتِهِۦۖ وَمَن قُدِرَ عَلَيۡهِ رِزۡقُهُۥ فَلۡيُنفِقۡ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُۚ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَاۚ سَيَجۡعَلُ ٱللَّهُ بَعۡدَ عُسۡرٖ يُسۡرٗا ٧﴾ [الطلاق: 7]

وعلى الرجل أن يختار بين طريقين، إما طريق الظلم والاستبداد (أي منهج فرعون)، أو منهج الصالحين من عباد الله كنوح ولوط. فلا تظن عزيزي الرجل الكريم أنك يمكن أن تكون أكثر ذكاء أو أكثر فطنة من نبي الله نوح أو من نبي الله لوط، ولكن مع ذلك صبرا على خيانة امرأتيهما. وتركا الأمر لله لينتقم لهما منهما، فكانتا من الداخلين في النار:

- ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ١٠﴾ [التحريم: 10]

نعم، تستطيع عزيزي الرجل أن تنتقم لنفسك إذا ما حصلت الخيانة (كعدم غض البصر من طرف امرأتك)، لكن تأكد بأنك لن تستطيع أن تنتقم لنفسك بالطريقة الأمثل، وربما يقع بسبب الغل الذي في قلبك بعضا من الظلم من طرفك، عندها قد تندم على ما قدمت يمينك، لأنك قد تصبح حينئذ من الجاهلين. لكن – بالمقابل- عندما توكل أمرك إلى الله، فيجب أن تعلم أنك إن غفلت أنت، فالله ليس بغافل عما يعمل الظالمون. وإن حاولوا أن يمكروا بك، فأعلم أن الله خير الماكرين. فأدعو الله وحده بأن لا تكون من الغافلين وبأن لا تكون من الجاهلين وبأن لا تكون من الظالمين. وأتي ربك بقلب سليم – آمين.

وللحديث بقية في الجزء الثاني القادم إن شاء الله.

فالله وحده أسأل أن يعلمني، وأن يزيدني علما، وأن يهدين لأقرب من هذا رشدا. وأعوذ به وحده أن أكون ممن يفترون عليه الكذب أو ممن يقولون عليه ما ليس لهم بحق، وأعوذ به أن يكون أمري كأمر فرعون، إنه هو العليم الحكيم - آمين.

المدّكرون: رشيد سليم الجراح & علي محمود سالم الشرمان
بقلم د. رشيد الجراح
14 حزيران 2018



فقه الصيام

الجزء الثاني



فقه الصيام - الجزء الثاني

تعرضنا في الجزء السابق من هذه المقالة إلى جملة من القضايا تخص فقه الصيام كما افتريناه من عند أنفسنا، وقد وصل بنا النقاش إلى تقسيم النساء إلى أربعة أصناف، هي على النحو التالي:

1. امرأة مؤمنة وبعلها كافر (كامرأة فرعون)
2. امرأة كافرة وبعلها مؤمن (كامرأة نوح ولوط)
3. امرأة كافرة وبعلها كافر (كامرأة أبي لهب، حمالة الحطب)
4. امرأة مؤمنة وبعلها مؤمن (كالكثير من عباد الله الصالحين)

وعلى المرأة نفسها أن تختار إلى أي المجموعات هي تنتمي، ولكن على الرجال المؤمنين أن يمتحنوا إيمان نسائهم، وهذا الامتحان (كما افترينا حينئذ) يتكون من جزئين اثنين لا ثالث لهما:

1. أن لا تكون ممن ترفع صوتها فوق صوت وليها (أي أن لا تجعل رأيها مقدما على رأي وليها)، فهي تستطيع أن تدلي برأيها، لكن في نهاية المطاف عليها أن تجعل هذا الرأي هو رأي وليها، ليتحمل هو بنفسه تبعات ذلك القرار.

2. أن لا تجهر بقولها، فعليها أن تكون من اللواتي تخافت بقولها، فلا يرتفع نبرة الكلام (volume) عن الحد الطبيعي، حتى لا تظهر وبكأنها تقارع الرجال في علو نبرة الكلام. (للتفصيل انظر مقالتنا السابقة)

وقد جاءنا من بعض القراء للمقالة السابقة الاستفسار التالي: لماذا على الرجل أن يصبر على خيانة امرأته؟ هل من المعقول أن أقبل العيش مع امرأة لا تغض بصرها؟ يسأل صاحبنا مستغربا!

رأينا المفترى: نحن نظن أن الدليل القرآني واضح بأن المرأة التي تأتي بالخيانة تمسك في البيت:

- ﴿وَٱلَّٰتِي يَأۡتِينَ ٱلۡفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمۡ فَٱسۡتَشۡهِدُواْ عَلَيۡهِنَّ أَرۡبَعَةٗ مِّنكُمۡۖ فَإِن شَهِدُواْ فَأَمۡسِكُوهُنَّ فِي ٱلۡبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلۡمَوۡتُ أَوۡ يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلٗا ١٥﴾ [النساء: 15]

أما الدليل العملي على ذلك فيتمثل في طرح التساؤل المعاكس وهو: ماذا لو لم يصبر الرجل على عدم غض امرأته بصرها أو حتى خيانتها إن حصلت لا قدر الله؟

رأينا المفترى: نحن نظن بأن عدم الصبر على خيانة المرأة أو حتى عدم الصبر على عدم غض المرأة لبصرها تكون له عواقب وخيمة على العائلة ذاتها وعلى المجتمع ككل. فتخيل - عزيزي القارئ- أنك لم تصبر على خيانة امرأتك، وآثرت أن توقع عليها فعل القصاص بشهادة البعض، فكيف ستكون انعكاسات ذلك على أهل بيتك؟ هل تقبل أن ينظر الناس إلى أبنائك وبناتك بعين الريبة؟ ألن يصبح ذلك عار يلاحق أبناءك وبناتك حتى الممات؟ ماذا ستكون الحالة النفسية لأبنائك وبناتك عندما يعرفون بخيانة والدتهم؟

وماذا ستكون نظرة المجتمع لهم من بعد ذلك؟ ألن تبقى بنتك تُنعت من قبل بعض ضعيفي النفوس أنها ابنت امرأة خائنة؟

رأينا المفترى: إن واحدة من أهم مقاصد الشريعة هو حفظ الأعراض، فخيانة المرأة يجب أن لا ينعكس سلبيا على الأبناء والبنات والأخوة والأهل جميعا، وعليه يتوجب على الرجل العاقل أن يحاول دفع الضرر الأكبر بالضرر الأصغر، فعليه أن يتحمل انعكاسات الأمر عليه نفسه، بدل أن يجعل انعكاساتها السلبية تطال الجميع، وبالتالي تتفاقم المشكلة، وربما يصعب السيطرة على عواقبها التي ربما تصل إلى درجة الكارثية التي تطال أفراد الأسرة جميعا والمجتمع كله من حولهم.

وسنحاول في هذا الجزء الجديد من المقالة متابعة البحث في قضايا الصيام التي أثرناها سابقا ولم تحن الفرصة بعد لمناقشتها بشكل أكثر تفصيلا، سائلين الله وحده أن يؤتينا رشدنا، فلا نكون ممن يفترون عليه الكذب أو ممن يقولون عليه ما ليس لهم بحق، إنه هو السميع البصير.

أما بعد،

المبحث الأول: كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ

السؤال: لماذا جاء التكليف بصيغة المبني للمجهول كُتِبَ (كما يحب النحويون أن ينعتوا شكل الفعل)؟ لماذا لم يأت النص بصيغة المبني للمعلوم على نحو "كَتَبَ الله" أو نحوها؟

رأينا المفترى: لو تتبعنا صيغة الفعل كُتِبَ على مساحة النص القرآني، لوجدنا بأنها جاءت مقرونة مع ما لا تطيقه النفس كما في حالة القصاص:

- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ فِي ٱلۡقَتۡلَىۖ ٱلۡحُرُّ بِٱلۡحُرِّ وَٱلۡعَبۡدُ بِٱلۡعَبۡدِ وَٱلۡأُنثَىٰ بِٱلۡأُنثَىٰۚ فَمَنۡ عُفِيَ لَهُۥ مِنۡ أَخِيهِ شَيۡءٞ فَٱتِّبَاعُۢ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيۡهِ بِإِحۡسَٰنٖۗ ذَٰلِكَ تَخۡفِيفٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَرَحۡمَةٞۗ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٞ ١٧٨﴾ [البقرة: 178]

أو في حالة كتابة الوصية عند حضور الموت:

- ﴿كُتِبَ عَلَيۡكُمۡ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ إِن تَرَكَ خَيۡرًا ٱلۡوَصِيَّةُ لِلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَ بِٱلۡمَعۡرُوفِۖ حَقًّا عَلَى ٱلۡمُتَّقِينَ ١٨٠﴾ [البقرة: 180]

أو في حالة القتال الذي هو أصلا كره لنا:

- ﴿كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ وَهُوَ كُرۡهٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٢١٦﴾ [البقرة: 216]

- ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٢٤٦﴾﴾ [البقرة: 246]

نتيجة مفتراة: نحن نفتري الظن بأن مجيء لفظ (كتب) في النص القرآني يدل على أن الأمر فيه مشقة وكره وإجبار على شيء يصعب على النفس تنفيذه.

السؤال: وهل هذا ينطبق على الصيام؟

رأينا المفترى: نعم. الصيام شيء لا تطيقه النفس الطبيعية. فهو لا يقل ثقلا عن كتابة الوصية عند الموت أو القتال أو حتى القصاص. انتهى.

السؤال: لماذا كتب علينا إذا؟

جواب مفترى: نحن نظن أن كتابته علينا هي كره لا مفر منه.

السؤال: لماذا؟

رأينا المفترى: بالرغم أنه كره لنا، لكن الله قد يجعل فيه خيرا كثيرا، قال تعالى:

- ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾﴾ [البقرة: 216]

فليس كل شيء تكرهه النفس هو شر لها، وليس كل ما نحب هو خير لنا:

- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴿١٩﴾﴾ [النساء: 19]

نتيجة مفتراة: الصيام مكتوب علينا لأن فيه المشقة التي تتثاقل منها النفس البشرية. لكن بالرغم من أنه غير محبب لنا، إلا أنه ليس شرا لنا بل قد جعل الله فيه خيرا كثيرا. انتهى.

السؤال: ما هو الخير الذي جعله الله في الصيام بالرغم من أن النفس قد لا تطيقه؟

جواب مفترى: إنها التقوى. قال تعالى:

- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٨٣﴾ [البقرة: 183]

المبحث الثاني: كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ

السؤال: من هم الذين من قبلنا وقد كتب عليهم الصيام مثلنا؟

رأينا المفترى: كل المؤمنين بالله الذين سبقونا. فالصيام مكتوب على كل المؤمنين منذ بدء البشرية على الأرض. انتهى.

الدليل

نحن نفتري الظن من عند أنفسنا بأن عبارة (الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ) تشمل جميع الخلائق منذ بدء حياة الإنسان على الأرض، وليس أدل على ذلك كم قوله تعالى:

- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ٢١﴾ [البقرة: 21]

فالصيام من سنة الله التي فرضها على الذين من قبلنا وقد بينها لنا في كتابه العزيز:

- ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمۡ وَيَهۡدِيَكُمۡ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَيَتُوبَ عَلَيۡكُمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٢٦﴾ [النساء: 26]

وهم من سلكنا مسلكهم وكدنا نكون من الخاسرين بغير هداية الله لنا:

- ﴿كَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنكُمۡ قُوَّةٗ وَأَكۡثَرَ أَمۡوَٰلٗا وَأَوۡلَٰدٗا فَٱسۡتَمۡتَعُواْ بِخَلَٰقِهِمۡ فَٱسۡتَمۡتَعۡتُم بِخَلَٰقِكُمۡ كَمَا ٱسۡتَمۡتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُم بِخَلَٰقِهِمۡ وَخُضۡتُمۡ كَٱلَّذِي خَاضُوٓاْۚ أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ٦٩﴾ [التوبة: 69]

وهؤلاء هم الأمم الذين عمروا الأرض وجاءتهم رسالات ربهم:

- ﴿أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ نَبَؤُاْ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ قَوۡمِ نُوحٖ وَعَادٖ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ لَا يَعۡلَمُهُمۡ إِلَّا ٱللَّهُۚ جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَرَدُّوٓاْ أَيۡدِيَهُمۡ فِيٓ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَقَالُوٓاْ إِنَّا كَفَرۡنَا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ وَإِنَّا لَفِي شَكّٖ مِّمَّا تَدۡعُونَنَآ إِلَيۡهِ مُرِيبٖ ٩﴾ [إبراهيم: 9]

نتيجة مفتراة: لماذا كانت سنة الله علينا وعلى الذين من قبلنا كتابة الصيام؟

رأينا المفترى: نحن نظن أن علينا التفريق بين "ما كتبه الله بنفسه" و "ما كُتِب علينا". فنحن نفتري القول من عند أنفسنا بأن ما كتبه الله بنفسه هو خير لنا بمجمله وهو ما تطلبه النفس ويحبه البشر، ولا يشكل أي عبء عليهم، وهذه تتمثل بقوله تعالى:

- ﴿وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلۡ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡۖ كَتَبَ رَبُّكُمۡ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَ أَنَّهُۥ مَنۡ عَمِلَ مِنكُمۡ سُوٓءَۢا بِجَهَٰلَةٖ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعۡدِهِۦ وَأَصۡلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٥٤﴾ [الأنعام: 54]

فربنا الذي خلقنا قد كتب على نفسه الرحمة، فكان ذلك خيرا للعباد جميعا. والله هو من جعل لنا من أنفسنا الأزواج التي نسكن إليها حتى في ليلة الصيام:

- ﴿أُحِلَّ لَكُمۡ لَيۡلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمۡۚ هُنَّ لِبَاسٞ لَّكُمۡ وَأَنتُمۡ لِبَاسٞ لَّهُنَّۗ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمۡ كُنتُمۡ تَخۡتَانُونَ أَنفُسَكُمۡ فَتَابَ عَلَيۡكُمۡ وَعَفَا عَنكُمۡۖ فَٱلۡـَٰٔنَ بَٰشِرُوهُنَّ وَٱبۡتَغُواْ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمۡۚ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلۡخَيۡطُ ٱلۡأَبۡيَضُ مِنَ ٱلۡخَيۡطِ ٱلۡأَسۡوَدِ مِنَ ٱلۡفَجۡرِۖ ثُمَّ أَتِمُّواْ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيۡلِۚ وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمۡ عَٰكِفُونَ فِي ٱلۡمَسَٰجِدِۗ تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقۡرَبُوهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ ١٨٧﴾ [البقرة: 187]

والله هو من كتب الأرض المقدسة لعباده الصالحين:

- ﴿يَٰقَوۡمِ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡأَرۡضَ ٱلۡمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِي كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمۡ وَلَا تَرۡتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدۡبَارِكُمۡ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ ٢١﴾ [المائدة: 21]

ولا شك أن ما أصابنا من خير فهو مما كتبه الله بنفسه:

- ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوۡلَىٰنَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٥١﴾ [التوبة: 51]
- ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنۡ حَسَنَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٖ فَمِن نَّفۡسِكَۚ وَأَرۡسَلۡنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولٗاۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدٗا ٧٩﴾ [النساء: 79]

نتيجة مفتراة: ما يكتبه الله بنفسه هو خير يجنبنا العذاب في الدنيا:

- ﴿وَلَوۡلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡجَلَآءَ لَعَذَّبَهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابُ ٱلنَّارِ ٣﴾ [الحشر: 3]

فالله (برحمته) قد كتب على هؤلاء الجلاء وإلا لكانت العاقبة وخيمة (العذاب).

السؤال: ماذا عن الذي لم يكتبه الله بنفسه ولكنه كُتِب علينا؟

جواب مفترى: نحن نظن أن كل ما حصل للإنسان من مصيبة هو بما كسبت أيدينا، والله هو من عفا عن كثير:

- ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ ۝٣٠﴾ [الشورى: 30]

السؤال: ماذا عن ما كُتِب علينا؟

رأينا المفترى: نحن نظن أن ما كُتب علينا كان بسبب مشكلة ما (نحن سببها) قد حصلت على أرض الواقع، فكان لابد من التعامل معها حتى لو كان بطريقة تكرهها النفس كالقتال مثلا أو ككتابة الوصية عند الموت أو كالقصاص.

السؤال: كيف ذلك؟

رأينا المفترى: لم يكتب الله القصاص على الناس منذ الأزل، لأن إرادة الله كانت تقتضي الخير للبشر، ولو اختار الناس أن ينزلوا تماما عند ما أراده الله لنا، لما كانوا أصلا بحاجة للقصاص، لكن لما اختار الإنسان أن لا يقف عند الإرادة الإلهية، واختار طواعية أن ينفذ إرادته المستقلة (التي لا تتطابق من إرادة الله) وقع في المحظور، فحصل القتل، فكان لابد من كتابة القانون الذي يردع هذا السلوك، وينظم حياة الناس بما يحقق لهم الخير حتى بعد وقوع المشكلة. فكانت الكتابة بصيغة المبني للمجهول (كما يحب أهل اللغة وصف صيغة الفعل هذا):

- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ فِي ٱلۡقَتۡلَىۖ ٱلۡحُرُّ بِٱلۡحُرِّ وَٱلۡعَبۡدُ بِٱلۡعَبۡدِ وَٱلۡأُنثَىٰ بِٱلۡأُنثَىٰۚ فَمَنۡ عُفِيَ لَهُۥ مِنۡ أَخِيهِ شَيۡءٞ فَٱتِّبَاعُۢ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيۡهِ بِإِحۡسَٰنٖۗ ذَٰلِكَ تَخۡفِيفٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَرَحۡمَةٞۗ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٞ ۝١٧٨﴾ [البقرة: 178]

والمنطق نفسه ينطبق في حالة الوصية عند حضور الموت:

- ﴿كُتِبَ عَلَيۡكُمۡ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ إِن تَرَكَ خَيۡرًا ٱلۡوَصِيَّةُ لِلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَ بِٱلۡمَعۡرُوفِۖ حَقًّا عَلَى ٱلۡمُتَّقِينَ ۝١٨٠﴾ [البقرة: 180]

وكذلك في حالة القتال:

- ﴿كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ وَهُوَ كُرۡهٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ۝٢١٦﴾ [البقرة: 216]

- ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلۡمَلَإِ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعۡدِ مُوسَىٰٓ إِذۡ قَالُواْ لِنَبِيّٖ لَّهُمُ ٱبۡعَثۡ لَنَا مَلِكٗا نُّقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ قَالَ هَلۡ عَسَيۡتُمۡ إِن كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُواْۖ قَالُواْ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدۡ أُخۡرِجۡنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبۡنَآئِنَاۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقِتَالُ تَوَلَّوۡاْ إِلَّا قَلِيلٗا مِّنۡهُمۡۚ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ٢٤٦﴾ [البقرة: 246]

توضيح: عندما خلق الله آدم وأسكنه وزوجه الجنة، لم يكن من الضروري أن يكتب الله قانون يتعلق بالقصاص والوصية والقتال، وذلك لأن حياة آدم وزوجه في الجنة لم تكن تستدعي ذلك لو بقي آدم يسكن الجنة مع زوجه كخليفة. لكن عندما آثر آدم ألا يلتزم بالإرادة الإلهية، وآثر النزول عند نصيحة الشيطان، حصل ما لا يحمد عقباه، فكان الخروج من الجنة على يد الشيطان:

- ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ يَنزِعُ عَنۡهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوۡءَٰتِهِمَآۚ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمۡ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡۗ إِنَّا جَعَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ٢٧﴾ [الأعراف: 27]

والله هو من أمر بهبوطهم منها جميعا:

- ﴿قُلۡنَا ٱهۡبِطُواْ مِنۡهَا جَمِيعٗاۖ فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٣٨﴾ [البقرة: 38]

نتيجة مفتراة 1: الشيطان هو من أخرج أبوينا من الجنة

نتيجة مفتراة 2: الله هو من أمر بهبوطهم جميعا منها

ومع هذا الخروج بدأت تظهر مشاكل جانبية لم تكن في حسبان آدم وزوجه من قبل، فكان لابد من تنظيم الحياة بعد الخروج من الجنة مع ظهور هذه المشاكل (المصائب) التي اقترفها الإنسان بيده، فجاءت مرحلة جديدة في الكتابة، وهي (نحن نفتري الظن ربما مخطئين) التي وردت في النص القرآني على صيغة "كُتِبَ عَلَيْكُمُ".

نتيجة مفتراة (1): صيغة كَتَب ربكم صيغة أزلية في اللوح المحفوظ. كتبها الله بنفسه.

نتيجة مفتراة (2): صيغة "كُتِب عليكم" صيغة مستحدثة حصلت بعد خروج آدم وزوجه من الجنة.

وهذه الصيغة (صيغة المبني للمجهول) تضطرد في السياقات القرآنية الأخرى مثل قضايا الأكل (حرمت عليكم):

- ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣﴾﴾ [المائدة: 3]

وكذلك في قضايا النكاح (حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ):

- ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُم مِّنَ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَائِبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُم مِّن نِّسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ وَأَن تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٣﴾﴾ [النساء: 23]

والسبب في ذلك هو أن آدم كان يسكن الجنة وزوجه، فكان مباح لهم الأكل من حيث شاءا باستثناء الشجرة:

- ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٣٥﴾﴾ [البقرة: 35]
- ﴿وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٩﴾﴾ [الأعراف: 19]

فما كان هناك تحريم في الأكل، لكن ما أن أخرج الشيطان أبوينا من الجنة حتى بدأت قصة التحريم في الأكل، فجاءت بصيغة (حُرِّمت عليكم)، أي المبني للمجهول (بالمفردات اللغوية).

والمنطق نفسه ينطبق في حالات النكاح، فقد سكن آدم وزوجه الجنة كأزواج، وكان من المفترض أن يكون آدم خليفة، لذا، لم يكن هناك حاجة للجنس المعروف الآن. فكان التكاثر (نحن نتخيل) سيتم بالنفخ، وعندها لن يكون هناك أنساب بينهم، كما ستكون حالة جنة الخلد التي ستنتهي إليها الحياة:

- ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٩٤﴾﴾ [الأنعام: 94]
- ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ ﴿١٠١﴾﴾ [المؤمنون: 101]

لكن ما أن هبط آدم وزوجه من الجنة، وقد بدت لهما سوءاتهما حتى كان الجنس بين الذكر والأنثى قد اتخذ شكلا جديدا، فكان لابد من تنظيم هذه العلاقة بقوانين لاحقة للخروج من الجنة، فجاءت بصيغة (كُتِب عليكم)، أي بصيغة المبني للمجهول.

نتيجة مفتراة 1: السنن الإلهية الأزلية هي التي كتبها الله ربنا، وهي لا شك خير لا مشقة فيها

نتيجة مفتراة 2: القوانين المنظمة للحياة بعد هبوط آدم وزوجه من الجنة هي التي كتبت علينا كتابة، وكان فيها مشقة علينا.

عودة على بدء

السؤال مرة أخرى: لماذا جاءت آية مشروعية الصيام بصيغة كُتِب عليكم؟

- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٨٣﴾ [البقرة: 183]

جواب مفترى من عند أنفسنا: نحن نفتري الظن أن الصيام لم يكن مكتوبا علينا في الأزل، لقد كان من المفترض (نحن لا زلنا نتخيل) أن تكون الحياة في جنة المأوى الأولى (لولا نزول آم عند نصيحة الشيطان) سهلة ميسرة لا مشاكل فيها، ولكن ما أن أُهبط آدم وزوجه من الجنة حتى بدأت المشاكل (لا بل المصائب) تتوالى واحدة تلو الأخرى. فكان لابد من كتابة جديدة تنظم سير الحياة بوجود هذه المصائب التي أصبح حقيقة واقعة بسبب ما كسبت أيدي الناس. لذا، نحن نفتري الظن (ربما مخطئين) بأن الصيام قد كتب علينا بعد الخروج من الجنة وذلك لمعالجة "مصيبة" أحدثها الإنسان على أرض الواقع. وهذا بالضبط ما نفهمه من قوله تعالى:

- ﴿فَقُلۡنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوّٞ لَّكَ وَلِزَوۡجِكَ فَلَا يُخۡرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلۡجَنَّةِ فَتَشۡقَىٰٓ ١١٧﴾ [طه: 117]

فالشقاء في رحلة آدم كان نتيجة حتمية للخروج من الجنة. انتهى.

الدليل

عندما أسكن الله آدم وزوجه الجنة، كان الخطاب الإلهي له على النحو التالي:

- ﴿وَقُلۡنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ وَكُلَا مِنۡهَا رَغَدًا حَيۡثُ شِئۡتُمَا وَلَا تَقۡرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٣٥﴾ [البقرة: 35]
- ﴿وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ فَكُلَا مِنۡ حَيۡثُ شِئۡتُمَا وَلَا تَقۡرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٩﴾ [الأعراف: 19]

فما كان شيء في الجنة ممنوع على آدم وزوجه الأكل منها إلا تلك الشجرة.

السؤال: هل لو بقي آدم يسكن الجنة مع زوجه كخليفة فيها، هل كان مضطرا لأن يصوم؟ هل كان سيطلب منه أن يصوم؟

جواب مفترى: كلا وألف كلا. لأن الله قد أباح لهما الأكل منها حيث شاءا.

السؤال: متى فرض الصيام علينا إذا؟

جواب مفترى: نحن نفتري القول من عند أنفسنا أن الصيام قد فرض بعد الهبوط من الجنة.

السؤال: لماذا فرض الصيام علينا بعد الهبوط من الجنة؟

جواب مفترى من عند أنفسنا: لأن الشيطان قد نزع عنا (أي آدم وزوجه) لباس التقوى، ولندقق في السياق القرآني التالي من أوله حتى آخره، قال تعالى:

- ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٢٤﴾ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴿٢٥﴾ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِى سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشًا ۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٢٦﴾ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآ ۗ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ۗ إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [الأعراف: 23-27]

لو تدبرنا هذه الآية الكريمة، لوجدنا على الفور قصة المعصية الأولى التي ارتكبها آدم بعد النزول عند نصيحة الشيطان، فكان الشيطان هو من نزع عنهما لباسهما، فأصبحا عرضة للرؤية المباشرة. فما تبقى عليهما لباسا يقيهما من خطر الشيطان.

السؤال: ما ماهية ذلك اللباس الذي نزعه الشيطان عن آدم وزوجه؟

جواب مفترى: لأشك أنه لباس التقوى، أي الوقاية. فمادام آدم وزوجه يلبسان ذلك اللباس، فهما في منأى عن أذى الشيطان، لأن ذلك اللباس يقيهما من نصب الشيطان وعذابه. فكانت مكيدة الشيطان مبنية أصلا على أن ينزع عنهما لباسهما ليصبحا فريسة سهلة له:

- ﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآ ۗ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ۗ إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [الأعراف: 27]

فكانت تلك فتنة الشيطان لآدم وزوجه، فأصبحا فريسة سهلة مادام أنه يراهم هو وقبيله من حيث لا نراهم (إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ). وبهذا استحكم الشيطان من بني آدم خاصة الذين لا يؤمنون، فكان هو وليهم (إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ).

نتيجة مفتراة مهمة جدا جدا: كان اللباس الذي يلبسه آدم وزوجه في الجنة قبل أن ينزعه الشيطان عنهما كفيل بصد خطر الشيطان وقبيله. فكان آدم وزوجه في منأى عن أن يلحق بهما أذى من الشيطان مادام يلبسان ذاك اللباس. فكان ذلك هو لباس التقوى (أي الوقاية). فكان ذلك بمثابة الدرع الواقي من خطر الشيطان.

منطقنا المفترى: ما أن نزع الشيطان عن آدم وزوجه ذلك اللباس، أي لباس التقوى، حتى كانا بحاجة إلى لباس يواري سوءاتهما، التي طفقا يخصفان عليها بادئ الأمر من ورق الجنة.

- ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ٢٦﴾ [الأعراف: 26]

السؤال: هل هذا اللباس الجديد (الذي يواري السوءة) كفيل بأن يصد عن آدم وزوجه أذى الشيطان؟

جواب مفترى: كلا وألف كلا. فهذا اللباس هو ما يصد البصر (كبصرنا) لكنه لا يمنع الرؤيا. فبالرغم أننا نحن البشر نستخدم هذا اللباس لتغطية السوءة، لكن هذا اللباس لا يمنع الشيطان من يرانا هو وقبيله من حيث لا نراهم:

- ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ يَنزِعُ عَنۡهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوۡءَٰتِهِمَآۚ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمۡ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡۗ إِنَّا جَعَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ٢٧﴾ [الأعراف: 27]

السؤال: لماذا؟

رأينا المفترى: نحن نظن بأن الشيطان يستطيع أن يرى ما لا نراه وذلك لأنه مخلوق أصلا من مارج من نار:

- ﴿وَخَلَقَ ٱلۡجَآنَّ مِن مَّارِجٖ مِّن نَّارٖ ١٥ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ١٦﴾ [الرحمن: 15-16]

السؤال: وكيف ذلك؟

رأينا المفترى: نحن نظن أن المارج من نار هو حالة النار التي تميل إلى اللون الأزرق. انتهى

السؤال: لماذا؟ أي لماذا تظن أن لون الشيطان يميل إلى الزرقة؟

جواب مفترى خطير جدا: لأنه مخلوق من مارج من النار.

باب: المقولة الشعبية الجن الأزرق صحيحة

لقد نشأت أنا شخصيا في بيئة عربية، وغالبا ما سمعت العبارة التهديدة من طرف لطرف آخر متخاصمين على النحو التالي: بخلي الجن الأزرق ما يدري عنك!

ليكون السؤال: لماذا نعت الفكر الشعبي الجن بأنه أزرق اللون؟

رأينا المفترى: نحن نظن أن هذه العبارة صحيحة لأن الجن مخلوق من مارج من نار. انتهى.

لجلب الدليل على صحة هذا الافتراء، علينا إذا أن نطرح التساؤل التالي على الفور: ما معنى المارج؟

رأينا المفترى: نحن نظن أن من كان مارجا أو ممروجا (أو له علاقة بالمرج)، فإن علاقة بالزرقة (اللون الأزرق)

الدليل

قال تعالى:

- ﴿ ۞ وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٥٣﴾ ﴾ [الفرقان: 53]
- ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ ﴾ [الرحمن: 19]

إن عملية مرج البحرين لا تعني بأي حال من الأحوال التقاء البحرين، وذلك لأن المرج شيء (مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ) والالتقاء شيء آخر (يَلْتَقِيَانِ)، وكلا المفردتين تردان معا في الآية ذاتها:

- ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ ﴾ [الرحمن: 19]

السؤال مرة أخرى: ما معنى المرج إذا؟

بداية، دعنا نستعرض أقوال أهل الدراية في كتب التفاسير المعتمدة كتفسير القرطبي والطبري مثلا. فقد جاء في القرطبي ما نصه:

مرج

أي خلى وأرسل وأهمل , يقال : مرج السلطان الناس إذا أهملهم . وأصل المرج الإهمال كما تمرج الدابة في المرعى . ويقال : مرج خلط . وقال الأخفش : ويقول قوم أمرج البحرين مثل مرج , فعل وأفعل بمعنى.

البحرين

قال ابن عباس : بحر السماء وبحر الأرض , وقاله مجاهد وسعيد بن جبير.

يلتقيان

في كل عام . وقيل : يلتقي طرفاهما . وقال الحسن , وقتادة : بحر فارس والروم . وقال ابن جريج : إنه البحر المالح والأنهار العذبة . وقيل : بحر المشرق والمغرب يلتقي طرفاهما . وقيل : بحر اللؤلؤ والمرجان.

وجاء في الطبري ما نصه:

مرج البحرين يلتقيان

وقوله } : مرج البحرين يلتقيان{ يقول تعالى ذكره : مرج رب المشرقين ورب المغربين البحرين يلتقيان , يعني بقوله } : مرج: { أرسل وخلى , من قولهم : مرج فلان دابته : إذا خلاها وتركها . وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل . ذكر من قال ذلك : 25517 - حدثني علي , قال : ثنا أبو صالح , قال : ثني معاوية , عن علي , عن ابن عباس , قوله } : مرج البحرين { يقول : أرسل. واختلف أهل العلم في البحرين اللذين ذكرهما الله جل ثناؤه في هذه الآية , أي البحرين هما؟ فقال بعضهم : هما بحران : أحدهما في السماء , والآخر في الأرض . ذكر من قال ذلك : 25518 - حدثنا ابن حميد , قال : ثنا يعقوب , عن جعفر , عن ابن أبزى }مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان { قال : بحر في السماء , وبحر في الأرض . 25519 - حدثنا أبو كريب , قال : ثنا ابن يمان, عن أشعث , عن جعفر عن سعيد , في قوله } : مرج البحرين يلتقيان{ قال : بحر في السماء , وبحر في الأرض . 25520 - حدثني محمد بن سعد , قال : ثني أبي , قال : ثني عمي , قال : ثني أبي , عن أبيه , عن ابن عباس , في قوله } : مرج البحرين يلتقيان { قال : بحر في السماء والأرض يلتقيان كل عام .وقال آخرون : عنى بذلك بحر فارس وبحر الروم. ذكر من قال ذلك : 25521 - حدثنا ابن حميد , قال : ثنا مهران , عن سفيان , عن زياد مولى مصعب , عن الحسن }مرج البحرين يلتقيان {قال : بحر الروم , وبحر فارس واليمن- 25522 . حدثنا بشر , قال : ثنا يزيد , قال : ثنا سعيد , عن قتادة , قوله } : مرج البحرين يلتقيان { فالبحران : بحر فارس , وبحر الروم - * .حدثنا ابن عبد الأعلى , قال : ثنا ابن ثور , عن معمر , عن قتادة }مرج البحرين يلتقيان { قال : بحر فارس وبحر الروم . وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب قول من قال : عنى به بحر السماء , وبحر الأرض , وذلك أن الله قال }يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان { واللؤلؤ والمرجان إنما يخرج من أصداف بحر الأرض عن قطر ماء السماء , فمعلوم أن ذلك بحر الأرض وبحر السماء.

وهذا ما جاء عند ابن كثير في تفسير الآية ذاتها:

مرج البحرين يلتقيان

قال ابن عباس أي أرسلهما وقوله " يلتقيان " قال ابن زيد أي منعهما أن يلتقيا بما جعل بينهما من البرزخ الحاجز الفاصل بينهما والمراد بقوله البحرين الملح والحلو فالحلو هذه الأنهار السارحة بين الناس وقد قدمنا الكلام على ذلك في سورة الفرقان عند قوله تعالى" وهو الذي مرج البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج وجعل بينهما برزخا وحجرا محجورا " وقد اختار ابن جرير ههنا أن المراد بالبحرين : بحر السماء وبحر الأرض وهو مروي عن مجاهد وسعيد بن جبير وعطية وابن أبزى قال ابن جرير لأن اللؤلؤ يتولد من ماء السماء وأصداف بحر الأرض وهذا وإن كان هكذا لكن ليس المراد بذلك ما ذهب إليه فإنه لا يساعده اللفظ.

إن ما يهمنا طرحه بعد استعراض هذه التفاسير "العظيمة" هو ظننا بأن هذه التفاسير جميعها لم تقف على الفرق بين المرج والالتقاء، فلا هي بينت لنا كيفية مرج البحرين ولا كيفية التقائهما، وكان أغلب الجهد منصبا على تحديد البحرين المقصودين في الآية الكريمة. لذا، نحن لن نتردد (كعادتنا) أن ننتعت هذه التفاسير بالسطحية في الطرح. والحالة هذه، فإننا سنتجرأ على مخالفة أهل العلم، محاولين في الوقت ذاته تقديم فهما بديلا نظن أنه قد يكون أكثر دقة وربما أكثر وجاهة.

أما بعد،

باب المرج

السؤال: ما هو المرج؟

جواب مفترى: نحن نفتري الظن بأن المرج له علاقة باللون. فعندما يلتقي البحران (هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ) يكون واضحا للعيان ذلك البرزخ الذي جعله الله بينهما (وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا). لكن ما يلفت الانتباه هو كيفية معرفة أن هذا بحر وهذا بحر آخر عند نقطة الالتقاء، ليكون السؤال الذي يمكن أن يطرح على الفور هو: كيف نحدد نقطة التقاء البحرين (أي بحرين)؟

رأينا المفترى: نحن نفتري الظن بأن تحديد نقطة الالتقاء بين البحرين لا تتم إلا بعملية المرج، وهي – برأينا- درجة اختلاف لون زرقة البحرين. انتهى.

نتيجة مفتراة: المرج هو التدرج في اللون الأزرق لتمييز البحرين اللذين بينهما حاجزا، فلا يبغيان، أي لا يبغي البحر الكبير على البحر الصغير.

تلخيص ما سبق: لقد جعل الله بين البحرين حاجزا:

- ﴿أَمَّن جَعَلَ ٱلۡأَرۡضَ قَرَارٗا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنۡهَٰرٗا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِيَ وَجَعَلَ بَيۡنَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ حَاجِزًاۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ٦١﴾ [النمل: 61]

وهذا هو البرزخ الذي يقع بينهما:

- ﴿۞وَهُوَ ٱلَّذِي مَرَجَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ هَٰذَا عَذۡبٞ فُرَاتٞ وَهَٰذَا مِلۡحٌ أُجَاجٞ وَجَعَلَ بَيۡنَهُمَا بَرۡزَخٗا وَحِجۡرٗا مَّحۡجُورٗا ٥٣﴾ [الفرقان: 53]

وهو ما يجعل البحرين لا يبغيان، أي لا يتعدى بحر منهما على الآخر:

- ﴿مَرَجَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ يَلۡتَقِيَانِ ١٩ بَيۡنَهُمَا بَرۡزَخٞ لَّا يَبۡغِيَانِ ٢٠﴾ [الرحمن: 19-20]

فالحاجز أو البرزخ أو الحجر المحجور هو ما يجعل البحرين لا يبغيان، لكن يبقى السؤال القائم هو: كيف نستطيع تحديد تلك المنطقة الواقعة بين البحرين حيث يكون الحاجز أو البرزخ أو الحجر المحجور (ملاحظة: سنتعرض لتفصيل هذه المفردات في مواضع قادمة متى أذن الله لنا بشيء من علمه فيها إن شاء الله)؟

رأينا المفترى: نحن نظن أن ما يجعل عملية تحديد الحاجز أو البرزخ سهلة للعيان هو عملية المرج، فعند التقاء ماء البحرين، تتوقف عملية دخول ماء البحر الأول في ماء البحر الثاني بفعل الحاجز الذي يقع بينهما، ويكون ذلك واضحا تماما عند نقطة المرج، وهي اختلاف لون ماء البحر الأول عن لون ماء البحر الثاني، وفي هذه اللحظة تكون عملية المرج واضحة حتى للناظر بالعين المجردة كما في الشكل التوضيحي الذي يحمله الرابط التالي لمن أراد التوضيح أكثر:

https://www.youtube.com/watch?v=FojlQfh5uHY

السؤال: ما علاقة هذا بالمارج من النار الذي خلق منه الجآن؟

- ﴿وَخَلَقَ ٱلۡجَآنَّ مِن مَّارِجٖ مِّن نَّارٖ ١٥ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ١٦﴾ [الرحمن: 15-16]

جواب مفترى: نحن نفتري الظن من عند أنفسنا (ربما مخطئين) بأن المارج من نار هو حالة النار التي يميل اللون فيها إلى الزرقة (أو ما يسمى بالمفردات الأجنبية Blue Fire). فالنار تنتج اللهب والدخان. ولكن لو دققنا في لون اللهب، لوجدنا أنه متعدد الألوان، فهناك اللهب الأحمر والبرتقالي والأزرق والأصفر وحتى اللهب الأبيض. ولون اللهب يعتمد على المادة الكيميائية المضافة، كما في الجدول التالي:

Main article: Pyrotechnic colorant

Color	Chemical	Image
Carmine (dark red)	Lithium chloride	
Red	Strontium chloride or strontium nitrate	
Orange	Calcium chloride	
Yellow	Barium chloride	
Light Orange	Sodium chloride (table salt) or (street lights)	
Apple green	Borax (sodium borate)	
Green	Copper(II) sulfate, boric acid	
Blue	Copper(I) chloride, butane	
Violet	3 parts potassium sulfate, 1 part potassium nitrate (saltpeter)	
Peach (light pink)	Potassium chloride	

Source: https://en.wikipedia.org/wiki/Colored_fire

ولو دققنا في اللهب الأزرق على وجه التحديد، لوجدنا أن المواد المضافة هي Copper(I) chloride, butane

ولو عدنا إلى الآية الكريمة التالية التي تهدد الإنس والجان معا، لوجدناها تتحدث عن صد هجوم الجن والإنس (إن هما نفذا من أقطار السموات والأرض) بطريقتين وهما (1) الشواظ من نار و (2) النحاس:

- يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانفُذُوا لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ (33) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (34) يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ (35)
- ﴿يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ إِنِ ٱسۡتَطَعۡتُمۡ أَن تَنفُذُواْ مِنۡ أَقۡطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ فَٱنفُذُواْۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلۡطَٰنٖ ٣٣ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ٣٤ يُرۡسَلُ عَلَيۡكُمَا شُوَاظٞ مِّن نَّارٖ وَنُحَاسٞ فَلَا تَنتَصِرَانِ ٣٥﴾ [الرحمن: 33-35]

نتيجة مفتراة من عند أنفسنا: تبين لنا الآية الكريمة أن هناك وسيلتين لصد هجوم معشر الجن والإنس وهما الشواظ من نار (butane) والنحاس (Copper(I) chloride)

تساؤلات

- ⇐ ما هو الشواظ من نار؟
- ⇐ ما هو النحاس؟
- ⇐ لماذا جاء التهديد لمعشر الجن والإنس بهاتين الوسيلتين؟
- ⇐ ما علاقة هذا كله بالمرج؟
- ⇐ الخ.

باب: شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ

لو دققنا أكثر في ماهية النحاس، لوجدناه يتجمع مع الذهب والفضة في المجموعة الكيميائية رقم 11. فهذه المعادن متجاورة على الجدول الكيميائي (neighbours in the periodic table)، وهذه المعادن الثلاث على وجه التحديد هي المعادن التي استخدمت على مر الزمان للتداول في السوق، فكانت العملات ذهبية وفضية ونحاسية، فأصبحت تعرف بـ (coinage metals). فكان لهذه المعادن قيمة نقدية (monetary value) متداولة في الأسواق على مر الزمان وفي كل المجتمعات

ولو دققنا أكثر، لوجدنا بأن النار ذات اللون الزرقاء (blue fire) تنتج من حرق الكحوليات والأملاح المعدنية. ولو عدنا إلى المعرفة البسيطة عن مادة البوتين ()، لوجدنا التعريف التالي:

Butanes are highly flammable, colorless, easily liquefied gases that quickly vaporize at room temperature

نتيجة مفتراة 1: نحن نظن بأن الشواظ من نار هي المادة سريعة الاشتعال تستعمل لصد هجوم الجن والإنس إن هم نفذوا من أقطار السموات والأرض

نتيجة مفتراة 2: نحن نظن بأن النحاس هي مادة أخرى تستخدم لصد ذلك الهجوم أيضا

نتيجة مفتراة: اللهب الناتج عن هذين السلاحين هو لهب بلون أزرق.

السؤال: لماذا اللهب الأزرق على وجه التحديد؟

رأينا المفترى: لمحاولة الإجابة على هذا التساؤل، دعنا ندقق في الآية الكريمة التالية:

- ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِۚ وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ١٠٢﴾ [طه: 102]

السؤال: لماذا سيحشر المجرمون بالذات زرقا؟

افتراء خطير جدا: نحن نظن بأن المجرمين سيحشرون زرقا بسبب نفاذ الشيطان (الذين هم أصلا قد خلقوا من مارج من نار – أي النار ذات اللون الأزرق) إليهم، فما استطاعوا أن يتسلحوا بلباس التقوى ضدها، فبانت عليهم في يوم الحشر.

السؤال: وكيف ذلك؟

لتوضيح هذه الجزئية، علينا أن نطرح جملة من التساؤلات التي ستبدو للوهلة الأولى غريبة جدا، وربما يظنها البعض ابتعادا عن صلب الموضوع، لكن نطلب من القارئ الكريم – إن أراد متابعة النقاش معنا- أن ينتظر قليلا ليرى بأم عينه ما ستؤول إليه الأمور في نهاية المطاف.

التساؤلات

⇐ ما لون الدم؟
- ما وظيفة الدم في الجسم؟
⇐ كيف ينتقل الدم في الجسم؟
⇐ الخ

باب لون الدم:

لو عدنا إلى المعرفة الأولية عن الدم، لوجدنا التعريف التالي:

Blood is a constantly circulating fluid providing the body with nutrition, oxygen, and waste removal

ولو دققنا أكثر، لوجدنا المعلومة التالية:

About half of blood volume is composed of blood cells:

• Red blood cells, which carry oxygen to the tissues

• White blood cells, which fight infections

• Platelets, smaller cells that help blood to clot

Blood is conducted through blood vessels (arteries and veins). Blood is prevented from clotting in the blood vessels by their smoothness, and the finely tuned balance of clotting factors.

ولو دققنا أكثر لوجدنا بأن لون الدم البشري هو أحمر، بينما نجد أن لون الدم عند بعض الكائنات الأخرى مثل (lobsters, spiders and snails) هو أزرق. ليكون السؤال: لماذا؟

رأينا المفترى: ربما التفسير العلمي الأقرب للحقيقة في ظننا هو أن دم الإنسان يحتوي على مادة الحديد أو الهيموجلبين (hemoglobin بالمفردات الأجنبية)، وعندما يتفاعل الأوكسجين مع الحديد، ينتج اللون الأحمر، بالضبط كلون الكوكب الأحمر (Mars) الذي يحتوي غباره (dirt) على كمية كبيرة من الحديد.

نتيجة مفتراة من عند أنفسنا: عندما يتفاعل الحديد الموجود في الدم مع الأوكسجين، فإنه ينقلب إلى اللون الأحمر، تماما كما يحصل عندما تصدأ بعض المعادن، فإنها تتحول إلى اللون الأحمر الفاتح (red-ish orange)

لكن بعض الكائنات الأخرى ذات الدم الأزرق، فإن ما هو موجود في دمها، فهي مادة النحاس (copper)، وعندما يتفاعل الأوكسجين في دمها مع النحاس، فإنه يتحول إلى اللون الأزرق.

السؤال: لماذا تبدو شرايين الدم في جسم الانسان باللون الأخضر الذي يميل إلى الزرقة (blueish green)؟

رأينا المفترى: نحن نظن أن السبب في ذلك يعود إلى أن عروق الدم والشرايين التي تنقل الدم في جسم الإنسان هي ذات لون الأزرق، لذا يظهر على جلد الإنسان بأن عروق الدم تتلون باللون الأزرق الذي يميل إلى الاخضرار (blueish green).

وهنا نطرح التساؤل القوي جدا وهو: لماذا لون العروق والشرايين في جسم الإنسان هو لون أزرق يميل إلى الخضرة (blueish green)؟

رأينا المفترى: لقد حاولنا طرح هذا السؤال على أهل الاختصاص، وبحثنا في مصادر العلم عن آثارة من علم تفيدنا في هذا الاتجاه، فلم نجد ما يرقى إلى درجة التفسير، وكل ما وجدناه هو وصف للحالة الراهنة فقط. فجوابهم ملخصه هو: هكذا هي؟

السؤال مرة أخرى: هل نستطيع تفسير ظاهرة أن تكون عروق الإنسان وشرايينه ذات لون أخضر يميل إلى الزرقة (blueish green)؟

جواب مفترى أغرب من الخيال نفسه (لا تصدقوه): نحن نظن أنها الشجرة. انتهى.

السؤال: أي شجرة؟

جواب مفترى: شجرة الخلد التي وعد الشيطان بها آدم وزوجه.

السؤال: وكيف ذلك؟

رأينا المفترى: عندما خلق الله آدم، وخلق زوجا له من نفسه، جعل شرايين الدم في جسمه كالشجرة، خضراء يانعة. وألبس آدم وزوجه لباس التقوى، فكانت تلك الشجرة عصية على الشيطان، فما استطاع النفاذ إليها بسبب لباس التقوى (الدرع الواقي). ولكن حتى يستطيع الشيطان النفاذ إلى تلك الشجرة الخضراء اليانعة في جسم آدم وزوجه ليفسدها، كان لزاما عليه أن ينزع عنهما لباسهما، وبالفعل نجح الشيطان في ذلك، فنزع عن آدم وزوجه لباسهما، فأصبح يراهما من حيث لا يرونه. فاستطاع الشيطان وهو المخلوق من مارج من نار أن ينفذ إلى تلك الشجرة (عروق وشرايين الحياة في جسم آدم). فبعد أن كانت خضراء يانعة لا يشيبها ما يعيب، نفذ الشيطان إلى تلك العروق فأصابها بشيء من الأذى، فأصبحت زرقاء وإن بقي فيها شيء من الاخضرار.

السؤال: أين الدليل على ذلك؟

رأينا: لو رجعنا إلى عملية التطهر، لوجدنا بأن الدم هو المطهر الحقيقي من رجس الشيطان. فخروج دم المحيض هو عملية تطهيرية لجسم المرأة من ذلك الأذى:

- ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَۖ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾﴾ [البقرة: 222]

وذلك لأن الدم (نحن نفتري الظن) هو محبط لنشاط الشيطان في عروق وشرايين الإنسان.

الدليل

عادة ما يتم قياس قوة دم الشخص عند قدومه إلى المشفى، فإذا ما كان دم الشخص طبيعيا، كان أكثر قدرة على مقاومة رجس الشيطان (كالفيروسات والبكتيريا الضارة)، وتتكفل كريات الدم البيضاء بالدفاع عن الجسم من أي خطر يتهدده. ولو راقبنا نشاط كريات الدم البيضاء، لوجدنا بأنها تصل أوجها في مرحلة

الشباب، وذلك لأن دم الإنسان يكون في أوج قوته. ولكن إذا ما ضعف دم الإنسان في جسمه، فإن الأمراض تغزوه من كل حدب وصوب. فتكثر الأمراض في مرحلة الطفولة والشيخوخة، وذلك لأن دم الإنسان في هذه المرحلة لا يكون قد بلغ أقصى درجات القوة والفاعلية. لكن ما يميز مرحلة الطفولة هو أن وتيرة الدم تأخذ بالارتفاع وتزداد قوة مع الزمن، وكلما اشتدت قوة دم الطفل، كلما قلت الأخطار على جسمه من أذى الشيطان، وتكاد تنعدم في فترة بلوغ الإنسان أشده.

أما في مرحلة الشيخوخة، فإن قوة الدم تبدأ بالتناقص، فتتوالى الأخطار وتزداد مع الزمن. وهذا بالضبط ما نفهمه نحن (ربما مخطئين) من الآية القرآنية التالية:

- ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ ۝٥٤﴾ [الروم: 54]

فكانت مرحلة الطفولة ضعفا، فجاءت مرحلة الشباب قوة من بعد ضعف، ثم جاءت مرحلة الشيخوخة ضعفا وشيبة من بعد قوة.

نتيجة مفتراة: الدم هو المحبط الرئيس لرجس الشيطان، فهو مانع لنشاط الشياطين.

ولو راقبنا لون عروق وشرايين الدم عند الطفل، لوجدنها لا تزال غضة طرية، ضعيفة، تميل إلى الاخضرار، ثم ما تلبث أن تشتد وتقوى مع فترة الشباب، وتبقى تميل إلى الخضرة أكثر منها إلى الزرقة، ولكن مع تقدم العمر تبدأ هذه العروق والشرايين بالضعف من جديد، وتصبح تميل إلى الزرقة أكثر منها إلى الخضرة.

السؤال: لماذا؟ إن ازدياد قوة الدم تجعل الزرقة (أثر الشيطان) أقل من الخضرة (خضرة الشجرة)، ولكن عندما يضعف هذا الدم، فإن ذلك يؤدي إلى ازدياد نشاط الشياطين في العروق والشرايين، فتطغى الزرقة على الخضرة.

ولو راقبنا ما يحصل لجسم الإنسان في حالة تعرضه للكمات، فإن سنجد أثر ذلك واضحا باللون الأزرق على المنطقة التي تعرض للكمة. فتظهر على الجلد باللون الأزرق، والسبب في ذلك هو وجود الدم الذي تخثر فما عاد نشيطا ليدفع عن نفسه الضرر، فيتبقى أثر الشيطان، فيظهر للعيان أثر ذلك على الجلد.

انعكاسات هذه الافتراءات

الباب الأول: أصحاب الدم الأزرق (Blue blood)

يظهر الموروث الشعبي عن كثير من الأمم فكرة وجود عائلات ذات دم أزرق (Blue-blooded families)، وغالبا ما كانت هذه العائلات ذات مواقع قيادية في المجتمع، تنتمي غالبا إلى الطبقة الراقية ضمن تصنيفات بشرية. فغالبا ما ظن الناس أن هذه العائلات ذات مكانة مالية واجتماعية وسياسية راقية.

وغالبا ما أخذت هذه العائلات هذا الأمر على محمل الجد، لذا يضعون كثيرا من الحواجز بينهم وبين الطبقات التي ينظرون إليها بدونية، فهم في نظرهم لا يرقون إلى المستوى الرفيع الذي اكتسبوه هم بعامل الوراثة.

السؤال: هل هذا صحيحا؟ هل فعلا هذه عائلات مميزة وراثيا؟ وكيف يمكن أن نثبت أو أن بطل مثل هذا الادعاء؟

رأينا المفترى: نعم، هذه عائلات مميزة وراثيا، وحق لهم أن يدعوا أنهم أصحاب الدم الأزرق. لكن يبقى السؤال القائم هو: كيف نستطيع أن نفهم ذلك؟

رأينا المفترى: نحن نظن أن هذه العائلات قد وصلت إلى مكانة مرموقة فعلا بالمجتمع، وتوارثت هذه الصفة حتى أصبح ذلك طابعا مميزا لهم عن غيرهم، ولكننا نتجرأ على افتراء الظن بأن هذا قد تم بفعل الشيطان الأزرق (المارج من نار). انتهى.

السؤال: وكيف ذلك؟

رأينا المفترى: لو راقبنا سلوك هذه العائلات، لوجدناهم يبحثون عن المجد والكبرياء في كل مراحل حياتهم، فهم يتكبرون على من هم سواهم، كان لزاما عليهم أن يبحثوا عن غايتهم مهما كانت الوسيلة. فهذه العائلات قد باعت دمائها للشياطين، فنفذت إليهم، من أجل كسب منافع لهم على حساب غيرهم. فهم لا يعيرون انتباها كثيرا لطريقة وصولهم إلى غايتهم، فالغاية عندهم تبرر الوسيلة، فوصلوا إلى المال حتى بالطرق غير المشروعة (فكانت الشياطين هي من تهديهم)، ووصلوا إلى السلطة على رقاب البشر من دونهم، فلم يعيروا انتباها للوسيلة، فحتى لو أدى ذلك إلى قتل من هم دونهم، فهذا ليس مانعا لهم أن يثنيهم عن هدفهم في الوصول إلى السلطة، وهكذا.

ولو راقبت سلوكياتهم الضيقة فيما بينهم، لوجدتهم يروجون لهذه الأهداف بين أبنائهم وذرياتهم، وتراهم لا يعيرون انتباها كثيرا لتربية أبنائهم على الوصول إلى الهدف بالوسيلة المشروعة. فجل اهتمامهم هو الوصول إلى الغاية مهما كانت الوسيلة. فترى أبنائهم يجتهدون في الوصول إلى أهدافهم التي تجعلهم مميزين على الآخرين، ولا تجدهم في الوقت ذاته يلتفتون إلى أن الوسيلة يجب أن تكون مشروعة. فحتى لو كان الشيطان هو هاديهم، فذاك لن يثنيهم عن سلوك مسالك الشياطين. فكان التكبر هو أهم ما يميز هذه العائلات، وكان هذا هو أهم صفات إبليس نفسه، إنه الكبر:

- ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾﴾ [الأعراف: 12]
- ﴿قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ﴿٧٦﴾﴾ [ص: 76]

نعم، لقد كان الشيطان الأزرق من مارج من نار، فكان الكبر محفزه الأول لرفض الأمر الإلهي. وبالمقارنة، أشعل الشيطان في عروق هؤلاء الكبر، فأصبحوا عائلات ذات دم أزرق (blue-blooded)، فأصبح الكبر هو سمتهم المميزة التي لا تخفى على من حولهم.

الباب الثاني: لون السماء والبحار

إن من أهم ما يمكن أن نستفيده من مثل هذا الطرح هو إثارة السؤال التالي: لماذا لون السماء والبحار يميل إلى الزرقة المتفاوتة؟

رأينا المفترى: لو تفقدنا هذه الظاهرة من الناحية العلمية الحديثة، لوجدنا أن التفسير هو على النحو التالي:

Sunlight reaches Earth's atmosphere and is **scattered** in all directions by all the gases and particles in the air. Blue light is scattered in all directions by the tiny molecules of air in Earth's atmosphere. Blue is scattered more than other colors because it travels as shorter, smaller waves. This is why we see a blue sky most of the time

ترجمة مختصرة: عندما تصل خيوط الضوء من الشمس، فإنها تتشتت بكل الاتجاهات بسبب الغازات والجزئيات الموجودة في الفضاء، فيؤدي ذلك إلى تشتت الأشعة، ولكن التشتت يكون الأعلى لأن اللون الأزرق ينتقل بموجات أقصر من الألوان لأخرى.

لكن هذا التعليل يبقى غير مقنع للأسباب التالية:

أولا، هناك أمواج ضوئية أقصر من أمواج اللون الأزرق كالبنفسجي مثلا. ولو كان التحليل صحيحا، لكان لون السماء بنفسجيا

ثانيا، لو كان هذا هو التحليل الصحيح لاختلف لون السماء في النهار والليل

ثالثا، عند الغروب يميل لون السماء إلى الأحمر أو الوردي

الخ.

السؤال: كيف يمكن إذا تفسير هذه الظاهرة؟

رأينا المفترى: بداية لابد من طرح التساؤل التالي: ما هي هذه الغازات المتواجدة في الجو أصلا؟ ولم ينتج اصطدام أشعة الضوء مع هذه الغازات إلى اظهار اللون الأزرق بالتحديد؟

رأينا المفترى الخطير جدا جدا: نحن نظن أن السبب في ذلك يعود إلى وجود الجن. انتهى.

الدليل

لا شك عندنا أن الجن يتواجد في الكون مع الإنس:

- ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾ [الذاريات: 56]

لكننا نؤمن أيضا أن الجن مخلوقات متواجدة في الكون قبل الإنس، قال تعالى:

- ﴿وَٱلۡجَآنَّ خَلَقۡنَٰهُ مِن قَبۡلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ۝٢٧﴾ [الحجر: 27]

كما نؤمن بأن الجن يمكن أن يتواجدوا في الأرض كما يمكن أن يصلوا إلى السماء:

- ﴿وَأَنَّا لَمَسۡنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدۡنَٰهَا مُلِئَتۡ حَرَسٗا شَدِيدٗا وَشُهُبٗا ۝٨ وَأَنَّا كُنَّا نَقۡعُدُ مِنۡهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمۡعِۖ فَمَن يَسۡتَمِعِ ٱلۡأٓنَ يَجِدۡ لَهُۥ شِهَابٗا رَّصَدٗا ۝٩﴾ [الجن: 8-9]

نتيجة مفتراة: الجن متواجدون في الكون بأعداد هائلة، وهذه الكائنات مخلوقة أساسا من مارج من نار:

- ﴿خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِن صَلۡصَٰلٖ كَٱلۡفَخَّارِ ۝١٤ وَخَلَقَ ٱلۡجَآنَّ مِن مَّارِجٖ مِّن نَّارٖ ۝١٥﴾ [الرحمن: 14-15]

وقد افترينا آنفا أن المارج من النار هو النار في حالة لونها الأزرق.

تخيلات مفتراة من عند أنفسنا: عندما تسقط أشعة الضوء في الأفق، فإنها تصطدم بغازات زرقاء، هي في ظننا أجسام الجن الزرقاء، فينعكس هذا اللون بالتحديد على لون السماء الذي ينعكس بدوره على الماء، فتظهر المسطحات المائية الكبيرة بهذا اللون.

السؤال: ما علاقة هذا بالصيام؟

رأينا المفترى: للإجابة على مثل هذا التساؤل، علينا أن نعود إلى الحكمة من الصيام الذي كتب علينا. قال تعالى:

- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ۝١٨٣﴾ [البقرة: 183]

نتيجة مفتراة: الحكمة من الصيام هو الحصول على التقوى. انتهى.

السؤال: كيف يمكن تحقق التقوى من الصيام؟

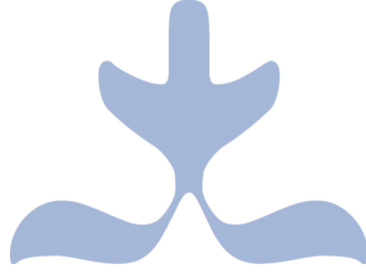
جواب مفترى: الصيام يعمل عمل لباس التقوى، فهو يحد من نشاط الشياطين،

إذن الحكمة من كتابة الصيام علينا هو احتمالية حصول التقوى. فلا تنفذ الشياطين الممروجة إليك، فلا تكون من المجرمين الذين سيحشرون يوم النفخ في الصور زرقا.

جواب مفترى: هذا ما ستناوله بالتفصيل بحول الله وتوفيق منه في الجزء القادم من هذه المقالة إن أذن الله لنا بشيء من علمه فيها.

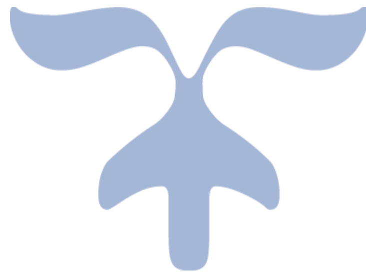
فالله وحده أسأل أن يعلمني، وأن يزيدني علما، وأن يهدين لأقرب من هذا رشدا. وأعوذ به وحده أن أكون ممن يفترون عليه الكذب أو ممن يقولون عليه ما ليس لهم بحق، وأعوذ به أن يكون أمري كأمر فرعون، إنه هو العليم الحكيم - آمين.

المدكرون: رشيد سليم الجراح & علي محمود سالم الجراح
بقلم د. رشيد الجراح
2 آب 2018



فقه الصيام

الجزء الثالث



فقه الصيام: الجزء الثالث

خلصنا في الجزء السابق من هذه المقالة إلى جملة من الافتراءات من عند أنفسنا فيما يتعلق بلون الجن (مؤمنهم وكافرهم)، وذكرنا بأن الجن قد خلقوا من مارج من نار، وزعمنا الظن بأن المارج من نار هو لون الزرقة. كما افترينا القول بأن خطة الشيطان تمثلت في أن ينزع عن آدم وزوجه لباسهم (لباس التقوى) من أجل أن ينفذ خطره إلى جسم آدم وزوجه، وبالفعل نجحت خطة الشيطان في أن ينزع عنهما لباسهما، فاستطاع الشيطان أن ينفذ إلى جسم آدم، وتمثل ذلك في الزرقة الموجودة في جسم الإنسان، فتلونت عروقه وشراينه باللون الأزرق.

وكان الدم الذي يجري في عروق وشرايين آدم وزوجه هو الكابح لفاعلية الشيطان، فمادام الدم يجري بقوة في دم الإنسان، فإن عمل الشيطان سيحبط لأن الجن (مؤمنهم وكافرهم) تهاب منظر الدم، وما أن يضعف جريان الدم في تلك الشرايين والعروق، حتى ينشط عمل الشيطان في الجسم.

فكانت النتيجة المفتراة الأهم التي حاولنا تسويقها حينئذ أن الدم مطهر من أذى الشيطان. وأن طهارة المكان (أي مكان) تتم بالذبح كما الحال في طهارة البيت العتيق التي أمر الله بها إبراهيم وإسماعيل:

- ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ۖ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَـٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ١٢٥﴾ [البقرة: 125]

(للتفصيل انظر الجزء السابق)

وهنا يبرز السؤال التالي: ما هو عمل الشيطان؟

رأينا المفترى، لو تدبرنا الآية الكريمة التالية، لوجدنا بأن الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان، قال تعالى:

- ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَـٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَـٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ٩٠﴾ [المائدة: 90]

فعمل الشيطان هو لا شك رجس، ليكون السؤال الآن: ما هو الرجس؟

رأينا المفترى: لو دققنا في الآية الكريمة التالية، لوجدنا بأن لحم الخنزير على وجه التحديد هو رجس:

- ﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٖ يَطۡعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيۡتَةً أَوۡ دَمٗا مَّسۡفُوحًا أَوۡ لَحۡمَ خِنزِيرٖ فَإِنَّهُۥ رِجۡسٌ أَوۡ فِسۡقًا أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦۚ فَمَنِ ٱضۡطُرَّ غَيۡرَ بَاغٖ وَلَا عَادٖ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ١٤٥﴾ [الأنعام: 145]

ولو دققنا في الآية الكريمة التالية، لوجدنا ارتباط الرجس بضيق الصدر، وتم التمثيل لذلك بالتشابه بمن يصعد في السماء:

- ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِۖ وَمَن يُرِدۡ أَن يُضِلَّهُۥ يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجٗا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِۚ كَذَٰلِكَ يَجۡعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجۡسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ١٢٥﴾ [الأنعام: 125]

ولو دققنا أكثر في الآية الكريمة التالي، لوجدنا بأن الرجس مرتبط ارتباطا وثيقا بالقلب:

- ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ فَزَادَتۡهُمۡ رِجۡسًا إِلَىٰ رِجۡسِهِمۡ وَمَاتُواْ وَهُمۡ كَٰفِرُونَ ١٢٥﴾ [التوبة: 125]

فكانت النتيجة أن الرجس يقع على الذين لا يعقلون:

- ﴿وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَأٓمَنَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ كُلُّهُمۡ جَمِيعًاۚ أَفَأَنتَ تُكۡرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ٩٩ وَمَا كَانَ لِنَفۡسٍ أَن تُؤۡمِنَ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَيَجۡعَلُ ٱلرِّجۡسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعۡقِلُونَ ١٠٠﴾ [يونس: 99-100]

السؤال: لماذا؟ أي لماذا يقع الرجس على الذين لا يعقلون؟

رأينا المفترى: دعنا نطرح التساؤل التالي مبدئيا لنعود له بشيء من التفصيل لاحقا، والسؤال هو: ما علاقة الدم بالقلب؟

افتراء 1: القلب هو جهاز التحكم بالجسم كله، وهو الذي يستطيع (نحن نفتري الظن) أن يطهر الرجس من الجسم كله. فإذا كان القلب يعقل، فإنه سيعمل على تطهير الدم من رجس الشيطان، أما إذا كان القلب لا يعقل، فإنه سيعمل على تراكم الرجس على قلب الإنسان حتى ينتهي به الحال إلى أن يكون قلبا مختوم عليه، أو قلبا مطبوع عليه.

ولو دققنا في الآيات التي تبين الختم والطبع الإلهي على القلوب، لوجدنا بأنها تصف الكافرين المكذبين بآيات الله:

- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ٦ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ٧﴾ [البقرة: 6-7]
- ﴿أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗاۖ فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخۡتِمۡ عَلَىٰ قَلۡبِكَۗ وَيَمۡحُ ٱللَّهُ ٱلۡبَٰطِلَ وَيُحِقُّ ٱلۡحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ٢٤﴾ [الشورى: 24]
- ﴿ٱلۡيَوۡمَ نَخۡتِمُ عَلَىٰٓ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَتُكَلِّمُنَآ أَيۡدِيهِمۡ وَتَشۡهَدُ أَرۡجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ٦٥﴾ [يس: 65]

- ﴿فَبِمَا نَقۡضِهِم مِّيثَٰقَهُمۡ وَكُفۡرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتۡلِهِمُ ٱلۡأَنۢبِيَآءَ بِغَيۡرِ حَقّٖ وَقَوۡلِهِمۡ قُلُوبُنَا غُلۡفُۢۚ بَلۡ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيۡهَا بِكُفۡرِهِمۡ فَلَا يُؤۡمِنُونَ إِلَّا قَلِيلٗا ١٥٥﴾ [النساء: 155]
- ﴿تِلۡكَ ٱلۡقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيۡكَ مِنۡ أَنۢبَآئِهَاۚ وَلَقَدۡ جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُواْ لِيُؤۡمِنُواْ بِمَا كَذَّبُواْ مِن قَبۡلُۚ كَذَٰلِكَ يَطۡبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ١٠١﴾ [الأعراف: 101]
- ﴿۞إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَسۡتَـٔۡذِنُونَكَ وَهُمۡ أَغۡنِيَآءُۚ رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ ٱلۡخَوَالِفِ وَطَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ٩٣﴾ [التوبة: 93]
- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَا يَهۡدِيهِمُ ٱللَّهُ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ١٠٤ إِنَّمَا يَفۡتَرِي ٱلۡكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰذِبُونَ ١٠٥ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ١٠٦ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا عَلَى ٱلۡأٓخِرَةِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ١٠٧ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَسَمۡعِهِمۡ وَأَبۡصَٰرِهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ ١٠٨﴾ [النحل: 104-108]
- ﴿وَلَقَدۡ ضَرَبۡنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٖۚ وَلَئِن جِئۡتَهُم بِـَٔايَةٖ لَّيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا مُبۡطِلُونَ ٥٨ كَذَٰلِكَ يَطۡبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ ٥٩﴾ [الروم: 58-59]
- ﴿ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡۖ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ كَذَٰلِكَ يَطۡبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلۡبِ مُتَكَبِّرٖ جَبَّارٖ ٣٥﴾ [غافر: 35]
- ﴿وَمِنۡهُم مَّن يَسۡتَمِعُ إِلَيۡكَ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُواْ مِنۡ عِندِكَ قَالُواْ لِلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهۡوَآءَهُمۡ ١٦﴾ [محمد: 16]
- ﴿أَوَلَمۡ يَهۡدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلۡأَرۡضَ مِنۢ بَعۡدِ أَهۡلِهَآ أَن لَّوۡ نَشَآءُ أَصَبۡنَٰهُم بِذُنُوبِهِمۡۚ وَنَطۡبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ ١٠٠﴾ [الأعراف: 100]
- ﴿ثُمَّ بَعَثۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِۦ رُسُلًا إِلَىٰ قَوۡمِهِمۡ فَجَآءُوهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُواْ لِيُؤۡمِنُواْ بِمَا كَذَّبُواْ بِهِۦ مِن قَبۡلُۚ كَذَٰلِكَ نَطۡبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ٧٤﴾ [يونس: 74]

فالمرض يكمن في القلب:

- ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضٗاۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡذِبُونَ ١٠﴾ [البقرة: 10]
- ﴿فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمۡ يَقُولُونَ نَخۡشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٞۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَ بِٱلۡفَتۡحِ أَوۡ أَمۡرٖ مِّنۡ عِندِهِۦ فَيُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ نَٰدِمِينَ ٥٢﴾ [المائدة: 52]

- ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَوۡلَا نُزِّلَتۡ سُورَةٞۖ فَإِذَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ مُّحۡكَمَةٞ وَذُكِرَ فِيهَا ٱلۡقِتَالُ رَأَيۡتَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ يَنظُرُونَ إِلَيۡكَ نَظَرَ ٱلۡمَغۡشِيِّ عَلَيۡهِ مِنَ ٱلۡمَوۡتِۖ فَأَوۡلَىٰ لَهُمۡ ٢٠﴾ [محمد: 20]

ولو دققنا في الآية الكريمة التالية، لوجدنا أن الذين في قلوبهم مرض هم فئة من الناس يختلفون عن المنافقين، بدليل التجاور اللفظي بين الفئتين، فهناك الذين في قلوبهم مرض وهناك أيضا المنافقون، قال تعالى:

- ﴿إِذۡ يَقُولُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمۡۗ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ٤٩﴾ [الأنفال: 49]
- ﴿وَإِذۡ يَقُولُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورٗا ١٢﴾ [الأحزاب: 12]

وهناك فرق بين الذين في قلوبهم مرض من جهة والمنافقين من جهة ثانية والمرجفين من جهة ثالثة:

- ﴿۞لَّئِن لَّمۡ يَنتَهِ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ وَٱلۡمُرۡجِفُونَ فِي ٱلۡمَدِينَةِ لَنُغۡرِيَنَّكَ بِهِمۡ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلٗا ٦٠﴾ [الأحزاب: 60]

وهناك فرق بين الذين في قلوبهم مرض من جهة وبين الكافرين من جهة أخرى:

- ﴿وَمَا جَعَلۡنَآ أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةٗۙ وَمَا جَعَلۡنَا عِدَّتَهُمۡ إِلَّا فِتۡنَةٗ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيَسۡتَيۡقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ وَيَزۡدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِيمَٰنٗا وَلَا يَرۡتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ وَٱلۡكَٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلٗاۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَمَا يَعۡلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَۚ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكۡرَىٰ لِلۡبَشَرِ ٣١﴾ [المدثر: 31]

وهناك أيضا فرق بين من في قلبه مرض من جهة والقاسية قلوبهم من جهة أخرى:

- ﴿لِّيَجۡعَلَ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ فِتۡنَةٗ لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ وَٱلۡقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمۡۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِي شِقَاقِۭ بَعِيدٖ ٥٣﴾ [الحج: 53]

ومرض القلب يختلف عن الريبة والخوف:

- ﴿أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرۡتَابُوٓاْ أَمۡ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ وَرَسُولُهُۥۚ بَلۡ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٥٠﴾ [النور: 50]

السؤال: من هم الذين في قلوبهم مرض إذا؟

رأينا المفترى: نحن نظن أن من كان في قلبهم مرض هم من كانت قلوبهم فيها أضغان، فالله هو من يخرج أضغان من كان في قلوبهم مرض:

- ﴿أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخۡرِجَ ٱللَّهُ أَضۡغَٰنَهُمۡ ۝٢٩﴾ [محمد: 29]

وعند بحثنا عن مفردة الأضغان على مساحة النص القرآني كله، ما وجدناها قد وردت مرة أخرى إلا في الآية الكريمة التالي:

- ﴿إِن يَسۡـَٔلۡكُمُوهَا فَيُحۡفِكُمۡ تَبۡخَلُواْ وَيُخۡرِجۡ أَضۡغَٰنَكُمۡ ۝٣٧﴾ [محمد: 37]

ولو دققنا في هذه الآية الكريمة هذه في سياقها الأوسع، لوجدناها مرتبطة ارتباطا وثيقا بإخراج المال وإنفاقه:

- ﴿إِنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞۚ وَإِن تُؤۡمِنُواْ وَتَتَّقُواْ يُؤۡتِكُمۡ أُجُورَكُمۡ وَلَا يَسۡـَٔلۡكُمۡ أَمۡوَٰلَكُمۡ ۝٣٦ إِن يَسۡـَٔلۡكُمُوهَا فَيُحۡفِكُمۡ تَبۡخَلُواْ وَيُخۡرِجۡ أَضۡغَٰنَكُمۡ ۝٣٧ هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ تُدۡعَوۡنَ لِتُنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبۡخَلُۖ وَمَن يَبۡخَلۡ فَإِنَّمَا يَبۡخَلُ عَن نَّفۡسِهِۦۚ وَٱللَّهُ ٱلۡغَنِيُّ وَأَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُۚ وَإِن تَتَوَلَّوۡاْ يَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمۡثَٰلَكُم ۝٣٨﴾ [محمد: 36-38]

لتكون النتيجة المفتراة من عند أنفسنا هي أن من كان في قلبه مرض هو من كان يحب المال حبا جما ولا ينفقه في سبيل الله:

- ﴿وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبۡتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيۡهِ رِزۡقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَهَٰنَنِ ۝١٦ كَلَّاۖ بَل لَّا تُكۡرِمُونَ ٱلۡيَتِيمَ ۝١٧ وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلۡمِسۡكِينِ ۝١٨ وَتَأۡكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكۡلٗا لَّمّٗا ۝١٩ وَتُحِبُّونَ ٱلۡمَالَ حُبّٗا جَمّٗا ۝٢٠﴾ [الفجر: 16-20]

وهؤلاء هم الساعون إلى جني المال وكنزه، فستكون نتيجة فعلتهم تلك أن تكوى بها جباههم وجلودهم:

- ﴿۞يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡأَحۡبَارِ وَٱلرُّهۡبَانِ لَيَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۗ وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٖ ۝٣٤ يَوۡمَ يُحۡمَىٰ عَلَيۡهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكۡوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمۡ وَجُنُوبُهُمۡ وَظُهُورُهُمۡۖ هَٰذَا مَا كَنَزۡتُمۡ لِأَنفُسِكُمۡ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمۡ تَكۡنِزُونَ ۝٣٥﴾ [التوبة: 34-35]

والمدقق في هذه الآية الكريمة يجد أن الذين يأكلون أموال الناس بالباطل هم فئة كثيرة من الأحبار والرهبان (إِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡأَحۡبَارِ وَٱلرُّهۡبَانِ لَيَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡبَٰطِلِ)، وهم أنفسهم من يصدون الناس عن سبيل الله (وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۗ).

نتيجة مفتراة: إن أهل الكهنوت الديني الذين يأكلون أموال الناس بالباطل، ولا ينفقون تلك الأموال في سبيل الله هم (نحن نفتري الظن من عند أنفسنا) فئة من الذين في قلوبهن مرض، وهؤلاء هم من سيجرج الله أضغانهم.

نتيجة مفتراة 1: أحد الفئات الذين في قلوبهم مرض هم من يشترون بآيات الله ثمنا قليلا، ويكون هدفهم كسب المال، كحال من تصورهم الآيات الكريمة التالية:

- ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ۝٧٩﴾ [البقرة: 79]

وقد كان أبو لهب مثالا واضحا على هذه الفئة التي كتبت بيدها وكسبت بذلك مالا، فكان ممن اشترى بآيات الله ثمنا قليلا:

- ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣﴾ [المسد: 1-3]

(للتفصيل انظر مقالاتنا السابقة)

نتيجة مفتراة مهمة جدا جدا: شهوة المال هي سبب تراكم الأضغان في القلوب.

لذا، جاء الحث الإلهي للناس على إنفاق المال في سبيل الله:

- ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ۝٢٦١﴾ [البقرة: 261]
- ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ۝١٥٥﴾ [البقرة: 155]
- ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُوا۟ مَنًّا وَلَآ أَذًى ۙ لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝٢٦٢﴾ [البقرة: 262]
- ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍۭ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَـَٔاتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝٢٦٥﴾ [البقرة: 265]
- ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝٢٧٤﴾ [البقرة: 274]

- ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٞ لِّلۡغَيۡبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُۚ وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهۡجُرُوهُنَّ فِي ٱلۡمَضَاجِعِ وَٱضۡرِبُوهُنَّۖ فَإِنۡ أَطَعۡنَكُمۡ فَلَا تَبۡغُواْ عَلَيۡهِنَّ سَبِيلًاۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيّٗا كَبِيرٗا ٣٤﴾ [النساء: 34]
- ﴿لَّا يَسۡتَوِي ٱلۡقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ غَيۡرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ وَٱلۡمُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ عَلَى ٱلۡقَٰعِدِينَ دَرَجَةٗۚ وَكُلّٗا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلۡقَٰعِدِينَ أَجۡرًا عَظِيمٗا ٩٥﴾ [النساء: 95]
- ﴿۞وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۖ كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡۚ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمۡ أَن تَبۡتَغُواْ بِأَمۡوَٰلِكُم مُّحۡصِنِينَ غَيۡرَ مُسَٰفِحِينَۚ فَمَا ٱسۡتَمۡتَعۡتُم بِهِۦ مِنۡهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةٗۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ فِيمَا تَرَٰضَيۡتُم بِهِۦ مِنۢ بَعۡدِ ٱلۡفَرِيضَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمٗا ٢٤﴾ [النساء: 24]
- ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافٗا وَثِقَالٗا وَجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٤١﴾ [التوبة: 41]
- ﴿لَا يَسۡتَـٔۡذِنُكَ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلۡمُتَّقِينَ ٤٤﴾ [التوبة: 44]
- ﴿لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ جَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡخَيۡرَٰتُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ٨٨﴾ [التوبة: 88]
- ﴿خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيۡهِمۡۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٞ لَّهُمۡۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ١٠٣﴾ [التوبة: 103]
- ﴿۞إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقۡتُلُونَ وَيُقۡتَلُونَۖ وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقّٗا فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ وَٱلۡقُرۡءَانِۚ وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِۚ فَٱسۡتَبۡشِرُواْ بِبَيۡعِكُمُ ٱلَّذِي بَايَعۡتُم بِهِۦۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١١١﴾ [التوبة: 111]
- ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمۡ يَرۡتَابُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ١٥﴾ [الحجرات: 15]
- ﴿وَفِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ ١٩﴾ [الذاريات: 19]
- ﴿لِلۡفُقَرَآءِ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأَمۡوَٰلِهِمۡ يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ٨﴾ [الحشر: 8]
- ﴿تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ١١﴾ [الصف: 11]
- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَيۡءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْۚ وَإِنِ ٱسۡتَنصَرُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ فَعَلَيۡكُمُ ٱلنَّصۡرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوۡمِۭ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُم مِّيثَٰقٞۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ٧٢﴾ [الأنفال: 72]

- ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ أَعۡظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ٢٠﴾ [التوبة: 20]
- ﴿وَٱلَّذِينَ فِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ مَّعۡلُومٞ ٢٤﴾ [المعارج: 24]
- ﴿وَيُمۡدِدۡكُم بِأَمۡوَٰلٖ وَبَنِينَ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ جَنَّٰتٖ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ أَنۡهَٰرٗا ١٢﴾ [نوح: 12]

وبالمقابل جاء الذم واضحا لكل من أكل المال بغير الحق:

- ﴿وَلَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ وَتُدۡلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلۡحُكَّامِ لِتَأۡكُلُواْ فَرِيقٗا مِّنۡ أَمۡوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلۡإِثۡمِ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ١٨٨﴾ [البقرة: 188]
- ﴿فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ فَأۡذَنُواْ بِحَرۡبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَإِن تُبۡتُمۡ فَلَكُمۡ رُءُوسُ أَمۡوَٰلِكُمۡ لَا تَظۡلِمُونَ وَلَا تُظۡلَمُونَ ٢٧٩﴾ [البقرة: 279]
- ﴿۞لَتُبۡلَوُنَّ فِيٓ أَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡ وَلَتَسۡمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُوٓاْ أَذٗى كَثِيرٗاۚ وَإِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ١٨٦﴾ [آل عمران: 186]
- ﴿وَءَاتُواْ ٱلۡيَتَٰمَىٰٓ أَمۡوَٰلَهُمۡۖ وَلَا تَتَبَدَّلُواْ ٱلۡخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِۖ وَلَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَهُمۡ إِلَىٰٓ أَمۡوَٰلِكُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حُوبٗا كَبِيرٗا ٢﴾ [النساء: 2]
- ﴿وَٱبۡتَلُواْ ٱلۡيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُواْ ٱلنِّكَاحَ فَإِنۡ ءَانَسۡتُم مِّنۡهُمۡ رُشۡدٗا فَٱدۡفَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ أَمۡوَٰلَهُمۡۖ وَلَا تَأۡكُلُوهَآ إِسۡرَافٗا وَبِدَارًا أَن يَكۡبَرُواْۚ وَمَن كَانَ غَنِيّٗا فَلۡيَسۡتَعۡفِفۡۖ وَمَن كَانَ فَقِيرٗا فَلۡيَأۡكُلۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ فَإِذَا دَفَعۡتُمۡ إِلَيۡهِمۡ أَمۡوَٰلَهُمۡ فَأَشۡهِدُواْ عَلَيۡهِمۡۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبٗا ٦﴾ [النساء: 6]
- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٖ مِّنكُمۡۚ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمٗا ٢٩﴾ [النساء: 29]
- ﴿وَأَخۡذِهِمُ ٱلرِّبَوٰاْ وَقَدۡ نُهُواْ عَنۡهُ وَأَكۡلِهِمۡ أَمۡوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡبَٰطِلِۚ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ مِنۡهُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا ١٦١﴾ [النساء: 161]
- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيۡهِمۡ حَسۡرَةٗ ثُمَّ يُغۡلَبُونَۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحۡشَرُونَ ٣٦﴾ [الأنفال: 36]
- ﴿قُلۡ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ وَإِخۡوَٰنُكُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ وَعَشِيرَتُكُمۡ وَأَمۡوَٰلٌ ٱقۡتَرَفۡتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٞ تَخۡشَوۡنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرۡضَوۡنَهَآ أَحَبَّ إِلَيۡكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٖ فِي سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ٢٤﴾ [التوبة: 24]
- ﴿۞يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡأَحۡبَارِ وَٱلرُّهۡبَانِ لَيَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۗ وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٖ ٣٤﴾ [التوبة: 34]

- ﴿كَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنكُمۡ قُوَّةٗ وَأَكۡثَرَ أَمۡوَٰلٗا وَأَوۡلَٰدٗا فَٱسۡتَمۡتَعُواْ بِخَلَٰقِهِمۡ فَٱسۡتَمۡتَعۡتُم بِخَلَٰقِكُمۡ كَمَا ٱسۡتَمۡتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُم بِخَلَٰقِهِمۡ وَخُضۡتُمۡ كَٱلَّذِي خَاضُوٓاْۚ أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ٦٩﴾ [التوبة: 69]
- ﴿فَرِحَ ٱلۡمُخَلَّفُونَ بِمَقۡعَدِهِمۡ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓاْ أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُواْ لَا تَنفِرُواْ فِي ٱلۡحَرِّۗ قُلۡ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرّٗاۚ لَّوۡ كَانُواْ يَفۡقَهُونَ ٨١﴾ [التوبة: 81]
- ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيۡتَ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةٗ وَأَمۡوَٰلٗا فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِكَۖ رَبَّنَا ٱطۡمِسۡ عَلَىٰٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ وَٱشۡدُدۡ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَلَا يُؤۡمِنُواْ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَلِيمَ ٨٨﴾ [يونس: 88]
- ﴿قَالُواْ يَٰشُعَيۡبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأۡمُرُكَ أَن نَّتۡرُكَ مَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوۡ أَن نَّفۡعَلَ فِيٓ أَمۡوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْۖ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلۡحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ٨٧﴾ [هود: 87]
- ﴿ثُمَّ رَدَدۡنَا لَكُمُ ٱلۡكَرَّةَ عَلَيۡهِمۡ وَأَمۡدَدۡنَٰكُم بِأَمۡوَٰلٖ وَبَنِينَ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ أَكۡثَرَ نَفِيرًا ٦﴾ [الإسراء: 6]
- ﴿وَمَآ ءَاتَيۡتُم مِّن رِّبٗا لِّيَرۡبُوَاْ فِيٓ أَمۡوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرۡبُواْ عِندَ ٱللَّهِۖ وَمَآ ءَاتَيۡتُم مِّن زَكَوٰةٖ تُرِيدُونَ وَجۡهَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُضۡعِفُونَ ٣٩﴾ [الروم: 39]
- ﴿وَأَوۡرَثَكُمۡ أَرۡضَهُمۡ وَدِيَٰرَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُمۡ وَأَرۡضٗا لَّمۡ تَطَـُٔوهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٗا ٢٧﴾ [الأحزاب: 27]
- ﴿وَمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُم بِٱلَّتِي تُقَرِّبُكُمۡ عِندَنَا زُلۡفَىٰٓ إِلَّا مَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ جَزَآءُ ٱلضِّعۡفِ بِمَا عَمِلُواْ وَهُمۡ فِي ٱلۡغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ٣٧﴾ [سبأ: 37]
- ﴿إِنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞۚ وَإِن تُؤۡمِنُواْ وَتَتَّقُواْ يُؤۡتِكُمۡ أُجُورَكُمۡ وَلَا يَسۡـَٔلۡكُمۡ أَمۡوَٰلَكُمۡ ٣٦﴾ [محمد: 36]
- ﴿سَيَقُولُ لَكَ ٱلۡمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلۡأَعۡرَابِ شَغَلَتۡنَآ أَمۡوَٰلُنَا وَأَهۡلُونَا فَٱسۡتَغۡفِرۡ لَنَاۚ يَقُولُونَ بِأَلۡسِنَتِهِم مَّا لَيۡسَ فِي قُلُوبِهِمۡۚ قُلۡ فَمَن يَمۡلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔا إِنۡ أَرَادَ بِكُمۡ ضَرًّا أَوۡ أَرَادَ بِكُمۡ نَفۡعَۢاۚ بَلۡ كَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرَۢا ١١﴾ [الفتح: 11]
- ﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞ وَزِينَةٞ وَتَفَاخُرُۢ بَيۡنَكُمۡ وَتَكَاثُرٞ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِۖ كَمَثَلِ غَيۡثٍ أَعۡجَبَ ٱلۡكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصۡفَرّٗا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمٗاۖ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٞ شَدِيدٞ وَمَغۡفِرَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٞۚ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ ٢٠﴾ [الحديد: 20]
- ﴿وَلَنَبۡلُوَنَّكُم بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلۡخَوۡفِ وَٱلۡجُوعِ وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٥٥﴾ [البقرة: 155]
- ﴿وَلَا تُؤۡتُواْ ٱلسُّفَهَآءَ أَمۡوَٰلَكُمُ ٱلَّتِي جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمۡ قِيَٰمٗا وَٱرۡزُقُوهُمۡ فِيهَا وَٱكۡسُوهُمۡ وَقُولُواْ لَهُمۡ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا ٥﴾ [النساء: 5]

ولو تدبرنا الآية الكريمة التالية:

- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا إِنَّمَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ نَارٗاۖ وَسَيَصۡلَوۡنَ سَعِيرٗا ١٠﴾ [النساء: 10]

لوجدنا بأنها تتحدث عن النار في البطون. ليكون السؤال هو: ما هي ماهية هذه النار التي تشتعل في البطون نتيجة أكل أموال اليتامى ظلما؟

رأينا المفترى: لو دققنا في الآية الكريمة التالية، لوجدنا التجاور بين إنفاق الماء ووجود الشيطان كقرين للإنسان:

- ﴿وَٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۗ وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيْطَٰنُ لَهُۥ قَرِينًا فَسَآءَ قَرِينًا ۝٣٨﴾ [النساء: 38]

نتيجة مفتراة من عند أنفسنا: حب المال يكون في القلب

نتيجة مفتراة من عند أنفسنا 2: يقترن حب المال في القلب بوجود الشيطان.

والآيات الكريمة التالية، تبين أن الإعجاب يأتي من كثرة الأولاد والأموال:

- ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ۝٥٥﴾ [التوبة: 55]
- ﴿وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَأَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ۝٨٥﴾ [التوبة: 85]

فجاء التحذير الإلهي واضحا ليبين لنا بأن الأموال والأولاد فتنة:

- ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ۝٢٨﴾ [الأنفال: 28]
- ﴿إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ۝١٥﴾ [التغابن: 15]
- ﴿وَقَالُوا۟ نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ۝٣٥﴾ [سبأ: 35]
- ﴿لَّن تُغْنِىَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝١٧﴾ [المجادلة: 17]
- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَن تُغْنِىَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ وَقُودُ ٱلنَّارِ ۝١٠﴾ [آل عمران: 10]
- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَن تُغْنِىَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۚ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝١١٦﴾ [آل عمران: 116]

وجاء البيان الإلهي كذلك جليا في أن المال والبنين هما سببا في أن يلهو الإنسان عن ذكر الله:

- ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ۝٩﴾ [المنافقون: 9]

والسبب في ذلك هو أن من يعش عن ذكر الرحمن فهو من قُيّض له قرين، فصده عن السبيل:

- ﴿وَمَن يَعۡشُ عَن ذِكۡرِ ٱلرَّحۡمَٰنِ نُقَيِّضۡ لَهُۥ شَيۡطَٰنٗا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٞ ۝٣٦ وَإِنَّهُمۡ لَيَصُدُّونَهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحۡسَبُونَ أَنَّهُم مُّهۡتَدُونَ ۝٣٧ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا قَالَ يَٰلَيۡتَ بَيۡنِي وَبَيۡنَكَ بُعۡدَ ٱلۡمَشۡرِقَيۡنِ فَبِئۡسَ ٱلۡقَرِينُ ۝٣٨﴾ [الزخرف: 36-38]

السؤال: كسف يحصل ذلك؟

جواب مفترى: لو حاولنا تدبر الآية الكريمة التالية، لوجدنا بأن الشيطان شريك لنا في الأموال والأولاد:

- ﴿وَٱسۡتَفۡزِزۡ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتَ مِنۡهُم بِصَوۡتِكَ وَأَجۡلِبۡ عَلَيۡهِم بِخَيۡلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِ وَعِدۡهُمۡۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ۝٦٤﴾ [الإسراء: 64]

السؤال: كيف ذلك؟

رأينا المفترى: مادام أن الشيطان قد أخذ الإذن من الله بأن يشارك الناس أموالهم وأولادهم، فهو إذن يدخل إليهم من هذين البابين. فمن الأولاد من هم عدو لنا وجب علينا أن نحذرهم:

- ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ وَأَوۡلَٰدِكُمۡ عَدُوّٗا لَّكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُمۡۚ وَإِن تَعۡفُواْ وَتَصۡفَحُواْ وَتَغۡفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ۝١٤﴾ [التغابن: 14]

فكان هؤلاء فتنة:

- ﴿إِنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ ۝١٥﴾ [التغابن: 15]

نتيجة مفتراة: حب المال مكانه القلب. لذا تقع الفتنة في القلوب، فالفتنة تقع على من في قلبه مرض:

- ﴿لِّيَجۡعَلَ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ فِتۡنَةٗ لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ وَٱلۡقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمۡۗ وَإِنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ لَفِي شِقَاقِۭ بَعِيدٖ ۝٥٣﴾ [الحج: 53]

نتيجة مفتراة: الفتنة تصيب من في قلبه مرض.

وعكس من كان في قلبه مرض هم أصحاب القلوب التي تخبت:

- ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا۟ بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٤﴾﴾ [الحج: 54]

فالمخبتون هم الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم، وهم الصابرون على ما أصابهم وهم المقيمون الصلاة ومما رزهم الله ينفقون:

- ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ۗ فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَلَهُۥٓ أَسْلِمُوا۟ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الحج: 34-35]

وعندما يخبت القلوب تهدأ النار التي تشتعل في البطون:

- ﴿وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِهِۦ ۖ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ۖ مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾﴾ [الإسراء: 97]

فالنار إذا تسعر وتخبت؛ فأما النار التي تسعر، فهي التي يشتد لهيبها، فترتفع حرارتها، وأما النار التي تخبت، فهي التي يخف لهيبها، وتنخفض حرارتها.

- ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا۟ بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٤﴾﴾ [الحج: 54]

نتيجة مفتراة مهمة جدا: القلوب يمكن أن ترتفع حرارتها ويمكن أن تخبت (فيخف حرارتها)، وهنا نطرح التساؤل التالي: ما السبب الذي يجعل القلوب ترتفع حرارتها وتخبت؟

رأينا المفترى: إنه القرين (شيطان قيضه الله لمن يعش عن ذكره)

- ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا قَالَ يَٰلَيْتَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ ﴿٣٨﴾﴾ [الزخرف: 36-38]

فالشيطان الذي يدخل تأثيره إلى القلب يعمل على رفع درجة حرارته، فهو إذن يسعر نار القلب. أما إذا كان الشخص ممن إذا ذكر الله وجلت قلوبهم فهو إذا من المخبتين. ونحن نفتري الظن من عند أنفسنا بأن ما يرفع حرارة القلب هو حب المال والأولاد.

نتيجة مفتراة مهمة جدا: القلب يمكن أن يكون فيه مرض (وهو القلب الذي حب المال حبا جما)، ويمكن أن يكون سليما (وهو الذي يخبت لذكر الله). فالمقايضة هي إذن بين حب المال مقابل ذكر الله. فمن قدّم حب المال على ذكر الله فهو إذن من الذين قيض الله له قرينا فساء قرينا، وأما الذين آثروا الذكر على حب المال فهم المخبتون:

- ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ ۗ فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا ۗ وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الحج: 34-35]

السؤال: كيف يحصل ذلك؟

رأينا المفترى: لو تفقدنا الآية الكريمة التالية، لوجدنا أن من كان في قلوبهم مرض، فهم من كان فيهم رجس، وهؤلاء هم من عندهم القابلية لزيادة الرجس:

- ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿١٢٥﴾﴾ [التوبة: 125]

وربما أهم ما يمكن أن نصل إليه حتى اللحظة هو أنه من الممكن أن يصبح هؤلاء كلهم رجس:

- ﴿سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ ۖ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ ۖ إِنَّهُمْ رِجْسٌ ۖ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٩٥﴾﴾ [التوبة: 95]

السؤال: كيف يزيد الرجس في القلب حتى يصبحوا كلهم رجس؟

رأينا المفترى: لو دققنا في الآية الكريمة التالية:

- ﴿قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ ۖ أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ ۚ فَانتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُنتَظِرِينَ ﴿٧١﴾﴾ [الأعراف: 71]

لوجدنا بأن ربهم هو من يوقع الرجس عليهم:

وبهذا يصبحوا كلهم رجس:

- ﴿سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ ۖ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ ۖ إِنَّهُمْ رِجْسٌ ۖ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٩٥﴾﴾ [التوبة: 95]

السؤال: من ربهم هذا الذي يوقع عليهم الرجس منه؟

جواب مفترى: دقق عزيزي القارئ – إن شئت- في الآية الكريمة التالية في سياقها الأوسع:

- ﴿قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِنَعۡبُدَ ٱللَّهَ وَحۡدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ٧٠ قَالَ قَدۡ وَقَعَ عَلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ رِجۡسٞ وَغَضَبٌۖ أَتُجَٰدِلُونَنِي فِيٓ أَسۡمَآءٖ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّا نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٖۚ فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلۡمُنتَظِرِينَ ٧١﴾ [الأعراف: 70-71]

فالقوم إذن لم يكونوا على عبادة الله الواحد الأحد، ولكنهم كانوا يعبدون ما كان يعبد آباؤهم، أليس كذلك؟

فمن هو ربهم إذن الذي أوقع عليهم الرجس منه مباشرة؟

رأينا المفترى: لو دققنا في السياق الأوسع، لوجدنا بأن الآية تخص عاد (قوم هود)؟

- ﴿۞وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمۡ هُودٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ٦٥ قَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي سَفَاهَةٖ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ٦٦ قَالَ يَٰقَوۡمِ لَيۡسَ بِي سَفَاهَةٞ وَلَٰكِنِّي رَسُولٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦٧ أُبَلِّغُكُمۡ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنَا۠ لَكُمۡ نَاصِحٌ أَمِينٌ ٦٨ أَوَعَجِبۡتُمۡ أَن جَآءَكُمۡ ذِكۡرٞ مِّن رَّبِّكُمۡ عَلَىٰ رَجُلٖ مِّنكُمۡ لِيُنذِرَكُمۡۚ وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ جَعَلَكُمۡ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعۡدِ قَوۡمِ نُوحٖ وَزَادَكُمۡ فِي ٱلۡخَلۡقِ بَصۜۡطَةٗۖ فَٱذۡكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٦٩ قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِنَعۡبُدَ ٱللَّهَ وَحۡدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ٧٠ قَالَ قَدۡ وَقَعَ عَلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ رِجۡسٞ وَغَضَبٌۖ أَتُجَٰدِلُونَنِي فِيٓ أَسۡمَآءٖ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّا نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٖۚ فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلۡمُنتَظِرِينَ ٧١﴾ [الأعراف: 65-71]

نتيجة مفتراة خطيرة جدا جدا: نحن نفتري الظن من عند أنفسنا بأن رب القوم (قوم هود) هو الذي أوقع عليهم رجس منه، فمن كان ربهم إذن؟

لو دققنا في لفظ الرجس، لوجدنا أن مصدره ومحركه هو الشيطان، لذا نحن نتجرأ على الظن بأن رب عاد هو الذي أوقع عليهم الرجس هو الشيطان، وربما يدعم هذا الافتراء ما جاء في الآية الكريمة التالية:

- ﴿وَعَادٗا وَثَمُودَاْ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَٰكِنِهِمۡۖ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَصَدَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَكَانُواْ مُسۡتَبۡصِرِينَ ٣٨﴾ [العنكبوت: 38]

وهذا الأمر ينطبق على كل الأمم التي اتخذت الشيطان وليا من دون الله:

- ﴿وَلَوۡلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ لَّجَعَلۡنَا لِمَن يَكۡفُرُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ لِبُيُوتِهِمۡ سُقُفٗا مِّن فِضَّةٖ وَمَعَارِجَ عَلَيۡهَا يَظۡهَرُونَ ٣٣ وَلِبُيُوتِهِمۡ أَبۡوَٰبٗا وَسُرُرًا عَلَيۡهَا يَتَّكِـُٔونَ ٣٤ وَزُخۡرُفٗاۚ وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ وَٱلۡأٓخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلۡمُتَّقِينَ ٣٥ وَمَن يَعۡشُ عَن ذِكۡرِ ٱلرَّحۡمَٰنِ نُقَيِّضۡ لَهُۥ شَيۡطَٰنٗا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٞ ٣٦ وَإِنَّهُمۡ لَيَصُدُّونَهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحۡسَبُونَ أَنَّهُم مُّهۡتَدُونَ ٣٧﴾ [الزخرف: 33-37]

نتيجة مفتراة: كان لقوم عاد آلهة كثيرة:

- ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمۡ هُودٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۖ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا مُفۡتَرُونَ ٥٠ يَٰقَوۡمِ لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِي فَطَرَنِيٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ٥١ وَيَٰقَوۡمِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا وَيَزِدۡكُمۡ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمۡ وَلَا تَتَوَلَّوۡاْ مُجۡرِمِينَ ٥٢ قَالُواْ يَٰهُودُ مَا جِئۡتَنَا بِبَيِّنَةٖ وَمَا نَحۡنُ بِتَارِكِيٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوۡلِكَ وَمَا نَحۡنُ لَكَ بِمُؤۡمِنِينَ ٥٣﴾ [هود: 50-53]

لكن كان ربهم هو الشيطان، وهو الذي قد زين لهم أعمالهم:

- ﴿وَعَادٗا وَثَمُودَاْ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَٰكِنِهِمۡۖ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَصَدَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَكَانُواْ مُسۡتَبۡصِرِينَ ٣٨﴾ [العنكبوت: 38]

ولو دققنا أكثر، لوجدنا بأن الشيطان هو من زين أيضا لقوم فرعون عملهم:

- ﴿وَإِذۡ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلۡيَوۡمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّي جَارٞ لَّكُمۡۖ فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلۡفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّنكُمۡ إِنِّيٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوۡنَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَۚ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٤٨﴾ [الأنفال: 48]

وهو قد نشط في أن يزين لفرعون نفسه سوء عمله:

- ﴿أَسۡبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبٗاۚ وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرۡعَوۡنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِۚ وَمَا كَيۡدُ فِرۡعَوۡنَ إِلَّا فِي تَبَابٖ ٣٧﴾ [غافر: 37]

ونجد هذا الثلاثي (عاد، وثمود، وفرعون) هم من زين لهم الشيطان أعمالهم وصدهم عن السبيل مجتمعين في هذا السياق القرآني:

- ﴿أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ٦ إِرَمَ ذَاتِ ٱلۡعِمَادِ ٧ ٱلَّتِي لَمۡ يُخۡلَقۡ مِثۡلُهَا فِي ٱلۡبِلَٰدِ ٨ وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُواْ ٱلصَّخۡرَ بِٱلۡوَادِ ٩ وَفِرۡعَوۡنَ ذِي ٱلۡأَوۡتَادِ ١٠ ٱلَّذِينَ طَغَوۡاْ فِي ٱلۡبِلَٰدِ ١١ فَأَكۡثَرُواْ فِيهَا ٱلۡفَسَادَ ١٢ فَصَبَّ عَلَيۡهِمۡ رَبُّكَ سَوۡطَ عَذَابٍ ١٣﴾ [الفجر: 6-13]

فالأمم التي زين لهم الشيطان أعمالهم، قد كانت أمم فاجرة فاسقه، طغوا في البلاد، فأكثروا فيها الفساد، فاستحقت العقاب الإلهي:

- ﴿تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ [النحل: 63]

فهذا ما فعله الشيطان في سبأ:

- ﴿وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [النمل: 24]

نتيجة مفتراة مهمة جدا جدا: هذه مهمة الشيطان، وهي تزيين السيء للناس حتى يرونه حسنا:

- ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾﴾ [الحجر: 39]

وجاء التحذير الإلهي من الشيطان لأنه يزين لك سوء عملك:

- ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ ﴿٥﴾ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿٦﴾ الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٨﴾﴾ [فاطر: 5-8]

نتيجة مفتراة 1: الشيطان هو من يزين الأعمال
نتيجة مفتراة 2: الشيطان هو من يسول للبعض سوء عملهم
نتيجة مفتراة 3: عملية التزيين تكون بأن يوقع عليهم الرجس
نتيجة مفتراة 4: يزيد ذلك الرجس إلى رجسهم
نتيجة مفتراة 5: يصبح كلهم رجس
نتيجة مفتراة 6: مكان الرجس هو القلب
نتيجة مفتراة 7: ينشر القلب ذلك الرجس إلى الجسم كله، فيصبح الشخص كله رجس
نتيجة مفتراة 8: تغلف قلوبهم
نتيجة مفتراة 9: يطبع على قلوبهم
نتيجة مفتراة 10: يختم على قلوبهم

نتيجة مفتراة مهمة جدا جدا: من كان من هؤلاء (الذين هم رجس)، كان الشيطان هو ربه لأنه هو من يعبده، فيكون الشيطان هو وليهم، كما جاء على لسان إبراهيم موجها الخطاب لأبيه:

- ﴿يَٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ عَصِيّٗا ٤٤ يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيۡطَٰنِ وَلِيّٗا ٤٥﴾ [مريم: 44-45]

فأب إبراهيم كان على عادة عبادة الآلهة الكثيرة:

- ﴿إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِيٓ أَنتُمۡ لَهَا عَٰكِفُونَ ٥٢ قَالُواْ وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ٥٣﴾ [الأنبياء: 52-53]

لكن بالرغم من تعدد الآلهة، كان أب إبراهيم (على وجه التحديد) يعبد الشيطان:

- ﴿إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِي عَنكَ شَيۡـٔٗا ٤٢ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدۡ جَآءَنِي مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَمۡ يَأۡتِكَ فَٱتَّبِعۡنِيٓ أَهۡدِكَ صِرَٰطٗا سَوِيّٗا ٤٣ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ عَصِيّٗا ٤٤ يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيۡطَٰنِ وَلِيّٗا ٤٥ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنۡ ءَالِهَتِي يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُۖ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ لَأَرۡجُمَنَّكَۖ وَٱهۡجُرۡنِي مَلِيّٗا ٤٦﴾ [مريم: 42-46]

نتيجة مفتراة: كان أب إبراهيم يعبد آلهة كثيرة (قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنۡ ءَالِهَتِي يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُۖ). لكن لو دققنا في النص، لوجدنا بأن أب إبراهيم كان فعليا يعبد كينونتين:

⇐ آلهة كثيرة لا تسمع ولا تبصر (إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِي عَنكَ شَيۡـٔٗا)

⇐ الشيطان (يَٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ عَصِيّٗا)

السؤال المحوري: ما الفرق بين عبادة الآلهة التي لا تسمع ولا تبصر (الأصنام) من جهة وعبادة الشيطان من جهة أخرى؟

رأينا المفترى: نحن نفتري الظن بأن عبادة الشيطان تتم بالاتصال المباشر معه، فهو يزين لمن يعبده ما يعمل. ولا يتم ذلك إلا بأن يدخل تأثير الشيطان إلى القلب من خلال الفتنة (الأموال والأولاد).

السؤال: كيف يحصل هذا؟

تخيلات مفتراة من عند أنفسنا: ترتبط جميع شرايين وقنوات الدم في جسم الإنسان بالقلب فيما يسمى بالمفردات العلمية الدارجة بالدورة الدموية. فكل أعضاء الجسم تتلقى الدم الذي يجب أن يمر من

مضخة الدم، ويكون القلب هو المتحكم بهذا التوزيع. ومادام أن في القلب رجس، فإن هذا الرجس ينتقل من القلب إلى باقي أعضاء الجسم. فتتأثر الأعضاء بهذا الرجس القادم إليها من القلب. ويظهر مقدار هذا التأثر بالأعضاء بكمية الرجس الواصل إليها من القلب على شكل زرقة تصيب عروق الدم الواصلة إلى هذه الأعضاء. وكلما ازداد تأثير الشيطان في هذا القلب، كلما زاد هذا الرجس، لدرجة أن يصبح الجسم كله رجس. ولعلي أكاد أجزم الظن بأن تأثير الشيطان ينقل من القلب إلى باقي الجسم من خلال الجهاز العصبي. فالجهاز العصبي يتأثر بما يقع في قلب الإنسان من حب المال (لمن كان في قلبه مرض) أو ذكر الرحمن (للقلوب التي توجل لذكر الله). فينقل تلك الطاقة السلبية أو الإيجابية إلى بقية أعضاء الجسم، فيصيبها ذلك الرجس من الشيطان أو تتطهر، ولا شك أن الله يحب المتطهرين:

- ﴿وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡمَحِيضِۖ قُلۡ هُوَ أَذٗى فَٱعۡتَزِلُواْ ٱلنِّسَآءَ فِي ٱلۡمَحِيضِ وَلَا تَقۡرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطۡهُرۡنَۖ فَإِذَا تَطَهَّرۡنَ فَأۡتُوهُنَّ مِنۡ حَيۡثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلۡمُتَطَهِّرِينَ ٢٢٢﴾ [البقرة: 222]

نتيجة مفتراة: مريض القلب هو من كان في قلبه رجس بسبب ما زين له الشيطان من سوء عمله، وعكس ذلك هو سلامة القلب:

- ﴿إِلَّا مَنۡ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلۡبٖ سَلِيمٖ ٨٩﴾ [الشعراء: 89]
- ﴿۞وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبۡرَٰهِيمَ ٨٣ إِذۡ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلۡبٖ سَلِيمٍ ٨٤﴾ [الصافات: 83-84]

فبالرغم أن أب إبراهيم كان يعبد الشيطان، فإن إبراهيم هو من جاء ربه بقلب سليم، فسلامة قلب إبراهيم (نحن نظن جازمين) هو خلو قلبه من رجس الشيطان.

السؤال: كيف يمكن التخلص من رجس الشيطان؟

رأينا المفترى: نحن نظن بأن الرجس هو من عمل الشيطان:

- ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٩٠﴾ [المائدة: 90]

ولا شك أن الخنزير بأكمله رجس:

- ﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٖ يَطۡعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيۡتَةً أَوۡ دَمٗا مَّسۡفُوحًا أَوۡ لَحۡمَ خِنزِيرٖ فَإِنَّهُۥ رِجۡسٌ أَوۡ فِسۡقًا أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦۚ فَمَنِ ٱضۡطُرَّ غَيۡرَ بَاغٖ وَلَا عَادٖ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ١٤٥﴾ [الأنعام: 145]

والسؤال هو: لماذا كان الخنزير (لحم الخنزير) كله رجس؟

رأينا المفترى: لو سلّمنا بأن الله هو من جعل الذين اعتدوا في السبت قردة وخنازير:

- ﴿قُلۡ هَلۡ أُنَبِّئُكُم بِشَرّٖ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيۡهِ وَجَعَلَ مِنۡهُمُ ٱلۡقِرَدَةَ وَٱلۡخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَۚ أُوْلَٰٓئِكَ شَرّٞ مَّكَانٗا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ٦٠﴾ [المائدة: 60]

فإننا سنضطر أن نميز بين من جعلهم الله قردة مقابل من جعلهم الله خنازير، فما الفرق بين الفئتين؟

رأينا المفترى: افترينا الظن في مقالات سابقة لنا بأن من جعلهم الله قردة هم الذين اعتدوا في السبت من العامة من بني إسرائيل، أما الذين اعتدوا من أهل الكهنوت الديني الذين زين لهم الشيطان أعمالهم، فهم من جعلهم الله خنازير، وليس أدل على ذلك – برأينا- بأن هؤلاء هم من كانت قلوبهم غلف، ومن طبع الله على قلوبهم:

- ﴿وَرَفَعۡنَا فَوۡقَهُمُ ٱلطُّورَ بِمِيثَٰقِهِمۡ وَقُلۡنَا لَهُمُ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ سُجَّدٗا وَقُلۡنَا لَهُمۡ لَا تَعۡدُواْ فِي ٱلسَّبۡتِ وَأَخَذۡنَا مِنۡهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظٗا ١٥٤ فَبِمَا نَقۡضِهِم مِّيثَٰقَهُمۡ وَكُفۡرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتۡلِهِمُ ٱلۡأَنۢبِيَآءَ بِغَيۡرِ حَقّٖ وَقَوۡلِهِمۡ قُلُوبُنَا غُلۡفُۢۚ بَلۡ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيۡهَا بِكُفۡرِهِمۡ فَلَا يُؤۡمِنُونَ إِلَّا قَلِيلٗا ١٥٥﴾ [النساء: 154-155]

وهؤلاء هم بالضبط من لعنهم الله:

- ﴿وَقَالُواْ قُلُوبُنَا غُلۡفُۢۚ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفۡرِهِمۡ فَقَلِيلٗا مَّا يُؤۡمِنُونَ ٨٨﴾ [البقرة: 88]

فأصبحت كلها رجس، فما نقلت تلك القوب إلا الرجس إلى الجسم كله، فكانوا كلهم رجسا:

- ﴿سَيَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمۡ إِذَا ٱنقَلَبۡتُمۡ إِلَيۡهِمۡ لِتُعۡرِضُواْ عَنۡهُمۡۖ فَأَعۡرِضُواْ عَنۡهُمۡۖ إِنَّهُمۡ رِجۡسٞۖ وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ٩٥﴾ [التوبة: 95]

السؤال: ما هي آلية التخلص من الرجس؟

رأينا المفترى: نحن نظن بأن آليات التطهير من رجس الشيطان ومن عمل الشيطان هي التالية:

⇐ الدم الذي يكبح عمل الشيطان
⇐ الماء الذي ينظف عمل الشيطان
⇐ الفضة التي تطهر الجسم من الرجس
⇐ الذهب الذي يصد عمل الشيطان

وسنتعرض لهذه الافتراءات لاحقا بالتفصيل متى ما أذن الله لنا بشيء من علمه فيها. فالله وحده نسأل أن يعلمنا ما لم نكن نعمل، وأن يزيدنا علما وأن يهدينا لأقرب من هذا رشدا. ونعوذ به أن نكون ممن يفترون عليه الكذب أو ممن يقولون عليه ما ليس لهم بحق، إنه هو العليم الحكيم – آمين.

أما الآن، فسنطرح قضايا مهمة جدا له علاقة بهذا الفهم المفترى من عندنا عن عمل الشيطان.

الباب الأول: آلية تزين الشيطان للناس أعمالهم

السؤال: لماذا يزين الشيطان للناس أعمالهم؟

جواب مفترى: ليصدهم عن السبيل:

- ﴿وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [النمل: 24]
- ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٣٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴿٣٧﴾ وَعَادًا وَثَمُودَ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَاكِنِهِمْ ۖ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ ﴿٣٨﴾﴾ [العنكبوت: 36-38]
- ﴿أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا ۚ وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ ۚ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ ﴿٣٧﴾﴾ [غافر: 37]
- ﴿وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [الزخرف: 37]

نتيجة مفتراة مهمة جدا: إن الهدف مما يقوم به الشيطان من تزين الأعمال للناس هو أن يصدهم عن السبيل. انتهى.

السؤال: كيف يزين الشيطان للناس أعمالهم؟

رأينا المفترى الخطير جدا جدا: نحن نظن أنه عندما يزين الشيطان للناس أعمالهم، فهو يجعلها تظهر في أبهى حلة ممكنة، وذلك من أجل أن يوقعهم في الفتنة، وذلك بأن يجعل الناس تتشبث بهذه الزينة، وبالتالي يبعدهم عن ذكر الرحمن، فيسهل عليه عندئذ غوايتهم.

السؤال: كيف يحدث هذا على أرض الواقع؟

رأينا المفترى من عند أنفسنا: لو دققنا في الأمم والأشخاص الذين زين لهم الشيطان أعمالهم وصدهم عن السبيل، لوجدناها الأمم التي عمرت الأرض، حتى طغت في البلاد، فأكثروا فيها الفساد، كقوم عاد وثمود وفرعون نفسه:

- ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝٦ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ۝٧ ٱلَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي ٱلْبِلَٰدِ ۝٨ وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُواْ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ ۝٩ وَفِرْعَوْنَ ذِي ٱلْأَوْتَادِ ۝١٠ ٱلَّذِينَ طَغَوْاْ فِي ٱلْبِلَٰدِ ۝١١ فَأَكْثَرُواْ فِيهَا ٱلْفَسَادَ ۝١٢ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ۝١٣﴾ [الفجر: 6-13]

ولو دققنا في الأمر أكثر، لوجدنا بأن الشيطان للإنسان عدو مبين:

- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ۝١٦٨﴾ [البقرة: 168]
- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدْخُلُواْ فِي ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ۝٢٠٨﴾ [البقرة: 208]
- ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُواْ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْۚ إِنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ كَانُواْ لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا ۝١٠١﴾ [النساء: 101]
- ﴿وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ حَمُولَةً وَفَرْشًاۚ كُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ۝١٤٢﴾ [الأنعام: 142]
- ﴿فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍۚ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِۖ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ۝٢٢﴾ [الأعراف: 22]
- ﴿قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيْدًاۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ۝٥﴾ [يوسف: 5]
- ﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُواْ ٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ۝٥٣﴾ [الإسراء: 53]
- ﴿وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦۖ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِي مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِي مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِۖ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِۖ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ۝١٥﴾ [القصص: 15]
- ﴿۞ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُواْ ٱلشَّيْطَٰنَۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ۝٦٠﴾ [يس: 60]
- ﴿وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ۝٦٢﴾ [الزخرف: 62]

فبالرغم أن الشيطان للإنسان عدو مبين، إلا أنه يستطيع أن يوقعهم في شراكه. ليكون السؤال الحتمي الآن: كيف؟ أي كيف يستطيع من كان للإنسان عدو مبين (واضح وجلي) أن يوقعه في شراكه؟

ولو دققنا أكثر في السياقات القرآنية، لوجدنا أن الكافرين للمؤمنين عدو مبين:

- ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُبِينًا ﴿١٠١﴾﴾ [النساء: 101]

السؤال: كيف يمكن لمن كان لك عدو مبين أن يوقعك في شراكه؟ هل لو تيقنت بأن فلانا من الناس لك عدو مبين، ألا تتخذ كل أسباب الحيطة والحذر منه؟ هل يمكن أن يوقعك في شراكه بسهولة؟ وما هي الطريقة الوحيدة التي يمكن أن يوقعك في شراكه مع علمك اليقيني المسبق بأنه لك عدو مبين؟

رأينا المفترى: نحن نظن أنه من الاستحالة بمكان أن يستطيع عدوك المبين أن يوقعك في شراكه إلا بطريقة واحدة فقط: أن يقدم لك من المغريات (الزينة) ما يكفي أن يخادعك فيها.

السؤال: وكيف ذلك؟

رأينا المفترى: إن أول ما يلفت الانتباه هنا هو أن اللفظ جاء بصيغة التعريف للمفرد (الشيطان)، ليكون السؤال المبدئي من هو هذا الشيطان الذي هو عدو مبين؟

رأينا المفترى: إنه الشيطان نفسه الذي يزين لنا أعمالنا ليصدنا عن السبيل؟

السؤال: من هو؟

رأينا المفترى: لو عدنا لقصة بداية الخلق، لوجدنا التحذير الإلهي الأول لآدم وزوجه من هذا الشيطان:

- ﴿فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٢٢﴾﴾ [الأعراف: 22]

وهذا الشيطان (نحن نفتري القول) هو الذي أخرج آدم وزوجه من الجنة:

- ﴿يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [الأعراف: 27]

فهو إذن من وسوس لآدم وزوجه عندما كانا في الجنة:

- ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ ﴿٢٠﴾﴾ [الأعراف: 20]
- ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى ﴿١٢٠﴾﴾ [طه: 120]

السؤال: من هو هذا الشيطان الذي وسوس لآدم وزوجه حتى نزع عنهما لباسهما وبالتالي استطاع أن يخرجهما من الجنة؟

رأينا المفترى الخطير جدا جدا: إنه هامان. انتهى.

السؤال: ما مهمة هذا الشيطان (هامان) على وجه التحديد؟

رأينا المفترى: نحن نفتري الظن بأن مهمة هامان هي على وجه التحديد أن يخرج الناس من الجنة. فمهمة هذا الشيطان أن يوقع الناس في الشقاء الدنيوي والأخروي. فهو الذي أخرج آدم من الجنة، فسبب له الشقاء:

- ﴿فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى ﴿١١٧﴾ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَى ﴿١١٩﴾ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَى ﴿١٢٠﴾﴾ [طه: 117-120]

لقد كان من المفترض أن يظل آدم يعيش في الجنة، فلا يخرج منها، لأن الخروج منها سيسبب له الشقاء لا محالة.

السؤال: كيف يستطيع هذا الشيطان (هامان) أن يوقع الناس في الشقاء؟

جواب مفترى: بالتزيين

السؤال: وكيف ذلك؟

تخيلات مفتراة من عند أنفسنا: نحن نظن أن خطة الشيطان مبنية على التصور (الذي هو لا شك من عند أنفسنا) التالي: يحاول هذا الشيطان (مادام أنه عدو مبين هدفه غواية الناس) أن يقدم خدماته (الجليلة ظاهريا) للإنسان، فتبدو بأنها خيرا له في حياته هذه. فيقع الإنسان (بسبب الزينة المقدمة له من الشيطان) فريسة لهذا التضليل الشيطاني. وتكمن الخطة في أن يجعل الشيطان من نفسه ربا لمن أوقع منهم في شراكه، فيعبدوه كما فعل أب إبراهيم الذي كان يعبد الشيطان:

- ﴿يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾﴾ [مريم: 44]

فبالرغم من أن أب إبراهيم كان يعبد الأصنام التي لا تسمع ولا تبصر ولا تغني من الله شيئا:

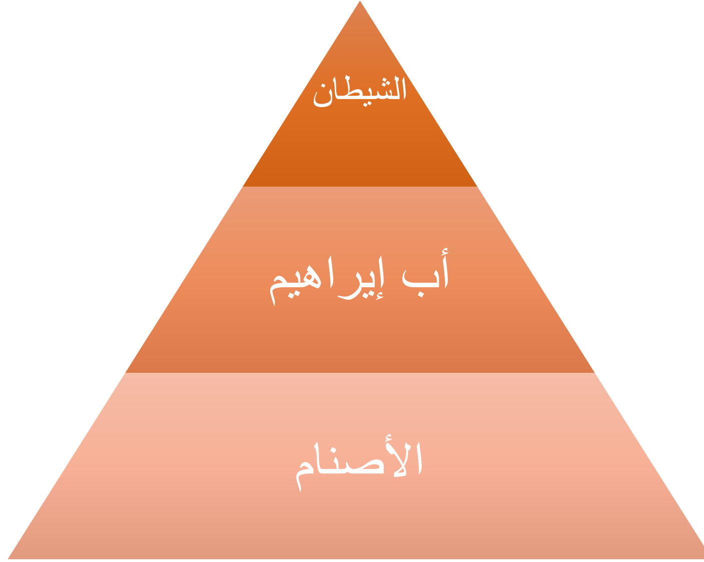
- ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا ﴿٤٢﴾﴾ [مريم: 42]

إلا أنه في الوقت ذاته كان يعبد الشيطان:

- ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنْ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [يس: 60-62]

السؤال المهم: لماذا هذه العبادة المزدوجة لأب إبراهيم؟

تخيلات مفتراة من عند أنفسنا: كان أب إبراهيم يعبد الأصنام التي لا تسمع ولا تبصر ولا تغني عنه شيئا ظاهريا بهدف أن يجر العامة من الناس من حوله إلى عبادتها، فيظن هؤلاء العامة من الناس أن هذه الأصنام (الآلهة) هي التي تجلب لهم الخير وتحقق لهم مطالبهم. لكن في حقيقة الأمر، كان أب إبراهيم هو وحده من يعبد الشيطان، لأن الشيطان هو فعليا من يحقق له مطالبه. فكان أب إبراهيم بمثابة حلقة الوصل بين الشيطان من جهة وهذه الأصنام من جهة اخرى كما في الشكل التوضيحي التالي:



فأب إبراهيم يتلقى الأوامر والتعليمات (والعلم) من الشيطان نفسه، فيظهر ذلك أمام الناس على أنه من قوة هذه الآلهة الماثلة أمامهم أصناما لا تسمع ولا تبصر، فينخدع الناس بها، فيذلّون لها رقابهم، طامعين في النعمة المتحصلة لهم من جراء ذلك. ونحن للظن أميل بأن أب إبراهيم كان هو رأس الكهنوت الديني الذي يأكل أموال الناس بالباطل ليصدهم عن سبيل الله، فيحقق لنفسه بذلك المكانة الاجتماعية الرفيعة والقوة الاقتصادية اللازمة ليسيطر بهما على القطيع من حوله. فهو لا يستطيع أن يبوح لهم بالسر الكامن بأن مصدر القوة الظاهرية لهذه الحجارة (الأصنام) هو الشيطان (عدوهم المبين)، فهذه معلومة محتكرة له وحده لم يطلع عليها إلا إبراهيم لما جاءه من العلم:

- ﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدۡ جَآءَنِي مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَمۡ يَأۡتِكَ فَٱتَّبِعۡنِيٓ أَهۡدِكَ صِرَٰطٗا سَوِيّٗا ٤٣﴾ [مريم: 43]

لكن لما كان أب إبراهيم هو كله رجس، لم ينزل عند قول إبراهيم، فطلب من إبراهيم أن لا يفضح أمره، ولا يكون ذلك إلا بالهجران، وإلا فالعاقبة وخيمة ستكون من أب إبراهيم لإبراهيم:

- ﴿قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنۡ ءَالِهَتِي يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُۖ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ لَأَرۡجُمَنَّكَۖ وَٱهۡجُرۡنِي مَلِيّٗا ٤٦﴾ [مريم: 46]

فالأب يتهدد الابن بالرجم إن هو لم ينتهي، وإلا فإن الحل الأمثل بالنسبة لهما هو الهجران. فكان قرار إبراهيم اعتزالهم وما يعبدون من دون الله:

- ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُواْ رَبِّى عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّى شَقِيًّا ﴿٤٨﴾﴾ [مريم: 48]

إن ما يهمنا طرحه هنا هو تصورنا التخيلي بأن الشيطان (هامان) يتصل بمن كان من الجبلة كأب إبراهيم هذا، فيعطيه من العلم الشيطاني ما يمكنه من رقاب العباد، فيعمد هذا الكاهن الأكبر إلى استخدام هذا العلم الشيطاني بكل دهاء ومكر، فيلبي للناس طلباتهم من خلال الآلهة المزعومة (الأصنام)، فيظهر للعيان بأن هذه الأصنام هي مصدر هذا الخير العميم الظاهري الذي أصابهم، فتنقاد الرقاب طوعا وكرها، ويكون الهدف الحقيقي هو الصد عن سبيل الله.

وقد تكرر هذا السيناريو في كل الأمم السابقة التي ظلت الطريق وصدهم شياطينهم من الإنس والجن عن السبيل. فقد كانت عاد وثمود وفرعون جميعا على عادة عبادة الشيطان، فأصبغ عليهم العلم الشيطاني الذي جعل حياتهم رغدا من خلال آلهة مزعومة، فظنوا أن هذه الآلهة المزعومة هي سبب ذاك الخير الوفير، فصدوهم بذلك عن سبيل الله.

تخيلات مفتراة من عند أنفسنا: كان الشيطان (هامان) هو سبب حضارة عاد التي لم يخلق مثلها في البلاد

تخيلات مفتراة من عند أنفسنا: كان الشيطان (هامان) هو سبب حضارة ثمود الذين جابوا الصخر بالواد

تخيلات مفتراة من عند أنفسنا: كان الشيطان (هامان) هو سبب حضارة فرعون ذي الأوتاد

السؤال: لماذا؟

جواب مفترى: لغوايتهم وبالتالي صدهم عن سبيل الله

السؤال: وكيف ذلك؟

رأينا المفترى: نحن نؤكد مرة أخرى بأن الخطة الشيطانية غاية في الدهاء والمكر؛ فالشيطان لا يستطيع أن يزل قدمك (مادام أنه عدو مبين لك) ما لم يقدم لك خدمات "ظاهرية جليلة"، يصعب عليك التنازل عنها لاحقا.

مثال

عندما طلب فرعون من قومه أن يتخذوه إلها، كان عليه أن يقدم لهم الأدلة والبراهين التي تثبت زعمه هذا. وإلا كيف لهم أن يقتنعوا جميعا بألوهيته وربوبيتهم لهم؟

- ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى فَأَوْقِدْ لِى يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣٨﴾﴾ [القصص: 38]
- ﴿فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾﴾ [النازعات: 24]

رأينا المفترى: بعد الاستفادة من خدمات الشيطان هامان، جعل فرعون أرض مصر جنات وعيون، وكنوز، وجعلها مقاما كريما، فكانت لهم نعمة هم فيها فاكهين:

- ﴿كَمۡ تَرَكُواْ مِن جَنَّٰتٖ وَعُيُونٖ ۝٢٥ وَزُرُوعٖ وَمَقَامٖ كَرِيمٖ ۝٢٦ وَنَعۡمَةٖ كَانُواْ فِيهَا فَٰكِهِينَ ۝٢٧﴾ [الدخان: 25-27]
- ﴿فَأَخۡرَجۡنَٰهُم مِّن جَنَّٰتٖ وَعُيُونٖ ۝٥٧ وَكُنُوزٖ وَمَقَامٖ كَرِيمٖ ۝٥٨﴾ [الشعراء: 57-58]

ولو تدبرنا هذه الآيات التي تصف لنا طبيعة حياة قوم فرعون في أرض مصر حينئذ، لوجدنا فيها الجنات والعيون والزروع والكنوز والمقام الكريم، فتعددت عليهم النعمة. وعندما جاءهم موسى برسالات ربهم، لم يكن من السهل عليهم اللحاق بركب موسى ومن معه تاركين كل هذه النعمة التي يتمتعون بها.

السؤال: لو كنت أنت (عزيزي القارئ) أحد الشاهدين على تلك النعمة في أرض مصر حينئذ، هل سيكون من السهل عليك أن تترك كل ذلك الخير الوفير الذي أعده فرعون لك لتلحق بركب بني إسرائيل المستضعفين في الأرض حينئذ؟

تخيلات أغرب من الخيال: لم يكن فرعون كما يتصوره الفكر الشعبي حاكما ظالما، مستبدا برأيه، بل كان (نحن نتخيل) رجلا ديمقراطيا من الطراز الرفيع، فلعلي أتخيل فرعون ينادي في قومه:

- ﴿وَنَادَىٰ فِرۡعَوۡنُ فِي قَوۡمِهِۦ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَلَيۡسَ لِي مُلۡكُ مِصۡرَ وَهَٰذِهِ ٱلۡأَنۡهَٰرُ تَجۡرِي مِن تَحۡتِيٓۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ۝٥١ أَمۡ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡ هَٰذَا ٱلَّذِي هُوَ مَهِينٞ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ۝٥٢ فَلَوۡلَآ أُلۡقِيَ عَلَيۡهِ أَسۡوِرَةٞ مِّن ذَهَبٍ أَوۡ جَآءَ مَعَهُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ مُقۡتَرِنِينَ ۝٥٣﴾ [الزخرف: 51-53]

ويكأن لسان حاله يقول لمن حوله (أنا أتخيل): أنتم أحرار فيما تختارون، إما أن تتخذوني إلها، فتنالون مما عندي من النعمة التي أنا موجدها، أو أن تلحقوا بركب هذا الذي هو مهين ولا يكاد يبين (حسب مفرداته)، وعندها تحرمون من هذه النعمة التي عندي.

السؤال مرة أخرى: لو كنت (عزيزي القارئ) متواجدا حينئذ، فما الذي ستختاره؟ هل تترك كل هذه النعمة التي عند فرعون لتلحق بركب موسى ومن معه؟ من يدري؟!!!

إن ما يهمنا طرحه هنا مرة أخرى: أن الشيطان ينفذ خطة ماكرة جدا، تتمثل في أن يسبغ على الناس نعمة ظاهرة يصعب عليهم بعد ذلك التنازل عنها، ويعمد إلى تنفيذ خطته تلك من خلال من يجحد بنعمة الله من أهل الكهنوت الديني، فينصّب لهم آلهة مزعومة، يدّعون أن هذا من عندهم، فتذل رقاب العباد لهم. وما أن يتخدع الناس بتلك الخطة الماكرة حتى يأتيهم العقاب الإلهي الشديد، فيخسرون بذلك دنياهم وآخرتهم.

نتيجة مفتراة خطيرة جدا جدا: إن هدف الشيطان هامان هو أن يخرج الناس من الجنات، فيكونوا من الذين خسروا الدنيا والآخرة، فيزين لهم أعمالهم ليصدهم عن السبيل، فيكونون ممن شقوا في الدنيا والآخرة. فالشيطان (هامان) لا يروق له أن يعيش الناس في جنات ربهم، فيكسبوا الدنيا والآخرة.

السؤال: كيف يفعل ذلك؟

رأينا المفترى: عندما يجد الشيطان أن هناك من الناس من يستطيع أن يقوم بهذه المهمة على أكمل وجه، فإنه ينبري له بالتأييد والمساندة، وقد لا يجد أفضل من أهل الكهنوت الديني للقيام بهذه المهمة الشيطانية نيابة عنه، والسبب في ذلك هو العلم ولا شيء آخر غير العلم.

السؤال: وكيف ذلك؟

تخيلات مفتراة من عند أنفسنا: عندما يلمح الشيطان بوادر العلم عند شخص ما، فإنه يسعى بكل ما أوتي من مكر وحيلة أن يساعد هذا الذي عنده العلم، فيآزره ويشد على يده، ويصبح (كما يقول المثل الشعبي) خاتما في أصبعه. فينفذ له ما يريد، كما فعل مع فرعون عندما بني له صرحا لبلوغ الأسباب. ويبقى هذا الشيطان مؤازرا لهؤلاء:

- ﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْۖ فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّيٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَۚ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ۝٤٨﴾ [الأنفال: 48]

وبالفعل، يقع هؤلاء فريسة سهلة له، بسبب حاجتهم الماسة لمساندته، حتى يستمر (حسب ظنهم) ما هم فيه من النعمة فاكهين. لكنهم لا يدركون أن هذا الشيطان يزين لهم أعمالهم، ويسول لهم ويملي لهم:

- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَى ٱلشَّيْطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ۝٢٥﴾ [محمد: 25]

السؤال: كيف استطاع فرعون أن يجعل أرض مصر ملكا له؟

- ﴿وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِۦ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِي مِن تَحْتِيٓۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ۝٥١﴾ [الزخرف: 51]

وكيف جعلها جنات وعيون تجري من تحتها الأنهار، وزروع ومقام كريم، وكنوز ونعمة هم فيها فاكهين؟

- ﴿كَمْ تَرَكُواْ مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ۝٢٥ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ۝٢٦ وَنَعْمَةٍ كَانُواْ فِيهَا فَٰكِهِينَ ۝٢٧﴾ [الدخان: 25-27]
- ﴿فَأَخْرَجْنَٰهُم مِّن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ۝٥٧ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ۝٥٨﴾ [الشعراء: 57-58]

وكيف استطاع أن يبني المصانع وأن يجعل لهم العروش فوق أرض مصر؟

- ﴿...وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ وَمَا كَانُوا۟ يَعْرِشُونَ ۝١٣٧﴾ [الأعراف: 137]

رأينا المفترى: نحن نظن أن فرعون استطاع عمل ذلك بالعلم. انتهى.

تخيلات مفتراة من عند أنفسنا: لما وجد الشيطان هامان أن فرعون يملك من العلم ما يمكنه أن يجعل أرض مصر جنات تجري من تحتها الأنهار، انبرى له لتقديم خدماته الجليلة، ليشدّ من ملك فرعون، ويحكم قبضته على قومه. فكان خادما تابعا لفرعون، كما نفهم ذلك من الآية الكريمة التالية:

- ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ۝١٧٥﴾ [الأعراف: 175]

وكانت الخدمة الأكبر التي قدمها هامان لفرعون وهو بناء الصرح لبلوغ الأسباب:

- ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى فَأَوْقِدْ لِى يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ۝٣٨ وَٱسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ ۝٣٩﴾ [القصص: 38-39]
- ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ۝٣٦ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا ۚ وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۚ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِى تَبَابٍ ۝٣٧﴾ [غافر: 36-37]

نتيجة مفتراة: لم يكن فرعون يستطيع النفاذ من أقطار السماوات والأرض إلا بمعاشرة الجن. فالإنس وحده لا يستطيع ذلك، والجن وحده لا يستطيع ذلك. فالنفاذ من أقطار السماوات والأرض تتطلب المعاشرة بين الإنس والجن:

- ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟ ۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ ۝٣٣﴾ [الرحمن: 33]

(للتفصيل انظر مقالاتنا السابقة)

فقد كانت سلطة فرعون على أرض مصر مطلقة، لكن كان يريد المحافظة عليها من خطر السماء الذي قد يتهددها في أي لحظة، فكان لابد له من طلب المساعدة من الجن، فيشكل حلفا من الجن والإنس للنفاذ من أقطار السماوات والأرض. وهنا وجد هامان الفرصة سانحة أن يعين فرعون في مهمته هذه، وبالفعل بنى له الصرح الذي يمكنه من بلوغ الأسباب للاطلاع على إله موسى.

فالشيطان هامان يعلم يقينا أنه لا يستطيع تجاوز حد معين في السماء، فالسماء بالنسبة له لو دخلها لأصابه الرجم فيها:

- ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ ۝٥﴾ [الملك: 5]

وهو يعلم أن الله قد اعتد لهم فيها عذاب السعير، فهو إذا لا يستطيع تجاوز مناطق السمع، لوجود الحرس الشديد والشهب:

- ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ۝٨ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ۝٩﴾ [الجن: 8-9]

لذا، فهو قد أعدّ الوسيلة (المركبة) التي تمكن فرعون من النفاذ إلى أسباب السماوات. وهنا تلاقت مصالح الطرفين، فرعون من جهة وهامان من جهة أخرى. ففرعون يريد الاطلاع على إله موسى لصد الخطر الذي يتهدده من هناك، وهامان يريد أن يوقع فرعون وقومه في الهلاك.

لقد كان بإمكان فرعون أن يوقع هامان في شراكه، فيستفيد من علمه، وينقلب عليه فورا، إلا أن فرعون أخطأ خطأ ذريعا حينما ركب راسه، وظن أنه يمكن أن ينجح في مهمته. ولو تدبرنا النص القرآني في سياقه الأوسع، لوجدنا على الفور أن تلك الاحتمالية كانت قائمة، لولا أن فرعون قد أخلد إلى الأرض:

- ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ۝١٧٥ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۚ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ۝١٧٦﴾ [الأعراف: 175-176]

لقد كان فرعون كالكلب الذي يلهث، لأنه أخلد إلى الأرض.

السؤال: ما معنى أنه قد أخلد إلى الأرض؟

رأينا المفترى: لو تدبرنا معنى الخلود في النص القرآني، وحاولنا البحث عن مفردة "أخلد" على مساحة النص القرآني، لما وجدناها قد وردت إلا في السياقين التاليين:

- ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۚ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ۝١٧٦﴾ [الأعراف: 176]
- ﴿يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ ۝٣﴾ [الهمزة: 3]

ولو حاولنا ربط هذين السياقين معا، لربما حقّ لنا أن نفتري الظن بأن فرعون قد حسب أنه قادر على الخلود بسبب ماله، فهو الذي (نحن نفتري الظن) جاء النص القرآني التالي ليصور حالته:

- ﴿أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ۝٥ يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا ۝٦ أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ ۝٧ أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ۝٨ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ۝٩ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ۝١٠ فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ۝١١﴾ [البلد: 5-11]

فلقد ظن فرعون (نحن لازلنا نتخيل) أنه قادر على الخلود بما لديه من المال الوفير، وهذا المال هو مال لبدا. أي مال ملبود بما أن الشياطين ترصده، فكان يملك الكنوز العظيمة:

- ﴿فَأَخْرَجْنَٰهُم مِّن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ۝٥٧ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ۝٥٨ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ۝٥٩ فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ ۝٦٠﴾ [الشعراء: 57-60]

وقد كان مصدر هذه الكنوز هم الشياطين التي تلبد هذا المال الوفير، فكانت تصل يد فرعون لهذا المال، لأن زعيم الشياطين نفسه (هامان) يعمل تحت طاعة فرعون. فهو بذلك قد قدم له الخدمات الجليلة التي تتمثل بـ:

1. المال الوفير
2. الصرح لبلوغ أسباب السماوات

وقد شكلت هذه العوامل مجتمعة قوة إضافية لفرعون، مكنته من إحكام السيطرة المطلقة على قومه، فأخضعت رقابهم له، فاعتقدوا جازمين بأنه ربهم الأعلى.

فلقد ظن فرعون أنه قادر على بلوغ أسباب السماوات وبالتالي فهو قادر على صد الخطر الذي قد يحدق بهم من هناك، كما كان لديه المال الوفير الذي يمكنه من بناء حضارة عملاقة، تمثلت في أن تكون أرض مصر جنات وعيون، ومقام كريم.

السؤال: كيف تحقق هذا الخلود إلى الأرض لفرعون؟

رأينا المفترى: لو تدبرنا ما جاء في الآية الكريمة التالية، لوجدنا فيها العجب:

- ﴿... وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ وَمَا كَانُوا۟ يَعْرِشُونَ ۝١٣٧﴾ [الأعراف: 137]

ليكون السؤال الفوري هو: ما الذي كان يصنعه فرعون وقومه؟

جواب مفترى من عند أنفسنا: مصانع

السؤال: ما هي تلك المصانع؟

جواب مفترى من عند أنفسنا: لو بحثنا عن المصانع في النص القرآني، لوجدناها من عمل عاد (قوم هود):

- ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾ وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾﴾ [الشعراء: 128-130]

نتيجة مفتراة من عند أنفسنا: نحن نظن بأن المصانع التي بناها قوم هود (عاد) كانت مصانع الخلد (وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ). انتهى.

السؤال: كيف يمكن أن نفهم ذلك؟

رأينا المفترى: نحن نفتري الظن بأن مصانع الخلد لها علاقة مباشرة بالحياة والموت. انتهى.

سؤال: وكيف ذلك؟

رأينا المفترى: لعلنا لا نتردد أن نظن بأن معضلة الموت والحياة هي من القضايا التي أقلقت الفكر البشري منذ الأزل، فأهم مشكلة للإنسان على هذه الأرض هي قضية الموت، وانتهاء الحياة عليها. فبحث الإنسان منذ القدم على وسيلة تمكنه من فك لغز هذه الظاهرة الأبدية، فكان لابد له من اللجوء إلى شتى الوسائل التي تزيح عن كاهله هذه الكارثة التي لا مفر منها. فأعمل فكره فيها، وحاول البحث عن أسبابها، ومسبباتها، وآليتها، وطرق التغلب عليها. وأشغل تفكيره فيما يحصل للإنسان بعد موته، فكانت قضايا البعث بعد الموت من أهم المشاكل التي تقض مضجعه. فكيف سيتعامل مع هذه الظاهرة الأزلية التي تهدد وجوده على الأرض؟

رأينا المفترى: للإجابة على هذا التساؤل، فإننا نجد الحاجة ملحة أن نخوض في التصور الذي كان متواجدا عند قوم فرعون الذين اتخذوا فرعون ربا لهم، واتخذوه إلها لهم، ليكون السؤال الحتمي هو: ألم يبرر لهم فرعون سبب الموت؟ ألم يبين لهم فرعون كيف يتعامل هو بنفسه مع هذه المعضلة؟ هل كان يظن القوم أن فرعون نفسه لن يموت؟ هل قال لهم فرعون بأنه لن يموت هو نفسه؟ فكيف يمكن لفرعون أن يثبت لهم أنه إلها لهم وفي الوقت ذاته يمكن أن يصيبه الموت هو بنفسه؟

السؤال: هل كان فرعون يظن كإله أنه سيموت في يوم من الأيام؟

جواب مفترى: نعم.

السؤال: هل كان قوم فرعون يظنون أن فرعون (كإله لهم) سيموت في يوم من الأيام؟

جواب مفترى: نعم

السؤال القوي: كيف إذا اتخذوه ربا وإلها لهم مادام أن الموت سيصيبه في يوم من الأيام؟

رأينا المفترى: نحن نظن أن القوم قد اتخذوا فرعون ربا أعلى وإلها أوحد لهم بالرغم أنه سيصيبه الموت في يوم من الأيام، وذلك لأن فلسفة الموت والحياة عندهم مختلفة تماما.

السؤال: ماذا كانت فلسفة الموت والحياة عند قوم فرعون؟

رأينا المفترى: نحن نظن بأن فرعون قد أقنع قومه بأن فلسفة الموت والحياة هي الخلود إلى الأرض. انتهى.

السؤال: وكيف ذلك؟

رأينا المفترى: نحن نفتري الظن بأن فرعون قد بنى مصانع الخلد كالتي كانت في قوم عاد، وكان الهدف منها شيئا واحدا، وهو أن يعيش الإنسان الأجل كله، قال تعالى:

- ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا ۖ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ ۖ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ ۝٢﴾ [الأنعام: 2]

رأينا المفترى: لو دققنا في هذه الآية الكريمة، لوجدنا أنها تتحدث عن أجلين:

⇐ أجل مقضي
⇐ أجل مسمى عنده

السؤال: ما الفرق بين الأجلين؟

رأينا المفترى: نحن نظن أن الأجل المقضي هو الأجل الذي يختلف من شخص لآخر، فيموت الناس بأعمار متفاوتة، كما أن طريقة موتهم تختلف، فمنهم من يقضي عليه الموت، ومنهم من يموت بحادث طارئ، ومنهم من يموت بمرض مفاجئ، ومنهم من يموت بطريقة غامضة لا يمكن التنبؤ بها، وهكذا. فتتفاوت أعمارهم، وتختلف الميتة من شخص إلى آخر. لكن بالمقابل هناك الأجل المسمى، الذي يحدد أعمار الجميع بالتساوي، لأن الموت حتمي لا مفر منه منها طال الأجل:

- ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ۝٣٠﴾ [الزمر: 30]

وهنا بالضبط تكمن المعضلة، فمشكلة الإنسان ليست بحتمية الموت، لكن مشكلته بطول الأجل، وبطريقة الموت. فلو حصل أن كل الناس قد بلغوا الأجل المسمى، لأصبح الأمر مفهوما لا يخيف الناس ولا يشكل تهديدا لحياتهم. فتخل معي – عزيزي القارئ- أن كل الناس تعيش بالتساوي إلى حد معين، كأن يعيشوا جميعا أجلا واحدا محددا بمئة وخمسين عاما مثلا. وتخيل أن لا أحد يموت قبل أن يبلغ هذا الأجل. ويصبح الموت حتمي لكل من بلغ هذا المقدار من السنيين، فكيف سينظر الناس حينئذ لقضية الموت؟

تخيلات مفتراة من عند أنفسنا: نحن نظن بأنه لو كانت حياة الناس تجري على هذه الشاكلة، لما سبب الموت مشكلة لأحد، ولربما نظر الناس للأمر على أنه ليس أكثر من عملية انتقال من مرحلة إلى أخرى. والأهم من ذلك، لظن الناس أن الحياة ليست أكثر من مسألة خلود إلى الأرض.

السؤال: كيف يكون ذلك؟

رأينا المفترى: لفهم هذه الإشكالية علينا أن نطرح تساؤلات مهمة جدا عن حياة القوم (قوم فرعون) حينئذ:

- ⇐ ألم يتخذ قوم فرعون فرعون هذا ربا لهم؟
- ⇐ ألم يتخذ قوم فرعون فرعون هذا إلها لهم؟
- ⇐ ماذا كان فرعون يقدم لهم من خدمات بمستوى الإله؟
- ⇐ ماذا لو مرض أحد من قوم فرعون وطلب مساعدة فرعون كإله؟
- ⇐ هل يستطيع فرعون أن يتلكأ عن مساعدته؟
- ⇐ هل لو عجز فرعون على تقديم العون للمريض الذي يطلب منه مساعدته، هل يظل هذا الشخص يؤمن به كإله؟ أليس الإله يشفي من يمرض؟

- ﴿وَٱلَّذِي هُوَ يُطۡعِمُنِي وَيَسۡقِينِ ۝٧٩ وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ ۝٨٠﴾ [الشعراء: 79-80]

- ⇐ ماذا لو كان هناك شخص قد أصيب بإعاقة جسدية؟
- ⇐ ألن يلجأ إلى ربه وإلهه (فرعون) أن يذهب ما به من إعاقة بدنية؟
- ⇐ ماذا لو تلكأ فرعون عن فعل ذلك؟
- ⇐ وماذا لو ثبت عجزه أمام هذه المشاكل؟
- ⇐ هل يظل الناس ينظرون له بمنظور من هو فعلا إله قادر على ذلك؟
- ⇐ الخ

رأينا المفترى: من أجل أن يثبت فرعون زعمه للإنسان بأنه إله، ومن أجل أن يقتنع الناس بأن فرعون هذا فعلا ربا وإلها لهم، فلابد أن يكون قادرا على التعامل مع هذه المشاكل بكل يسر وسهولة، وإلا لبان عجزه مباشرة، ولأصبح الإيمان به كإله أمرا غير ممكن إطلاقا.

السؤال: هل كان فرعون فعلا قادرا على التعامل مع هذه القضايا؟ وهل كان فرعون يملك من المقومات ما يجعل القوم يؤمنون فعلا أنه ربا لهم وإلههم الذي لا يعلو لهم سواه؟

جواب مفترى: نعم. لقد كان فرعون قادرا على أن يثبت زعمه لهم، وقد آمن الناس به كإله لأنه كان فعلا قادرا على أن يخلدهم إلى الأرض. انتهى.

السؤال: وكيف ذلك؟

رأينا المفترى: لقد كان فرعون وريث حضارة عاد وثمود، وكان بنفسه ذا الأوتاد:

- ﴿كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ وَعَادٞ وَفِرۡعَوۡنُ ذُو ٱلۡأَوۡتَادِ ۝١٢﴾ [ص: 12]
- ﴿أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝٦ إِرَمَ ذَاتِ ٱلۡعِمَادِ ۝٧ ٱلَّتِي لَمۡ يُخۡلَقۡ مِثۡلُهَا فِي ٱلۡبِلَٰدِ ۝٨ وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُواْ ٱلصَّخۡرَ بِٱلۡوَادِ ۝٩ وَفِرۡعَوۡنَ ذِي ٱلۡأَوۡتَادِ ۝١٠﴾ [الفجر: 6-10]

وهذه الأوتاد (نحن نعاود الافتراء مرات ومرات) هي الأهرامات الموجودة في الجيزة في أرض مصر، فهذه هي (نحن نرى) مصانع الخلود التي بناها قوم هود (عاد)، والغاية منها أنها عبارة عن مشافي طبية، تستخدم لعلاج الأمراض كلها. فلقد ملك فرعون سر هذه المصانع، وعلّم قومه طريقة بناء أهرامات مصغرة على غرارها، فكان كل هرم جديد صنعه قوم فرعون عبارة عن عيادة طبية، تختص بنوع معين من الأمراض والإعاقات. وكانت كفيلة بأن نحقق للناس الخلود في الأرض حتى بلوغ الأجل المسمى، فما قضى أحد منهم بالأجل السابق قبل أن يبلغ الأجل المسمى. فكانت أهم نعمة لفرعون على قومه هو أنه جعلهم يعيشون في جنات وعيون، ومقام كريم، فما كان أحد منهم يخشى أن يقضي بالأجل الأول قبل بلوغ الأجل المسمى، فعاشوا جميعا، في نعمة كانوا فيها فاكهين:

- ﴿وَنَعۡمَةٖ كَانُواْ فِيهَا فَٰكِهِينَ ٢٧﴾ [الدخان: 27]

ولو حاولنا البحث عن هذه المفردة (فَاكِهِينَ) على مساحة النص القرآني، لما وجدناها قد وردت مرة أخرى إلا في السياق القرآني التالي الذي يصور حياة الأزواج في جنة الخلد الإلهية:

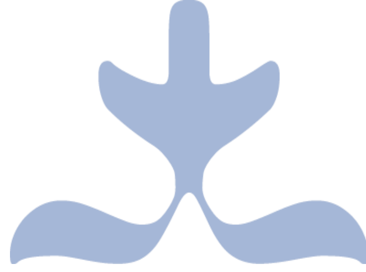
- ﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَنَعِيمٖ ١٧ فَٰكِهِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡ وَوَقَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ١٨﴾ [الطور: 17-18]

ولعل التحليل الأولي لمفردة فكهين تشير لنا أن من كانت حياته من الفاكهين، فإنه من أهل الجنة التي لا يصبهم ولا يفزعهم الموت أو حتى الخوف منه.

وللحديث بقية بإذن الله

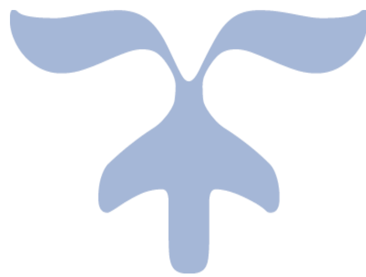
فالله وحده أسأل أن يعلمني، وأن يزيدني علما، وأن يهدين لأقرب من هذا رشدا. وأعوذ به وحده أن أكون ممن يفترون عليه الكذب أو ممن يقولون عليه ما ليس لهم بحق، وأعوذ به أن يكون أمري كأمر فرعون، إنه هو العليم الحكيم - آمين.

المدكرون: رشيد سليم الجراح & علي محمود سالم الشرمان
بقلم د. رشيد الجراح
28 آب 2018



فقه الصيام

الجزء الرابع



فقه الصيام: الجزء الرابع

خلصنا في الجزء السابق من هذه المقالة إلى افتراء الظن من عند أنفسنا بأن فرعون قد استطاع أن يقنع قومه بأنه هو ربهم الأعلى وأنه هو إلههم الأوحد بالرغم أنه سيصيبه الموت، وذلك – برأينا- لسبب بسيط وهو وجود فهم مغاير (عما عندنا) لفلسفة الموت والحياة عند فرعون وقومه. فالحياة بالنسبة لهم هو أن يقضي الناس الأجل المسمى فلا يصيبه مرض ولا نصب ولا عذاب في هذه الحياة، فيصبح من الفاكهين:

- ﴿كَمۡ تَرَكُواْ مِن جَنَّٰتٖ وَعُيُونٖ ٢٥ وَزُرُوعٖ وَمَقَامٖ كَرِيمٖ ٢٦ وَنَعۡمَةٖ كَانُواْ فِيهَا فَٰكِهِينَ ٢٧﴾ [الدخان: 25-27]

بالضبط كما هي حياة الداخلين في جنات النعيم عند ربهم:

- ﴿فَٰكِهِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡ وَوَقَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ١٨ كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ هَنِيٓـَٔۢا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ١٩﴾ [الطور: 18-19]

ونحن نفهم مفردة فاكهين على أنه النعيم الذي لا ينغصه النصب والعذاب والخوف من الموت. ولتبرير هذا الافتراء الذي هو لا شك من عند أنفسنا، علينا أن نحاول التمييز بين لفظتين متقاربتين وردتا في النص القرآني، وهما مفردة فَاكِهِينَ هذه مقابل مفردة فَكِهِينَ التي ترد في السياق القرآني التالي:

- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْ كَانُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَضۡحَكُونَ ٢٩ وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمۡ يَتَغَامَزُونَ ٣٠ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِمُ ٱنقَلَبُواْ فَكِهِينَ ٣١﴾ [المطففين: 29-31]

ففي حين أن مفردة فَاكِهِينَ تصور حياة الرغد في الجنة، حيث التلذذ بما فيها من أكل دون أن يصبهم ما يعكر صفوة الحياة فيها، كما بدأت حياة آدم وزوجة في جنة المأوى:

- ﴿وَقُلۡنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ وَكُلَا مِنۡهَا رَغَدًا حَيۡثُ شِئۡتُمَا وَلَا تَقۡرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٣٥﴾ [البقرة: 35]

فإن مفردة فَكِهِينَ تصور – بالمقابل- جانبا من تصرف المجرمين تجاه المؤمنين حيث الاستهزاء من الطرف الأول (الذين أجرموا) بما كان يعمل الطرف الثاني (الذين آمنوا):

- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْ كَانُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَضۡحَكُونَ ٢٩ وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمۡ يَتَغَامَزُونَ ٣٠ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِمُ ٱنقَلَبُواْ فَكِهِينَ ٣١﴾ [المطففين: 29-31]

نتيجة مفتراة 1: نحن نظن أن لمفردة فَاكِهِينَ معنى إيجابي، فمن كان من الفاكهين، فهو في نعيم

نتيجة مفتراة 2: نحن نظن بأن لمفردة فَكِهِينَ معنى سلبي، فمن كان من الفكهين، فهو من الذين أجرموا

ولتبسيط الصورة، فإننا نظن (ربما مخطئين) بأن مفردة فاكهين لها علاقة بمفردة الفاكهة التي وردت في الآيات الكريمة التالية:

- ﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ ۝ هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ ۝ لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُمْ مَا يَدَّعُونَ ۝﴾ [يس: 55-57]
- ﴿هَٰذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ ۝ جَنَّاتِ عَدْنٍ مُفَتَّحَةً لَهُمُ الْأَبْوَابُ ۝ مُتَّكِئِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ۝﴾ [ص: 49-51]
- ﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ۝ وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ۝ لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ ۝﴾ [الزخرف: 71-73]
- ﴿يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِينَ ۝ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَىٰ وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ۝ فَضْلًا مِنْ رَبِّكَ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ۝﴾ [الدخان: 55-57]
- ﴿وَأَمْدَدْنَاهُمْ بِفَاكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ ۝ يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ ۝﴾ [الطور: 22-23]
- ﴿فِيهَا فَاكِهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ ۝ وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ ۝﴾ [الرحمن: 11-12]
- ﴿فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ ۝﴾ [الرحمن: 52]
- ﴿فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ۝﴾ [الرحمن: 68]
- ﴿وَفَاكِهَةٍ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ ۝ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ ۝﴾ [الواقعة: 20-21]
- ﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ ۝ فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ ۝ وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ ۝ وَظِلٍّ مَمْدُودٍ ۝ وَمَاءٍ مَسْكُوبٍ ۝ وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ۝ لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ۝﴾ [الواقعة: 27-33]
- ﴿فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ۝ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ۝ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ۝ وَحَدَائِقَ غُلْبًا ۝ وَفَاكِهَةً وَأَبًّا ۝ مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ ۝﴾ [عبس: 27-32]

كما نظن بأن لها علاقة بمفردة "الفواكه" التي وردت في السياقات القرآنية التالية:

- ﴿فَأَنْشَأْنَا لَكُمْ بِهِ جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ لَكُمْ فِيهَا فَوَاكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ۝﴾ [المؤمنون: 19]
- ﴿أُولَٰئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَعْلُومٌ ۝ فَوَاكِهُ وَهُمْ مُكْرَمُونَ ۝ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ۝﴾ [الصافات: 41-43]

- ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي ظِلَٰلٖ وَعُيُونٖ ۝٤١ وَفَوَٰكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ۝٤٢ كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ هَنِيٓـَٔۢا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝٤٣ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ ۝٤٤﴾ [المرسلات: 41-44]

أما مفردة فَكِهِينَ، فلها (نحن نفتري الظن) علاقة بالفكاهة، المصاحبة للتندر والضحك من تصرفات الآخرين، فهؤلاء الذين أجرموا فكهين (أي يتندرون) من أعمال الذين آمنوا عندما يمرون بهم:

- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُواْ كَانُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَضْحَكُونَ ۝٢٩ وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ۝٣٠ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ ٱنقَلَبُواْ فَكِهِينَ ۝٣١﴾ [المطففين: 29-31]

ولا شك – عندنا- أن الفواكه (كطعام) ليس من أساسيات الحياة، فالإنسان يستطيع العيش بدون تلك الأطعمة طوال حياته، لكن وجود الفاكهة (وأنواعها من الفواكه) في البيت علامة دالة على رغد الحياة فيه، فالبيت أو لنقل الشقة السكنية التي عادة ما تخلو منها الفاكهة (كشقتي التي أسكن فيها في الجامعة التي أدرس فيها) هو أساسا بيت يكتفي بمقومات الحياة البسيطة (كالخبز واللبن وبعض الخضار وقليل من اللحوم)، أما البيت الذي تكثر فيه الفواكه (كبيت رئيس الجامعة التي أدرس فيها)، فهو لا شك بيت فيه من مقومات رغد الحياة ما يدل على الفساد المالي في الجين العربي. فلا غرابة في بلاد الأعراب أن يكون الفرق بين ما يتقاضاه رئيس الجامعة (كأستاذ جامعي) وما اتقاضاه أنا (كأستاذ جامعي) في الجامعة نفسها عشرات الأضعاف. لذا، تكثر الفاكهة في بيته حتى تكاد تملأ سلال المهملات، بينما لا تجده في بيتي إلا في المناسبات من الوزن الثقيل. والغريب المريب في ذلك، أني كشخص (أحاول جاهدا أن أكون محترما) لا أسرق الناس بالقانون (ربما لأني لا أستطيع، يعني مش كلها نزاهة)، بينما لا يجد المسئول العربي (كشخص محترم طبعا) أن يلجأ إلى قوننة سرقاته المالية. ففي حين أني لا أجد ضيرا في أن أكشف للجميع عن مقدار ما اتقاضاه من الجامعة كدخل سنوي حتى أن المارة في الطريق يستطيع أن يجد كشف راتبي الشهري تذروه الرياح في الطرقات، يحرص السئول العربي (المحترم طبعا) أن يخفي عن أعين الناظرين (حتى المقربين منه) ما يتقاضاه من دخل سنوي ومن راتب شهري. فحتى لا يطلع عليه أحد، يحاول المسئول العربي أن يخفي الأوراق والمستندات (القانونية طبعا) التي تفصل ما يتقاضاه من المؤسسة التي يرأسها كدخل سنوي وكراتب شهري. ولو مررت من أمام منزلة الذين تزين مدخله بلاطة مكتوب عليها "هذا من فضل ربي"، لربما خطر ببالك السؤال التشكيكي التالي: هل يمكن لموظف حكومي يتقاضى راتبا شهريا (يسمى معاشا) أن يبني مثل هذه القصور ويركب مثل هذه السيارات الفارهة التي تصطف في كراجات منزله وأمام مداخله؟ من يدري؟!!!

ألست أنا أستاذ جامعي مثله؟ ألم أتخرج من جامعات عالمية ربما أفضل من الجامعات التي تخرج منها هو؟ ألم يكن تحصيلي العلمي والأكاديمي ربما أفضل من تحصيله؟ أليس انتاجي العلمي ومهارتي في التدريس تجاري انتاجه ومهارته في التدريس وربما تفوقه (طبعا زي ما قال لي الطلبة الذين أدرسهم)؟ فما بالي إذا لا أجد ما وجد ولم أحصل إلا على كسر عشري مما يحصل عليه هو؟ من يدري؟!!!

على أي حال، ربما يكون هو قد ورث عن آبائه ما لم أرث أنا عن آبائي، لكن لم كان في يوم من الأيام مثلي، يسكن شقة مجاورة لشقتي التي تتهددها الجرذان وتتسرب إليها الحشرات القوارض من كل شق فيها؟ ثم باله ما أن بدأ يتقلب (كسابقيه) على كراسي المناصب حتى بدأت الفواكه تكثر في بيته؟! من يدري؟!!!

إن ما يهمنا قوله هو أنه لو لم يكن في الأمر ريبة وشك كبيرين، لما كان الفارق بيننا (كأستاذين جامعين) شاسعا لهذه الدرجة، والأهم من ذلك لما تردد هو (كما لا أتردد أنا) أن يقول للناس هاؤم أقرأوا كتابيه، ليكون السؤال الذي تكاد تطير بسببه عصافير رأسي (كما يقول المثل) هو: لم يحرص المسئول من بني الأعراب على عدم اظهار ما تطوله يده من أموال الناس ما دام أنه يأخذ تلك المكاسب بالقانون؟ وبكلمات أكثر تفصيلا نحن نسأل: إذا كان دخلهم من المال العام يجري ضمن إطار القانون المعمول به، لم يحاولون أن يحجزوا المعلومة عن الآخرين، فلا يطلع عليها أحد إلا من ارتضوا من مارق مثلهم؟ أليست الشفافية التي يتغنون بها على شاشات التلفزة ومحطات الإذاعة والصحافة الورقية والالكترونية ليل نهار تلزمهم (لو كانوا فعلا صادقين) أن يكشفوا على رؤوس الأشهاد ما كسبوا عندما تولوا مناصبهم كما كانوا يكشفونها قبل أن ينعم عليهم ربهم (ولي نعمتهم) بهذه المناصب الرفيعة؟ أم تراهم هم الذين كتبوا تلك القوانين الجائرة الظالمة بأيدهم وسطروا لأنفسهم فيها من المكاسب الشخصية ما يجعلهم يخجلون منها أمام العامة؟ ألا نجد أن رؤساء أكبر دول الأرض (كالرئيس الأمريكي والروسي والصيني والياباني والألماني والبريطاني والفرنسي وغيرهم) وحتى رؤساء دول أدغال إفريقيا وأدغال الأمازون يكشفون للناس عما يكسبون من مناصبهم كدخل سنوي يخضع للضريبة العامة للدولة؟ لم لا نستطيع نحن (الأعراب الأجراب) الوصول إلى كشف حساب شهري لمدير الأحوال المدنية أو رئيس بلدية في قرية نائية في بلاد من كانوا خير (بل شر) أمة أخرجت للناس؟! لم يحصل المسئول في هذه البلاد المنكوبة بفكرها على مكاسب تمكنه من أن يعيش في هذه البلدان البائسة حياة البذخ الذي لا نجد مثيلا له إلا في بلاط الملوك في قصص ألف ليلة وليلة، بينما ترزخ شعوبهم المستحمرة تحت وطأة الجوع والفقر المدقع الذي لا نجد تصويرا له إلا في روايات تشارلز ديكنز وفكتور هيغو؟ من يدري؟!

إن مراد القول هو أن الفاكهة التي تتواجد بكثرة في بيوت هؤلاء "الفاسدين المارقين على الحضارة البشرية" هي علامة من علامات البذخ والترف، فالفاكهة لا تؤكل لسد جوع البطون، وإنما للمتعة والتلذذ برغد الحياة ونعيمها. وعندما نقرأ لفظة الجنة في القرآن الكريم، نجدها مقرونة بوجود الأصناف الكثيرة من الفاكهة:

- ﴿۞ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٍ مَّعْرُوشَٰتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَٰتٍ وَٱلنَّخْلَ وَٱلزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُۥ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۚ كُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ۖ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٤١﴾﴾ [الأنعام: 141]
- ﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾﴾ [الرعد: 4]

- ﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ ۝٥٥ هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ ۝٥٦ لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ۝٥٧﴾ [يس: 55-57]
- ﴿هَٰذَا ذِكْرٌ ۚ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ ۝٤٩ جَنَّاتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ الْأَبْوَابُ ۝٥٠ مُتَّكِئِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ۝٥١﴾ [ص: 49-51]
- ﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ ۖ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ ۖ وَأَنتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ۝٧١ وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝٧٢ لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ ۝٧٣﴾ [الزخرف: 71-73]
- ﴿يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِينَ ۝٥٥ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَىٰ ۖ وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ۝٥٦ فَضْلًا مِّن رَّبِّكَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ۝٥٧﴾ [الدخان: 55-57]
- ﴿وَأَمْدَدْنَاهُم بِفَاكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ۝٢٢ يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ ۝٢٣﴾ [الطور: 22-23]
- ﴿فِيهَا فَاكِهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ ۝١١ وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ ۝١٢﴾ [الرحمن: 11-12]
- ﴿فِيهِمَا مِن كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ ۝٥٢﴾ [الرحمن: 52]
- ﴿فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ۝٦٨﴾ [الرحمن: 68]
- ﴿وَفَاكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ۝٢٠ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ۝٢١﴾ [الواقعة: 20-21]
- ﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ ۝٢٧ فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ۝٢٨ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ۝٢٩ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ۝٣٠ وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ ۝٣١ وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ۝٣٢ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ۝٣٣﴾ [الواقعة: 27-33]
- ﴿فَأَنبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ۝٢٧ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ۝٢٨ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ۝٢٩ وَحَدَائِقَ غُلْبًا ۝٣٠ وَفَاكِهَةً وَأَبًّا ۝٣١ مَّتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ ۝٣٢﴾ [عبس: 27-32]
-

ولا شك أن الأرض المزروعة بالمحاصيل الحقلية لا تسمى جنة ما لم تكن الفاكهة وفيرة على أطرافها:

- ﴿۞ وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ۝٣٢ كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْئًا ۚ وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهَرًا ۝٣٣﴾ [الكهف: 32-33]

نتيجة مفتراة 1: تدل مفردة فاكهين على أن من يتصف بها يعيش حياة الترف الواضح والنعيم ربما غير المنقطع

لكن بالمقابل، تدل كلمة فكهين (كما أسلفنا) على التندر والسخرية التي تثير الضحك والاستهزاء. فلا شك أن المؤمنين يقومون بأعمال جدية، جديرة بالملاحظة والاهتمام، ولكن عندما يمر المجرمون

بهؤلاء المؤمنين، يكون تصرفهم على نحو الاستهزاء والضحك والتندر منهم، كما تصور ذلك الآية الكريمة نفسها أحسن تصوير:

- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُواْ كَانُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَضْحَكُونَ ۝٢٩ وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ۝٣٠ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ ٱنقَلَبُواْ فَكِهِينَ ۝٣١﴾ [المطففين: 29-31]

فالذين أجرموا دائمو الضحك من الذين آمنوا. وإذا حصل اللقاء بين الفئتين، كان الذين أجرموا هم الذين يتغامزون، أي يشيرون بطرق مباشرة وغير مباشرة إلى التقليل من شأن عمل المؤمنين. ,إذا ما انقلبوا إلى أهلهم، أصبح حديثهم عن الذين آمنوا يتصف بالفكاهة، أي التندر بكل ما فعله المؤمنين، فيقلبوا عمل الذين آمنوا من الجدية إلى الاستخفاف الذي يثير الطرفة والغرابة والضحك. فكانوا بذلك فكهين.

نتيجة مفتراة: نحن نظن (ربما مخطئين) بأن مفردة فكهين تدل على أن من يتصف بها هو ممن يثير السخرية والتندر من الآخرين، بهدف تقليل أهميتها.

ولعل الرابط (بسبب التقارب اللفظي) بين المفردتين (فاكهين وفكهين) هو أن كلاهما (نحن نفتري الظن) يقع في باب الإضافات والكماليات، أي ما يضفي صبغة الترف واللهو والزينة على الحياة. فالذي يأكل الفاكهة هو من كان قد سد حاجته الأساسية من الطعام، فيأخذ يلهو بالفاكهة في أوقات الراحة من قبيل جلب المتعة والرغد في الحياة.

وكذلك هي الحال بالنسبة لمن كان من الفكهين، فهو الذي يعرض عن الأمور الاساسية الجدية التي كان من المفترض أن تلجب اهتمامهم بها، فتكون من الأساسيات عندهم. لكنهم تركوا هذه الاساسيات لأنها لم تكن تهمهم، فانشغلوا بالفرعيات التي تجلب لهم متعة ورفاهية مزعومة، ظنوا أنها أهم من الانشغال بالجديات. فتراه ينصرف إلى السخرية والتندر من أجل إراحة نفسه من ثقل المسئولية التي كان من المفترض أن تلقى على عاتقه لو أنه فعلا انشغل بتلك الأمور الأساسية المهمة.

نتيجة مفتراة: الفاكهة من الطعام تجلب المتعة الزائدة لأن حاجة الشخص من الطعام الأساسي قد قضيت، فما عادت ملحة

نتيجة مفتراة: الفكاهة في الكلام تجلب المتعة الزائدة لأن حاجة الشخص من مواضيع الكلام الجدية غير ملحة

إن ما نود الوصول إليه هو أن قوم فرعون كانوا فاكهين:

- ﴿كَمْ تَرَكُواْ مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ۝٢٥ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ۝٢٦ وَنَعْمَةٍ كَانُواْ فِيهَا فَٰكِهِينَ ۝٢٧﴾ [الدخان: 25-27]

والسبب في ذلك هو بظننا (ربما مخطئين) أن القوم كانوا في مأمن من الأخطار التي تهدد حياتهم بانتهاء الأجل المقضي قبل الأجل المسمى. فكان القوم لا يخشون المرض الذي ينغص الحياة الكريمة، مادام أن إلههم فرعون هو ربهم الذي يتكفل لهم بما يتكفل به من كان فعلا ربا:

- ﴿ٱلَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهۡدِينِ ۝٧٨ وَٱلَّذِي هُوَ يُطۡعِمُنِي وَيَسۡقِينِ ۝٧٩ وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ ۝٨٠ وَٱلَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحۡيِينِ ۝٨١﴾ [الشعراء: 78-81]

لكن الفرق الوحيد الذي يثبت عدم ألوهية فرعون كإله حقيقي هو أن الإله الحقيقي هو الذي يهدي من خلقهم، لكن فرعون هو من أضل قومه وما هدى:

- ﴿وَأَضَلَّ فِرۡعَوۡنُ قَوۡمَهُۥ وَمَا هَدَىٰ ۝٧٩﴾ [طه: 79]

فبالرغم أن فرعون كان بشخصه قادرا على هداية قومه، إل أنه هو من اختار أن يضلهم ولا يهديهم، وذلك لأن نقمة فرعون على قومه كانت شديدة، لدرجة أن هدفه الحقيقي من كل ما فعل لهم في الحياة الدنيا هو - برأينا- أن يوردهم النار:

- ﴿يَقۡدُمُ قَوۡمَهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَأَوۡرَدَهُمُ ٱلنَّارَۖ وَبِئۡسَ ٱلۡوِرۡدُ ٱلۡمَوۡرُودُ ۝٩٨﴾ [هود: 98]

(للتفصيل انظر الجزء السادس من فقه الزكاة)

وقد كان فرعون على علم بما يعمل، لذا، جعل أرض مصر جنات وعيون، وزروع ومقام كريم، وكنوز وفيرة أهلك كثيرا منها في سبيل أن يضل قومه:

- ﴿لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِي كَبَدٍ ۝٤ أَيَحۡسَبُ أَن لَّن يَقۡدِرَ عَلَيۡهِ أَحَدٞ ۝٥ يَقُولُ أَهۡلَكۡتُ مَالٗا لُّبَدًا ۝٦ أَيَحۡسَبُ أَن لَّمۡ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ ۝٧ أَلَمۡ نَجۡعَل لَّهُۥ عَيۡنَيۡنِ ۝٨ وَلِسَانٗا وَشَفَتَيۡنِ ۝٩ وَهَدَيۡنَٰهُ ٱلنَّجۡدَيۡنِ ۝١٠ فَلَا ٱقۡتَحَمَ ٱلۡعَقَبَةَ ۝١١﴾ [البلد: 4-11]

وقد كانت التقنية التي استخدمها فرعون في أن يجعل قومه فاكهين هي مصانع الخلد التي دمرها الله كلها:

- ﴿فَٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ فَأَغۡرَقۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡيَمِّ بِأَنَّهُمۡ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ عَنۡهَا غَٰفِلِينَ ۝١٣٦ وَأَوۡرَثۡنَا ٱلۡقَوۡمَ ٱلَّذِينَ كَانُواْ يُسۡتَضۡعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلۡأَرۡضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَاۖ وَتَمَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلۡحُسۡنَىٰ عَلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُواْۖ وَدَمَّرۡنَا مَا كَانَ يَصۡنَعُ فِرۡعَوۡنُ وَقَوۡمُهُۥ وَمَا كَانُواْ يَعۡرِشُونَ ۝١٣٧﴾ [الأعراف: 136-137]

فما كان يصنع فرعون وقومه هي عبارة عن مصانع الخلد التي أخذ تقنيتها من آثار قوم عاد:

- ﴿أَتَبۡنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةٗ تَعۡبَثُونَ ۝١٢٨ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمۡ تَخۡلُدُونَ ۝١٢٩﴾ [الشعراء: 128-129]

فهذه هي مصانع الخلود التي هي موجودة ليومنا هذا في أرض مصر، إنها الأهرامات العملاقة التي تقبع في أرض الجيزة. فهي ليست أكثر من محطات أرضية تستقبل الطاقة الكونية، وتخزنها في غرف خاصة في باطن الهرم، تستخدم لأغراض انتاج الطاقة النظيفة متعددة الاستخدامات.

ولما كان فرعون على علم تام بالتقنية التي تعمل بها هذه المصانع، فقد نشر في بلاده تقنية صناعة مثل هذه المصانع لغايات محددة، فأصبحت هذه المصانع شائعة في البلاد، وكانت كفيلة بأن تبث الحياة من جديد فيمن أصابه المرض من قومه، فكانت بمثابة المشافي العلاجية التي تتكفل بأن يكون الناس تحت حكم فرعون فاكهين. فلا خوف ولا قلق من المجهول، مادام أن الموت لا يقضي عليها إلا حين بلوغ الأجل المسمى. فأصبحت فلسفة الموت ليست أكثر من عملية انتقال من مرحلة إلى مرحلة أخرى. فقوم فرعون يظنون (نحن نتخيل) أن الحياة هي خلود إلى الأرض، فما أن ينتهي الأجل المسمى كله في هذه المرحلة حتى تبدأ الحياة من جديد في مرحلة أخرى. فالموت بالنسبة لهم ليس فناء تاما، وإنما انتهاء مرحلة ثم انطلاق إلى مرحلة جديدة. ويكأن لسان حالهم يقول: نحن جميعا نركب في قطار واحد، وما تنتهي المحطة الأولى حتى يصبح لزاما النزول من هذه العربة لينتقل إلى المرحلة الثانية (أي المحطة الثانية)، فيخلد فيها إلى الأرض كما خلد في المرحلة السابقة، وهكذا. ولعل فرعون نفسه يركب القطار ذاته الذي سينقله من المرحلة الأولى كإله إلى المرحلة الثانية كإله أيضا. وهكذا.

نتيجة مفتراة: كانت الأمراض العضوية التي تصيب قوم فرعون يتم التغلب عليها بتقنية مصانع الخلد (الأهرامات). انتهى.

أما مسببات الأمراض العضوية (كالسرطان) وكذلك الأمراض النفسية، فكان يتم التغلب عليها بالمعدن النفيس، ألا وهو الذهب. انتهى.

باب الذهب

السؤال المحوري: لماذا يسمى هذا المعدن النفيس بالذهب؟ وما هو الذهب أساسا؟

رأينا المفترى: لو دققنا في مفردة الذهب على وجه التحديد، لوجدناها على الفور مشتقة من الفعل الثلاثي (على رأي أهل اللغة) شائع الاستخدام وهو الفعل ذهب. ليكون السؤال الآن هو: ما معنى ذهب كما ترد في جميع السياقات القرآنية؟

جواب مفترى من عند أنفسنا: نحن نظن مبدئيا بأن الفعل ذهب (ومشتقاته) يحمل في ثناياه معنى "عدم وجود الشيء بعد ذهابه في مكانه الذي كان متواجدا فيه من ذي قبل"، فعندما طلب إخوة يوسف من أبيهم أن يرسل معهم أخاهم ليرتع ويلعب، جاء رد يعقوب على النحو التالي:

- ﴿قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِيٓ أَن تَذْهَبُواْ بِهِۦ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَٰفِلُونَ ١٣﴾ [يوسف: 13]

وهذا يعني بأبسط الكلمات أن يوسف سينتقل من المكان الذي كان يتواجد فيه مع أبيه يعقوب إلى مكان آخر لن يكون يعقوب موجودا فيه هناك. أليس كذلك؟

وبالفعل ذهبوا به، وحصل الكيد له من أخوته، فما كان يعقوب حاضرا ذلك المشهد حينئذ:

- ﴿فَلَمَّا ذَهَبُواْ بِهِۦ وَأَجۡمَعُوٓاْ أَن يَجۡعَلُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلۡجُبِّۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمۡرِهِمۡ هَٰذَا وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ١٥﴾ [يوسف: 15]

وهذا لا يتوقف فقط على الأشياء الحسة كالأشخاص والأشياء، وإنما يتعدى إلى الأشياء غير الملموسة كغيظ القلوب مثلا:

- ﴿وَيُذۡهِبۡ غَيۡظَ قُلُوبِهِمۡۗ وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ١٥﴾ [التوبة: 15]

فالقلوب التي يملأها الغيض، يمكن أن يذهب غيضها هذا بمجرد أن يحصل أمر ما كالنصر مثلا. وانظر عزيزي القارئ – إن شئت- الآية نفسها في سياقها الأوسع:

- ﴿قَٰتِلُوهُمۡ يُعَذِّبۡهُمُ ٱللَّهُ بِأَيۡدِيكُمۡ وَيُخۡزِهِمۡ وَيَنصُرۡكُمۡ عَلَيۡهِمۡ وَيَشۡفِ صُدُورَ قَوۡمٖ مُّؤۡمِنِينَ ١٤ وَيُذۡهِبۡ غَيۡظَ قُلُوبِهِمۡۗ وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ١٥﴾ [التوبة: 14-15]

وكذلك الرجس، يمكن أن يذهب عمن كان موجودا فيه:

- ﴿وَقَرۡنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجۡنَ تَبَرُّجَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ ٱلۡأُولَىٰۖ وَأَقِمۡنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا ٣٣﴾ [الأحزاب: 33]

فالرجس إذا موجود، لكن هي الإرادة الإلهية بأن يذهب ذاك الرجس عن أهل البيت، ولو فعلا حصل ذلك، لما بقي فيهم رجس ولتطهروا تطهيرا.

وكذلك الروع:

- ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنۡ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلرَّوۡعُ وَجَآءَتۡهُ ٱلۡبُشۡرَىٰ يُجَٰدِلُنَا فِي قَوۡمِ لُوطٍ ٧٤﴾ [هود: 74]

فالروع كان موجودا في إبراهيم بسبب ما رءاه من أمر ضيوفهم عندما قدم لهم العجل الحنيذ، لكن ما هي إلا فترة وجيزة حتى ذهب عن إبراهيم ذاك الروع، فما عاد موجودا، عندها فقط بدأ إبراهيم يجادل ضيوفهم في قوم لوط.

نتيجة مفتراة: عندما يذهب الشخص أو الشي سواء كان ماديا أو غير مادي (بالمفردات الدارجة)، فإنه يزول من المكان الذي كان يتواجد فيه من قبل.

السؤال: إذا كان الفعل ذهب يحمل هذا المعنى (زوال الشيء من المكان الذي كان يتواجد فيه)، فما هو الذهب (المعدن) إذا؟ وما علاقته بالفعل ذهب؟

رأينا المفترى: نحن نظن أن الذهب هو معدن (مادة)، لكنه يسمى ذهبا لأنه – نحن نفتري القول من عند أنفسنا - قادر على أن يذهب بالشيء من المكان الذي كان يتواجد فيه. انتهى.

السؤال القوي جدا: ما هو الشي الذي يكون الذهب قادرا على أن يذهِبه من المكان الذي يتواجد فيه؟

رأينا المفترى الخطير جدا: إنه الشيطان. انتهى.

افتراء خطير جدا جدا: نحن نفتري الظن من عند أنفسنا بأن الشيطان (وبالتالي الشياطين) تذهب من المكان الذي يتواجد فيه الذهب لأن الذهب بحد ذاته يسبب لهم الأذى، فلا يستطيعون البقاء في المكان الذي يتواجد فيه الذهب. انتهى.

السؤال: ما فائدة الذهب في العلاج من الأمراض؟

رأينا المفترى: نحن نظن بأن الذهب قادر على الشفاء من كل الأمراض التي يكون سببها الشيطان، وذلك لأن فاعلية الشيطان تخف وربما تنعدم بوجود هذا المعدن النفيس. فالشيطان لا تستطيع مقاومة فاعلية الذهب فيهم.

السؤال: وما هي هذه الأمراض التي تسببها الشياطين وبالتالي يمكن مقاومتها بهذا المعدن النفيس؟

رأينا المفترى: نحن نظن أن مرض السرطان (بأنواعه) يقبع على رأس قائمة الأمراض التي يسببها الشيطان. انتهى.

السؤال: لماذا يسمى هذا المرض الخبيث بالسرطان؟

رأينا المفترى: نحن نظن أن سبب تسميته بهذا الاسم (سرطان) لأنه مرض سببه الشيطان (سرطان = شيطان). فالشيطان هو مفتعل هذا المرض الذي صعب على العلماء حتى اللحظة معرفة سر حدوثه عند بعض الاشخاص دون أشخاص آخرين حتى وإن كانوا جميعا يعيشون الظروف البيئية ذاتها. انتهى

السؤال: وكيف ذلك؟

رأينا المفترى: لو دققنا في آليه حصول هذا المرض، لوجدنا أن الخلل يبدأ بالدم، فما أن يصاب شخص ما بهذا المرض حتى يتأثر على الفور دمه بذلك، فيهبط هبوطا شديدا مفاجئا. ويصاحب ذلك تغيرات في عمل الخلية، حيث تبدأ بالانقسام بشكل غير منضبط. وهذا ما حصل مع أيوب مثلا عندما مسه الشيطان بنصب وعذاب:

- ﴿وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَآ أَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِنُصۡبٖ وَعَذَابٍ ۝٤١﴾ [ص: 41]

ومادام أن فعل الشيطان كان مسا، فقد كان على نحو طائف كما جاء في الآية الكريمة التالية:

- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٞ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ ٢٠١﴾ [الأعراف: 201]

ولا شك أن الطائف إذا أصاب شيئا، فإنه يعطبه حتى يصبح كالصريم، كما حصل مع أصحاب الجنة عندما طاف عليها طائف من ربك:

- ﴿فَطَافَ عَلَيۡهَا طَآئِفٞ مِّن رَّبِّكَ وَهُمۡ نَآئِمُونَ ١٩ فَأَصۡبَحَتۡ كَٱلصَّرِيمِ ٢٠﴾ [القلم: 19-20]

السؤال: كيف طاف هذا الطائف على الجنة:

- ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمۡ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٞ مِّن نَّخِيلٖ وَأَعۡنَابٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَأَصَابَهُ ٱلۡكِبَرُ وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٞ ضُعَفَآءُ فَأَصَابَهَآ إِعۡصَارٞ فِيهِ نَارٞ فَٱحۡتَرَقَتۡۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَتَفَكَّرُونَ ٢٦٦﴾ [البقرة: 266]

رأينا المفترى: نحن نظن أن الإعصار الذي فيه نار هو الذي يكون سببا في إشعال النار ليحرق تلك الجنة.

السؤال: ما علاقة هذا بمرض السرطان الذي يكون سببه الشيطان؟

رأينا المفترى: عندما يدخل الشيطان في الدم، فإنه يقوم برفع حراته. فالأصل أن يكون القلب مخبتا، فلا ترتفع حرارته، وتصيبه الطمأنينة التي سببها الإيمان:

- ﴿وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤۡمِنُواْ بِهِۦ فَتُخۡبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمۡۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٥٤﴾ [الحج: 54]

وقد ذكرنا في الجزء السابق بأن النار إذا تسعر (ترافع) وتخبت (وتنخفض):

- ﴿وَمَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلۡمُهۡتَدِۖ وَمَن يُضۡلِلۡ فَلَن تَجِدَ لَهُمۡ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِهِۦۖ وَنَحۡشُرُهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمۡ عُمۡيٗا وَبُكۡمٗا وَصُمّٗاۖ مَّأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ كُلَّمَا خَبَتۡ زِدۡنَٰهُمۡ سَعِيرٗا ٩٧﴾ [الإسراء: 97]

ويكون محل ذلك هو القلب:

- ﴿وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤۡمِنُواْ بِهِۦ فَتُخۡبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمۡۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٥٤﴾ [الحج: 54]

نتيجة مفتراة مهمة جدا: القلوب يمكن أن تسعر (ترتفع حرارتها) ويمكن أن تخبت (فيخف حرارتها)، وهنا نطرح التساؤل التالي: ما السبب الذي يجعل القلوب ترتفع حرارتها وتخبت؟

رأينا المفترى: إنه القرين (شيطان قيّضه الله لمن يعش عن ذكره)

- ﴿وَمَن يَعۡشُ عَن ذِكۡرِ ٱلرَّحۡمَٰنِ نُقَيِّضۡ لَهُۥ شَيۡطَٰنٗا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٞ ٣٦ وَإِنَّهُمۡ لَيَصُدُّونَهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحۡسَبُونَ أَنَّهُم مُّهۡتَدُونَ ٣٧ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا قَالَ يَٰلَيۡتَ بَيۡنِي وَبَيۡنَكَ بُعۡدَ ٱلۡمَشۡرِقَيۡنِ فَبِئۡسَ ٱلۡقَرِينُ ٣٨﴾ [الزخرف: 36-38]

فالقرناء هم من يزينوا:

- ﴿۞ وَقَيَّضۡنَا لَهُمۡ قُرَنَآءَ فَزَيَّنُواْ لَهُم مَّا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ وَحَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَوۡلُ فِيٓ أُمَمٖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِم مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِۖ إِنَّهُمۡ كَانُواْ خَٰسِرِينَ ٢٥﴾ [فصلت: 25]

فالشيطان الذي يؤثر على القلب يعمل على رفع درجة حرارته، فهو إذن يسعر نار القلب. أما إذا كان الشخص ممن إذا ذكر الله وجلت قلوبهم فهو إذا من المخبتين.

وتشعيل نار البطون يشبه ما يفعله الاعصار في الجنة كما في الشكل التالي:



وهذا الإعصار فيه النار، وهي تشبه النار التي تسعر في البطون:

- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا إِنَّمَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ نَارٗاۖ وَسَيَصۡلَوۡنَ سَعِيرٗا ١٠﴾ [النساء: 10]

ولو دققنا في الآية جيدا، لوجدنا بأن ذلك مرتبط بالأكل، فأكل أموال اليتامى ظلما (مثلا) يودي إلى إيقاد تلك النار.

ولو عدنا إلى فقه الصيام، لوجدنا بأنه عبارة عن التوقف عن الأكل والشرب لغاية التقوى:

- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٨٣ أَيَّامٗا مَّعۡدُودَٰتٖۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۚ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدۡيَةٞ طَعَامُ مِسۡكِينٖۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيۡرٗا فَهُوَ خَيۡرٞ لَّهُۥۚ وَأَن تَصُومُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ١٨٤﴾ [البقرة: 183-184]

فحتى من كان عنده عذر لعدم الصيام، فإن الصيام هو خير من التعذر (وَأَن تَصُومُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ)، ليكون السؤال الآن هو: لماذا يكون الصيام خير حتى لمن كان عنده عذر؟

رأينا المفترى: نحن نظن أن ذلك يؤدي إلى تضييق الخناق على الشيطان، لأن الشيطان لا يستطيع العمل إلا بمجرى الدم، وكلما خبتت القلوب وهدأ مجرى الدم، فإن ذلك يحقق التقوى، أي الوقاية من تأثير عمل الشيطان.

نتيجة مفتراة 1: الصيام هو كابح لعمل الشيطان، فهو وقاية منه، وبالتالي وقاية من سرطانه

نتيجة مفتراة 2: الذهب هو معالج لعمل الشيطان، فهو يطهر سرطانه

باب مهر العروس

للتدليل على صحة افتراءنا هذا، فإننا سنجلب الدليل عليه من مكان آخر وهو فقه مهر العروس حيث نطرح السؤال القديم الجديد، ألا وهو: ما سر أن يكون مهر العروس مصاغا ذهبيا؟

لو عدنا إلى تشريع الزواج، لوجدنا بأن العلاقة بين الرجل والمرأة يحكمها عقد الزواج الذي ينقسم إلى ثلاثة أنواع وهو عقد نكاح وعقد مكاتبة وعقد استمتاع، لكنها جميعا تقع في باب الزواج (للتفصيل انظر مقالة ثلاثية المرأة). لكن بالرغم من ذلك، فإن عقد الزواج (بغض النظر عن نوعه) يشترط فيه مهرا للعروس يكون في غالب الأحيان عبارة عن مساغ ذهبي. فما الحكمة في ذلك؟

رأينا المفترى: نحن نظن بأن الإجابة على هذا السؤال تتطلب فتح ملف المهر بكل تفاصيله من أوله إلى آخره.

تساؤلات

⇐ ما هو المهر؟
⇐ لماذا المهر؟
⇐ كم هو المهر؟
⇐ الخ.

بداية، يجد الناظر في التطبيق الشعبي لهذه المسألة بأن الرجل يدفع للمرأة أجرا (يسمى مهرا) عند عقد الزواج بين الطرفين عند كثير من أمم الأرض، وغالبا ما ظن الكثيرون بأن هذا ليس أكثر من عادة اجتماعية تفرضها الظروف المحيطة، فتختلف من ثقافة إلى أخرى، وقد انسلخت هذه العادة الاجتماعية عن جذورها التاريخية وربما العقائدية، فغالبا ما غفل الكثيرون عن طرح التساؤل التالي: لماذا وجد هذا التطبيق الاجتماعي في القدم عند كثير من شعوب الأرض؟ ولم كان الذهب هو المعدن الذي يفرض للمرأة في عقد الزواج؟

رأينا المفترى: قبل أن نخوض في تقديم افتراءاتنا عن الحكمة من ذلك، دعنا بداية نعيد النظر في تشريع المهر كله من منظور جديد نظن أنه غير مسبوق، لذا سنتجرأ على جملة من الافتراءات التي سنعارض بها جل الموروث السائد في هذه الجزئية، فعلى القارئ أن يكون رابط الجأش، فلا يتسرع في إطلاق الاحكام قبل الانتهاء من قراءة الطرح المفترى حتى نهايته، فإن هو وجد أن طرحنا هذا لا يتعارض مع التشريع الإلهي كما نستنبطه (ربما مخطئين) من كتاب الله، فله أن يأخذ به، ويتحمل هو بنفسه تبعات قراره هذا، وإن وجد أنه يخالف التشريع الإلهي، فليضرب بطرحنا كله عرض الحائط، وليبحث عن ضالته في مكان آخر، وبالتأكيد لن نعيب عليه أن يتمسك بالموروث بالنواجذ، فهو في نهاية المطاف المحاسب على أفعاله أمام ربه. ولا يسعنا هنا إلا أن ندعو الله وحده أن يؤتينا رشدنا، وأن يعلمنا ما لم نكن نعلم، وأن يهدينا لأقرب من هذا رشدا، وأن يزدنا علما، إنه هو العليم الحكيم – آمين.

أما بعد،

لنبدأ النقاش بالسؤال التالي: لمن يدفع المهر؟

رأينا المفترى: نحن نفتري الظن من عند أنفسنا بأن المهر يدفع لولي العروس وخاصة والدها. انتهى.

السؤال: أين الدليل على ذلك؟

جواب مفترى: لو دققنا في الآية الكريمة التالية، لوجدنا أن هذا بالضبط ما كان يفعله عباد الله الصالحون. فهذا موسى يرد ماء مدين، ويجد عليه أمة من الناس يسقون، ويجد في الوقت ذاته من دونهما امرأتين تذودان، فسقى لهما وتولى الظل، داعيا الله أنه فقير لما ينزل إليه من خير:

- ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ ۖ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا ۖ قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءُ ۖ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰ إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾﴾ [القصص: 23-24]

وبالفعل تأتيه إحداهما تمشي على استحياء لتدعوه إلى بيت أبيها، ليجزيه أجر ما صنع لهما:

- ﴿فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ۚ فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ ۖ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢٥﴾﴾ [القصص: 25]

وبعد أن قص عليه القصص، جاء العرض لموسى من ذلك الرجل الصالح على النحو التالي:

- ﴿قَالَ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنۡ أُنكِحَكَ إِحۡدَى ٱبۡنَتَيَّ هَٰتَيۡنِ عَلَىٰٓ أَن تَأۡجُرَنِي ثَمَٰنِيَ حِجَجٖۖ فَإِنۡ أَتۡمَمۡتَ عَشۡرٗا فَمِنۡ عِندِكَۖ وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أَشُقَّ عَلَيۡكَۚ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ٢٧﴾ [القصص: 27]

فكانت النتيجة أن موسى قد اشتغل أجيرا عند والد المرأة التي زوجها أبوها له مدة عشر حجج. ليكون السؤال المحوري هنا: لماذا اشتغل موسى هذه المدة الطويلة عند الرجل (والد المرأة التي نكحها موسى)؟

رأينا المفترى: نحن نظن أن ذلك كان مهر العروس الذي دفعه موسى لوالد تلك المرأة.

السؤال: من الذي أخذ المهر؟ أو من الذي استفاد من المهر؟

رأينا المفترى: نحن نظن بأن والد المرأة التي نكحها موسى هو من استفاد من المهر الذي دفعه موسى لقاء أن نكحه ابنته تلك.

السؤال: لماذا طلب ذلك الرجل مثل هذا المهر من موسى؟ ألا نجد بأنه مهر مرتفع بعض الشيء؟ فمن يقدر أن يشتغل أجيرا مدة عشر حجج لقاء نكحه امرأة كهذه؟

رأينا المفترى: نحن نظن أن مثل هذا السؤال يقودنا على الفور إلى طرح تساؤلات أخرى لها علاقة مباشرة بالموضوع قيد البحث، نذكر منها:

- ⇐ كم هو المهر؟
- ⇐ ما مقدار المهر الذي يجب أن يدفعه الرجل لقاء نكحه إحدى النساء؟
- ⇐ هل يجب أن يكون المهر محددا؟
- ⇐ وهل تكون البركة فعلا في النساء الأقل مهرا كما جاءنا في التراث؟
- ⇐ الخ.

رأينا المفترى: لعل العرف السائد بيننا الآن هو أن تحديد كمية المهر مرتبط بالأعراف والتقاليد في المجتمع الواحد، وغالبا ما يتحدد المهر بظروف ذلك المجتمع، فترتفع المهور في المجتمعات الغنية وتنخفض في المجتمعات الفقيرة، وتتأرجح في المجتمعات المختلطة، ويكون لها طابعا مميزا في الطبقات الاجتماعية المتفاوتة في الثراء، وهكذا.

لكن ألا يخطر ببالنا أحدنا التساؤلات التالية:

- ⇐ لِم لَم يأت تشريع واضح ينظم هذه العلاقة الاجتماعية؟ هل نساء الطبقة الغنية أجدر بالمهر المرتفع من نساء الطبقة الفقيرة؟
- ⇐ وهل المهر من الإضافات التي لا يجب أن تشغل بال الناس، وبالتالي تركت للتقاليد والأعراف السائدة في كل مجتمع؟

- ⇐ وماذا لو كان الزواج بين رجل من طبقة فقيرة مع امرأة من طبقة غنية أو العكس؟
- ⇐ ما الذي يحدد قيمة المهر في كل حالة من هذه الحالات التي لا يمكن أن تغيب في أي مجتمع من المجتمعات؟

ثم ألا يمكن أن نجد الإرباك في تحديد كمية المهر في الحالات التالية:

- ⇐ ماذا لو كانت المرأة من طبقة اجتماعية غنية لكنها لم تكن على درجة عالية من الجمال؟
- ⇐ ماذا لو وجدنا العكس: فتاة فائقة الجمال من طبقة اجتماعية فقيرة؟
- ⇐ ماذا عن بنات العائلة الضيقة الواحدة (أي الأخوات)؟
- ⇐ هل يجب أن يكون مهر الاخت كمهر أختها الأخرى (كما هو سائد في المجتمع الأردني الذي أعرفه مثلا)؟

وبناء على ذلك، تظهر التساؤلات الحتمية التالية:

- ⇐ ما الذي يحدد مهر الفتاة في كل الأحوال وتحت جميع الظروف؟
- ⇐ وهل نجد تشريعا إلهيا يجيب على هذا التساؤل بشكل مرضي للجميع بحيث يحقق العدالة ولا يجد الناس حرجا في تطبيقه؟

رأينا المفترى: نعم. نحن نظن أن هناك عاملا واحدا فقط هو ما يحدد مهر كل فتاة عند نكاحها من قبل أي رجل في جميع المجتمعات البشرية. ونحن نظن أن هذا العامل هو فقط ما يحقق العدالة للجميع، بحيث لا يجد الناس حرجا من تطبيقه.

السؤال: ما هو هذا العامل؟

رأينا المفترى: إنها الفتاة (المرأة المنكوحة) نفسها. انتهى

السؤال: وكيف ذلك؟

رأينا المفترى: نحن نظن بداية أنه ليس هناك تحديدا لكمية المهر مهما ارتفع، بدليل قوله تعالى:

- ﴿وَإِنْ أَرَدتُّمُ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا۟ مِنْهُ شَيْـًٔا ۚ أَتَأْخُذُونَهُۥ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٢٠﴾ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُۥ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿٢١﴾﴾ [النساء: 20-21]

نعم، فالرجل يمكن أن يعطي المرأة ما قد يصل إلى القنطار ولا يحق له أن يأخذ منه شيئا، لأن ذلك يقع في باب البهتان والإثم المبين (أَتَأْخُذُونَهُۥ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا). ولو دققنا في هذه العبارة (بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا)، لوجدناها قد وردت فقط في السياقين القرآنين التاليين:

- ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ۝٥٨﴾ [الأحزاب: 58]
- ﴿وَمَن يَكْسِبْ خَطِيٓـَٔةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِۦ بَرِيٓـًٔا فَقَدِ ٱحْتَمَلَ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ۝١١٢﴾ [النساء: 112]

الأمر الذي يجعلنا نؤمن بأن هذا الأمر من الأمور الواجب مراعاتها والحرص عليها لأن عاقبتها (لا شك) وخيمة، ففي ذلك أذى للمؤمنات، لأن ذلك حق مشروع لهن لا يجب التلكؤ أو المماطلة في دفعه.

ولا يحق للرجل أن يأخذ إلا نصف الفريضة في حال أن عقد النكاح قد أبرم ولكن لم يتم الدخول، مصداقا لقوله تعالى:

- ﴿وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّآ أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَا۟ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ ۚ وَأَن تَعْفُوٓا۟ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۚ وَلَا تَنسَوُا۟ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝٢٣٧﴾ [البقرة: 237]

نتيجة مفتراة: يمكن أن يكون مهر المرأة عاليا جدا، فقد يصل إلى القنطار. لذا، لا يجوز أن يتم تحديده بمبلغ شبه ثابت في المجتمع الواحد. وهذا يعني أن المرأة قد يصل مهرها إلى القنطار لكن ذلك لا يكون لجميع النساء بالتساوي أو التقارب، بدليل مفردة إحداهن في الآية الكريمة نفسها:

- ﴿وَإِنْ أَرَدتُّمُ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا۟ مِنْهُ شَيْـًٔا ۚ أَتَأْخُذُونَهُۥ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ۝٢٠ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُۥ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ۝٢١﴾ [النساء: 20-21]

فما قد تؤتي إحداهن قد لا تؤتي الأخرى مثله. ولو كان الكم يتساوى عند كل النساء لما وردت مفردة إحداهن في الآية، ولربما جاء النص على النحو التالي:

- وَإِنْ أَرَدتُّمُ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وآتيتموهن قِنطَارًا

السؤال مرة أخرى: لماذا يجب أن يتفاوت المهر بين النساء؟ ولماذا يجب أن يتفاوت المهر حتى بين الأخوات؟

رأينا المفترى: نحن نظن أن ما يجعل المهر متفاوت بين النساء (حتى بين الأخوات أنفسهن) هو المرأة المنكوحة نفسها.

سؤال: وكيف ذلك؟

رأينا المفترى: نحن نظن أن كل امرأة يجب أن يفرض لها مهرا خاصا بها، كما نظن بأن الشخص الوحيد القادر على أن يحدد كمية المهر الذي يجب أن يفرض للمرأة المنكوحة هو من بيده عقدة النكاح، وخاصة والدها كما فعل نبي الله شعيب مع موسى:

- ﴿قَالَ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنۡ أُنكِحَكَ إِحۡدَى ٱبۡنَتَيَّ هَٰتَيۡنِ عَلَىٰٓ أَن تَأۡجُرَنِي ثَمَٰنِيَ حِجَجٖۖ فَإِنۡ أَتۡمَمۡتَ عَشۡرٗا فَمِنۡ عِندِكَۖ وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أَشُقَّ عَلَيۡكَۚ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ٢٧﴾ [القصص: 27]

فلو دققنا في هذا السياق القرآني، لوجدنا بأن الذي فرض مهر تلك المرأة هو أبوها، فعندما طلبت تلك المرأة من أبيها أن يزوجها ذلك الرجل:

- ﴿قَالَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسۡتَـٔۡجِرۡهُۖ إِنَّ خَيۡرَ مَنِ ٱسۡتَـٔۡجَرۡتَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡأَمِينُ ٢٦﴾ [القصص: 26]

جاء خطاب ذلك الرجل الصالح لموسى محددا قيمة المهر الذي يطلبه لابنته من الرجل الذي سينكحها (أي موسى):

- ﴿قَالَ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنۡ أُنكِحَكَ إِحۡدَى ٱبۡنَتَيَّ هَٰتَيۡنِ عَلَىٰٓ أَن تَأۡجُرَنِي ثَمَٰنِيَ حِجَجٖۖ فَإِنۡ أَتۡمَمۡتَ عَشۡرٗا فَمِنۡ عِندِكَۖ وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أَشُقَّ عَلَيۡكَۚ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ٢٧﴾ [القصص: 27]

وبالفعل كان والد الفتاة هو من قدّر قيمة المهر اللازم لابنته لقاء أن ينكحها موسى. ولا نشك قيد أنملة أن ذلك الرجل لم يكن ليبغي على موسى، لكنه في الوقت ذاته لم يكن ليفرط في حقه شخصيا وحق ابنته من تلك الصفقة الاجتماعية (الزواج). وهذا ما جاء على لسان موسى:

- ﴿قَالَ ذَٰلِكَ بَيۡنِي وَبَيۡنَكَۖ أَيَّمَا ٱلۡأَجَلَيۡنِ قَضَيۡتُ فَلَا عُدۡوَٰنَ عَلَيَّۖ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٞ ٢٨﴾ [القصص: 28]

فذلك الرجل الصالح لن يبغي على موسى، ولا شك أن موسى نفسه لم يكن ليقبل ذلك الشرط لو أنه وجد فيه إجحاف في حقه، فالعقد مبرم بين هذا الرجل الصالح (شعيب) من جهة وموسى من جهة أخرى، وكان الله هو الوكيل على قوليهما. فيستحيل إذن أن يقع فيه ظلم من طرف على الطرف الآخر.

ولو تدبرنا هذه القصة العظيمة، لوجدنا فيها الخير الكثير لنا، لأنها تنظم العلاقة الاجتماعية في حالة المصاهرة بين الطرفين. لذا، علينا (نحن نفتري الظن) أن نتخذ منها إنموذجا للقياس في كل الحالات التي يحصل فيها مصاهرة بين طرفين.

السؤال: وكيف ذلك؟

رأينا المفترى: إن من أول أبجديات هذا الطرح هو أن نحاول الإجابة على التساؤل التالي: ما الحاجة لوجود المهر في حالة الزواج؟ ألا يشكل المهر بحد ذاته عائقا للرجال عن الزواج؟ ألا يصبح الزواج ميسرا

للفئة الغنية من المجتمع معقدا ومربكا لأفراد الطبقة الفقيرة؟ أليس من باب أولى تيسير الأمر خاصة على الفئات الفقيرة في المجتمع؟

رأينا المفترى: إن الخروج من هذا المأزق يتمثل في الطرح التالي الذي مفاده بأن المهر ينقسم (كما هو شائع في معظم المجتمعات الإسلامية) إلى قسمين: مهر معجل ومهر مؤجل.

السؤال: وكيف يحل ذلك الإشكالية السابقة (أي إشكالية زواج الرجال من الطبقات الفقيرة)؟

رأينا المفترى: نحن نظن أن جل المهر يجب أن يكون مؤجلا وليس معجلا. انتهى.

السؤال: ما الذي نستفيده من ذلك في حل إشكالية زواج الرجال من الطبقات الفقيرة؟

رأينا المفترى: إن قيمة المهر المعجل يتحدد بالحالة الاقتصادية للرجل، فلا ضير في أن يدفع الرجل الميسور مهرا معجلا كبيرا وأن يدفع الفقير مهرا معجلا قليلا، وبالتالي لا يشكل ذلك (أي المهر المعجل) عائقا لأي منهما في إبرام عقد الزواج. فموسى كان حينئذ رجلا فقيرا، لكن حالته المادية تلك لم تكن عائقا في إبرام صفقة الزواج تلك.

لكن تكمن المعضلة كلها في المهر المؤجل، فسواء كان الرجل ميسورا (كحالة سليمان الذي آتاه الله ملكا عظيما) أو فقيرا (كحالة موسى الغريب في بلاد لا يعرف فيها)، فعلى كل منهما أن يفرض للمرأة ما تستحق حتى لو بلغت قيمته قنطارا. انتهى.

السؤال: ما الذي نستفيده من هذا الطرح إذا، مادام أن مهر المرأة المؤجل قد يصل إلى القنطار حتى وإن كان ناكحها فقيرا كحالة موسى مثلا؟

جواب مفترى خطير جدا جدا لا تصدقوه: نحن نظن أن المهر هو حق مكتسب للمرأة يأخذه وليها. انتهى.

السؤال: كيف يكون المهر حق للمرأة لكن والدها هو من يأخذه؟ أليست تلك أحجية؟ ما الذي تقوله يا رجل؟ أيعقل هذا؟ ربما يتساءل صاحبنا مستغربا ومتعجلا التوضيح في الوقت ذاته.

رأينا المفترى: نعم، نحن نظن أن المهر حق للمرأة المنكوحة لكن والدها هو الذي يحدده وهو الذي يأخذه (ويستفيد منه).

السؤال: لماذا؟

رأينا المفترى الخطير جدا جدا: نحن نظن أن الحكمة من فرض المهر للمرأة المنكوحة هو العدالة في توزيع تركة الرجل (الوالد).

السؤال: ما علاقة المهر بالتركة؟ ألا ترى أنك تهذي؟ يسأل صاحبنا مرة أخرى.

رأينا المفترى: كلا وألف كلا. بل هو رأينا المفترى الذي نظن أننا نستطيع الدفاع عنه أمام العالمين أجمعين.

أما بعد،

لعل من الأمور الواجب على الوالد أن يحرص عليها في حياته، ويأخذ الاحتياطات الضرورية والاجراءات اللازمة على تنفيذها بالعدالة في حياته وحتى بعد موته هو مسألة توزيع التركة بالعدالة بين أولاده جميعا (ذكورا وإناثا). فالوالد هو المسئول الأول والأخير أمام الناس أولا وأمام الله ثانيا في التوزيع العادل لثروته على المستحقين لها في حياته وبعد موته. انتهى.

السؤال: وكيف ذلك؟

رأينا المفترى: دعنا ندقق أولا في طبيعة الحياة البشرية على أرض الواقع. لنفهم منها آلية توزيع الميراث من قبل الآب بين أبنائه والمستحقين لها من أولي القربى واليتامى والمساكين.

هات ما عندك. يستعجل صاحبنا بالرد

تخيلات مفتراة من عند أنفسنا: نحن نظن أن عملية الانجاب التي تحتمها الطبيعة البشرية تتم بشكل تدريجي، فلا يمكن أن تأتي جملة واحدة في كل الحالات. فالله هو من يهب الوالدين الذرية (ذكورا وإناثا) على مدى فترة طويلة من الزمن، وفي أغلب الأحيان يبدأ الإنجاب بعد الزواج مباشرة، فياتي الولد الأول ثم الثاني والثالث وحتى ربما العاشر أو العشرين، أليس كذلك؟

لكن ذلك يتطلب (لا شك) فترة طويلة من الزمن. لذا، ربما يصل الفارق العمري بين الولد الأول (ذكرا كان أم أنثى) والولد الأخير (ذكرا كان أم أنثى) عشرات السنين، فربما يكون عمر الولد الأول ثلاثين عاما ويكون عمر الولد الأخير عاما واحد أو ربما بضعة أيام أو أشهر، أليس كذلك؟

نتيجة مفتراة: تتفاوت ذرية الوالدين في العمر، وربما يكون الفارق بين الولد الأول والأخير سنين كثيرة.

السؤال: ما الذي يحصل على أرض الواقع عندما يتفاوت الأولاد في العمر في العائلة الواحدة؟ ثم، ما تأثير ذلك على المهر (موضوع البحث هنا) أصلا؟

رأينا المفترى: دعنا ندقق فيما يفعله الآباء تجاه أولادهم في حياتهم الدنيا في ضوء هذا التفاوت العمري بين أولاده (ذكورا وإناثا). فما أن يرزق الأب بالمولود الأول (ذكرا كان أم أنثى) حتى يبدأ الأب بالإنفاق عليه، فيتكفل بأكله ولبسه ومعيشته ومصروفه الشخصي ودراسته وربما زواجه حتى تجهيز بيت جديد له، وهكذا. لكن كيف يطبق ذلك على أرض الواقع؟

رأينا المفترى: غالبا ما نجد عند كثير من العائلات أن الولد الأول (وربما الثاني) يحصل على نصيب الأسد من معونة الوالد. فيتكفل الوالد (بكل سرور) بدراسة ولده الأول مثلا في أحسن الجامعات (لأنه أول

البشارة) حتى يتخرج منها طبيبا أو مهندسا أو محاميا. وإذا كان الأب ميسور الحال، ربما يشتري له السيارة، وقد يزوجه، وربما يجهز له بيتا جديدا، وهكذا. وقد يحصل كل هذا والولد الأخير (ذكرا كان أم أنثى) لازال في السرير يحتاج إلى تغيير فوطته من التغوط والتبول على حاله.

السؤال المربك: ماذا لو حصلت الوفاة للأب عند ذلك، أي عندما أنفق ما يكفي من المال على الولد الأول بينما لازال الولد الأخير (ذكرا كان أم أنثى) لا يستطيع أن يتناول طعامه بيده؟

السؤال الأقوى: ماذا يحصل على أرض الواقع الآن (حسب الشرع السائد طبعا) عندما يأتي موعد توزيع تركة الأب؟ هل تؤخذ هذه الأمور بعين الاعتبار؟ ألا يتنمر الولد الأكبر (في بعض العائلات) على جميع إخوته فيطلب توزيع ما تبقى من تركة والده (إن تبقى منها شيء أصلا) بالتساوي شرعا بين الجميع؟ ألا نجد أن كثيرا من هؤلاء قد لا يتردد أن يأخذ مما تبقى من التركة كما يأخذ من لازال في سريره من إخوته؟! هل ترون يا ساده أن هذا من العدل في شيء؟! هل من العدل أن يكون أبي قد أنفق ما يكفي على أخي الكبير، فدفع لدراسته وزواجه ومسكنه وربما لهمالاته (باللسان الأردني) وصياعاته (بالمصري)، وفي الوقت ذاته لم يدفع عليّ أكثر من ثمن فوط الأطفال ثم ما أن جاء موعد تقسيم التركة حتى أصبحنا متساويين في الحقوق أمام القاضي الشرعي الذي يحكم باسم الرب؟ أي رب هذا الذي يحكم ذلك القاضي بلفته التي على رأسه وبلحيته الوقورة ولباسه المحتشم باسمه؟ كيف يتجرأ هذا القاضي أن يعطي باسم الرب لأخي الكبير مقدار ما يعطيني أنا في الوقت الذي كان أبي قد أنفق جلّ ما يملك (في غالب الأحيان) على هذا الأخ الأكبر؟ من يدري؟!

ألم يدفع أبي على أخي الأكبر حتى أصبح مهندسا ماهرا أو نطاسا بارعا من المال الذي كان يجب أن يدفعه علينا جميعا؟ ألم تقتصد أمي حتى في وجبات الطعام للعائلة كلها لتوفر مصروف أخي في بلاد الغربة وبين شقراوات بني الأصفر؟! ألم يكن كل قرش أنفقه أخي الأكبر من مصروف العائلة كلها؟ ألم نتحمل (كعائلة) بعض العوز من مأكل وملبس (وربما مصروف يومي) في سبيل أن يصبح الأخ الأكبر اسما كبيرا في عالم الطب والهندسة والتجارة وربما السياسة والاقتصاد؟ فما باله بعد كل ذلك يأتي ليقاسمنا ما تبقى من فتات بعد موت الأب؟ ألا تراه يفعل ذلك مرتاح الضمير بسبب الشرع البشري البائس الذي لم يراع ظروف العائلة في أيام الوفرة والعوز على حد سواء؟

السؤال: كم من العائلات بيننا قد أهلكتها الظروف الاقتصادية من أجل أن يدفعوا على الابن الأكبر ليصبح رقما صعبا في العائلة كلها؟

عزيزي القارئ الكريم، يجب أن لا يؤخذ كلامي هذا بأنه موجها ضد الولد الأكبر على وجه الخصوص، فربما تكون الصورة معكوسة تماما. فكثيرا ما يكون الابن الأكبر هو الضحية، فقد يكون الوالد عاجزا عن تقديم ما يكفي من سبل العيش الكريم لعائلته، وما أن يصل الابن الأكبر سن الانتاج حتى يبدأ هو بتحمل مسؤولية كبرى تجاه أبيه وأمه وإخوته جميعا. فيبدأ بالإنفاق عليهم مما كسبت يده، وربما يكون هو سببا في تعليم إخوته الأصغر سنا منه حتى يصبح بعضهم ذا شأن بسبب ما أنفقه عليه أخوه الأكبر من عرق جبينه. ثم تكون النتيجة ذاتها عند تقسيم التركة في حالة وفاة الأب، فيهرع الجميع لأخذ حقوقهم بالتساوي (شرعا) ناسين أو ربما متناسيين ما فعله أخوهم الأكبر تجاههم، فهو الذي أرهقت الحياة كاهله من أجل رفاهيتهم. لكن هل - يا ترى - يأخذون ذلك بعين الاعتبار عند توزيع التركة بعد وفاة الأب؟

ولو دققنا في ظروف العائلات المختلفة، لوجدنا أن كثيرا من أفرادها قد لا يعتبرون أنفسهم جزءا من العائلة إلا عند توزيع التركة، فيهرع مسرعا لينادي بتطبيق الشرع في أخذ ما يظن أنه حق له، لكن تراه إن أصاب العائلة العوز يركض مسرعا في الاتجاه المعاكس يتنصل بكل الحيل الممكنة لديه من الالتزامات المالية المترتبة عليه تجاه عائلته. فهو شريك فقط في كشوفات البنك الدائنة (وليس المدينة) كما أنه شريك في سجلات الأرض والعقارات التي تدر الدخل فقط، أي هو جزء من العائلة في المغنم وهو متنصل متبرئ منها في المغرم.

السؤال: كيف يمكن ضبط هذه التصرفات البشرية التي تثقل على كاهل البعض على حساب رفاهية البعض الآخر؟ ومن الضابط الحقيقي لهذه التصرفات حتى يسود العدل وينتفي الظلم؟

رأينا المفترى: نحن نظن أن الكافل الحقيقي لهذه التصرفات هو من يتحقق فيه شرطان اثنان، ألا وهما:

⇐ معرفة ظروف العائلة معرفة حقيقية لأنه مطلع عليها من ألفها إلى ياءها
⇐ الذي لا يحب ظلم أحد على حساب أحد آخر

السؤال: من الذي يتوافر فيه هذا الشرطان؟

جواب مفترى: إنه الأب (رب الاسرة)، فهو ربها لأنه هو المسئول عن جميع أفرادها بطريقة تضمن توافر العدالة والقسط وانتفاء الجور والظلم بين أفرادها. انتهى

السؤال: وكيف يستطيع الأب فعل ذلك؟

جواب مفترى خطير جدا جدا لا تصدقوه: إنها الوصية. انتهى.

السؤال: وكيف ذلك؟

رأينا المفترى: لو دققنا في الآيات الكريمة التالية، لوجدنا فيها ما يدعو فعلا إلى التدبر، قال تعالى:

- ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ لِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۚ فَإِن كُنَّ نِسَآءٗ فَوۡقَ ٱثۡنَتَيۡنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَۖ وَإِن كَانَتۡ وَٰحِدَةٗ فَلَهَا ٱلنِّصۡفُۚ وَلِأَبَوَيۡهِ لِكُلِّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا ٱلسُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُۥ وَلَدٞۚ فَإِن لَّمۡ يَكُن لَّهُۥ وَلَدٞ وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ ٱلثُّلُثُۚ فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخۡوَةٞ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُۚ مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصِي بِهَآ أَوۡ دَيۡنٍۗ ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ لَا تَدۡرُونَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ لَكُمۡ نَفۡعٗاۚ فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمٗا ١١﴾ [النساء: 11]
- ﴿۞ وَلَكُمۡ نِصۡفُ مَا تَرَكَ أَزۡوَٰجُكُمۡ إِن لَّمۡ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٞۚ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٞ فَلَكُمُ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكۡنَۚ مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصِينَ بِهَآ أَوۡ دَيۡنٖۚ وَلَهُنَّ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكۡتُمۡ إِن لَّمۡ يَكُن لَّكُمۡ وَلَدٞۚ فَإِن كَانَ لَكُمۡ وَلَدٞ فَلَهُنَّ ٱلثُّمُنُ مِمَّا تَرَكۡتُمۚ مِّنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ تُوصُونَ بِهَآ أَوۡ دَيۡنٖۗ وَإِن كَانَ رَجُلٞ يُورَثُ كَلَٰلَةً أَوِ ٱمۡرَأَةٞ وَلَهُۥٓ أَخٌ أَوۡ أُخۡتٞ فَلِكُلِّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا ٱلسُّدُسُۚ فَإِن كَانُوٓاْ أَكۡثَرَ مِن ذَٰلِكَ

فَهُمۡ شُرَكَآءُ فِي ٱلثُّلُثِۚ مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصَىٰ بِهَآ أَوۡ دَيۡنٍ غَيۡرَ مُضَآرّٖۚ وَصِيَّةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٞ ۝١٢ [النساء: 12]

إن ما نود أن نجلب انتباه القارئ له في هذه الآيات الكريمة هو عبارة (مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا) وعبارة (مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَى بِهَآ)، ليكون السؤال المحوري الآن هو: ما هي هذه الوصية التي يوصي بها صاحب المال؟

رأينا المفترى: نحن نظن أن طرح هذا السؤال يثير في جنباته تساؤلات كثيرة أخرى لابد من طرحها في محاولة لفهم ظاهر النص القرآني، نذكر منها:

⇐ من الذي يوصي؟
⇐ لماذا يوصي؟
⇐ لمن يجب أن تكون الوصية؟
⇐ ما مقدار الوصية من قيمة التركة كلها؟
⇐ من المسئول عن تنفيذ هذه الوصية؟
⇐ متى تنفذ هذه الوصية؟
⇐ كيف تنفذ هذه الوصية؟
⇐ الخ.

دعنا نبدأ النقاش في ذلك بما جاءنا من عند أهل الدراية كما نقله لنا أهل الرواية في بطون أمهات كتب التفسير كتفسير الطبري مثلا:

من بعد وصية يوصي بها أو دين

القول في تأويل قوله تعالى } : من بعد وصية يوصي بها أو دين. { يعني جل ثناؤه بقوله } : من بعد وصية يوصي بها أو دين { أن الذي قسم الله تبارك وتعالى لولد الميت الذكور منهم والإناث ولأبويه من تركته من بعد وفاته , إنما يقسمه لهم على ما قسمه لهم في هذه الآية من بعد قضاء دين الميت الذي مات وهو عليه من تركته ومن بعد تنفيذ وصيته في بابها , بعد قضاء دينه كله . فلم يجعل تعالى ذكره لأحد من ورثة الميت ولا لأحد ممن أوصى له بشيء إلا من بعد قضاء دينه من جميع تركته , وإن أحاط بجميع ذلك. ثم جعل أهل الوصايا بعد قضاء دينه شركاء ورثته فيما بقي لما أوصى لهم به ما لم يجاوز ذلك ثلثه , فإن جاوز ذلك ثلثه جعل الخيار في إجازة ما زاد على الثلث من ذلك أو رده إلى ورثته , إن أحبوا أجازوا الزيادة على ثلث ذلك , وإن شاءوا ردوه ; فأما ما كان من ذلك إلى الثلث فهو ماض عليهم. وعلى كل ما قلنا من ذلك الأمة مجمعة . وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك خبر , وهو ما : 6951 - حدثنا محمد بن بشار , قال : ثنا يزيد بن هارون , قال: أخبرنا سفيان , عن أبي إسحاق , عن الحرث الأعور , عن علي رضي الله عنه قال : إنكم تقرءون

هذه الآية } : من بعد وصية يوصي بها أو دين { إن رسول الله قضى بالدين قبل الوصية - * .حدثنا ابن بشار , قال : ثنا يزيد بن هارون , قال : ثنا زكرياء بن أبي زائدة , عن أبي إسحاق , عن الحرث , عن علي رضوان الله عليه , عن النبي صلى الله عليه وسلم بمثله. * - حدثنا أبو السائب , قال : ثنا حفص بن غياث , قال : ثنا أشعث , عن أبي إسحاق , عن الحرث , عن علي , عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مثله . 6952 - حدثنا ابن حميد , قال : ثنا هارون بن المغيرة , عن ابن مجاهد , عن أبيه } : من بعد وصية يوصي بها أو دين { قال : يبدأ بالدين قبل الوصية . واختلفت القراء في قراءة ذلك , فقرأته عامة قراء أهل المدينة والعراق } : يوصي بها أو دين , { وقرأ بعض أهل مكة والشام والكوفة : " يوصى بها " على معنى ما لم يسم فاعله. قال أبو جعفر : وأولى القراءتين بالصواب قراءة من قرأ ذلك } : من بعد وصية يوصي بها أو دين { على مذهب ما قد سمي فاعله , لأن الآية كلها خبر عمن قد سمي فاعله , ألا ترى أنه يقول } : ولأبويه لكل واحد منهما السدس مما ترك إن كان له ولد {؟ فكذلك الذي هو أولى بقوله } : يوصي بها أو دين { أن يكون خبرا عمن قد سمي فاعله ; لأن تأويل الكلام : ولأبويه لكل واحد منهما السدس مما ترك إن كان له ولد , من بعد وصية يوصي بها , أو دين يقضى عنه

السؤال: افهمتوا إشي؟ أنا لا.

إذن، نحن بحاجة إلى إعادة النظر في ذلك، علّنا نصل إلى ما قد يأذن الله لنا به من علمه في ذلك، سائلينه وحده أن لا نفتري عليه الكذب وأن لا نقول عليه ما ليس لنا بحق، إنه هو السميع البصير.

أما بعد،

باب وصية المتوفى

لو دققنا في الآية الكريمة نفسها لوجدنا أن الوصية سابقة للدين، قال تعالى:

- ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ لِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۚ فَإِن كُنَّ نِسَآءٗ فَوۡقَ ٱثۡنَتَيۡنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَۖ وَإِن كَانَتۡ وَٰحِدَةٗ فَلَهَا ٱلنِّصۡفُۚ وَلِأَبَوَيۡهِ لِكُلِّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا ٱلسُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُۥ وَلَدٞۚ فَإِن لَّمۡ يَكُن لَّهُۥ وَلَدٞ وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ ٱلثُّلُثُۚ فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخۡوَةٞ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُۚ مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصِي بِهَآ أَوۡ دَيۡنٍۗ ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ لَا تَدۡرُونَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ لَكُمۡ نَفۡعٗاۚ فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمٗا ١١﴾ [النساء: 11]

السؤال: لماذا؟

للإجابة على هذا التساؤل، علينا أن نطرح السؤال التالي: ما الفرق بين الوصية والدين؟

رأينا المفترى: بعد التدقيق في الموروث الشعبي عن هذه القضية، وجدنا أن أقلام أهل الدراية قد خطت القاعدة الفقهية التالية: لا وصية لواريث، مستندين في ذلك على حديث جاء في الترمذي، وهذا نصه:

عن عمرو بن خارجة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم خطب على ناقته فسمعته يقول " : إن الله أعطى كل ذي حق حقه، ولا وصية لوارث (حديث حسن صحيح)

وللأمانة العلمية، علينا أن نذكر رأي بعض أهل العلم بأن هذا الحديث لم يصح عند البخاري، لكن الجمهور ذهبوا إلى أن الوصية لا تجوز للوارث. واعتبر معظمهم أن الآية الكريمة التالية آية منسوخة:

- ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ بِٱلْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ١٨٠﴾ [البقرة: 180]

ونحن لا نريد الدخول في هذه الجدلية، لأن ذلك من شأن أهل العلم غيرنا. لكن ما يقلقنا هو سؤال واحد: لمن تكون الوصية؟ هل فعلا لا وصية لوارث؟

رأينا المفترى من عند أنفسنا: كيف يمكن أن لا يكون هناك وصية للأولاد، والآية الكريمة التي تفصل الميراث نفسها قد بدأت بالوصية للأولاد؟

- ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ فَإِن كُنَّ نِسَآءً فَوْقَ ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِن كَانَتْ وَٰحِدَةً فَلَهَا ٱلنِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُۥ وَلَدٌ فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُۥ وَلَدٌ وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ ٱلثُّلُثُ فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِى بِهَآ أَوْ دَيْنٍ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ١١﴾ [النساء: 11]

وكيف لا يكون هناك وصية للأبناء، وهذا إبراهيم ويعقوب يوصون أبناءهم؟

- ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِۦمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ١٣٢﴾ [البقرة: 132]

وكيف لا يكون هناك وصية للوالدين (وهم من الذين لهم حق في الميراث) والآية الكريمة توصي بهم؟

- ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ بِٱلْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ١٨٠﴾ [البقرة: 180]

وكيف لا يكون هناك وصية للأزواج (وهم من الذين يرثون) والآية الكريمة توصي بذلك؟

- ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم مَّتَٰعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِى مَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ٢٤٠ وَلِلْمُطَلَّقَٰتِ مَتَٰعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ٢٤١﴾ [البقرة: 240-241]

فأي دين واي شريعة قد خطها هؤلاء وصريح اللفظ القرآني يبين – برأينا- بطلانها؟

السؤال: ما الذي تريد أن تقوله يا رجل؟ هات ما عندك.

رأينا المفترى: نحن نظن أن الوصية يجب أن تكون في الذين جاء ذكرهم في آيات الوصية على مساحة اللفظ القرآني، وهم:

⇐ الأولاد

- ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ لِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۚ فَإِن كُنَّ نِسَآءٗ فَوۡقَ ٱثۡنَتَيۡنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَۖ وَإِن كَانَتۡ وَٰحِدَةٗ فَلَهَا ٱلنِّصۡفُۚ وَلِأَبَوَيۡهِ لِكُلِّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا ٱلسُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُۥ وَلَدٞۚ فَإِن لَّمۡ يَكُن لَّهُۥ وَلَدٞ وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ ٱلثُّلُثُۚ فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخۡوَةٞ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُۚ مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصِي بِهَآ أَوۡ دَيۡنٍۗ ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ لَا تَدۡرُونَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ لَكُمۡ نَفۡعٗاۚ فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمٗا ١١﴾ [النساء: 11]

⇐ الآباء والأقربون بالمعروف

- ﴿كُتِبَ عَلَيۡكُمۡ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ إِن تَرَكَ خَيۡرًا ٱلۡوَصِيَّةُ لِلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَ بِٱلۡمَعۡرُوفِۖ حَقًّا عَلَى ٱلۡمُتَّقِينَ ١٨٠﴾ [البقرة: 180]

⇐ الأزواج

- ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوۡنَ مِنكُمۡ وَيَذَرُونَ أَزۡوَٰجٗا وَصِيَّةٗ لِّأَزۡوَٰجِهِم مَّتَٰعًا إِلَى ٱلۡحَوۡلِ غَيۡرَ إِخۡرَاجٖۚ فَإِنۡ خَرَجۡنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ فِي مَا فَعَلۡنَ فِيٓ أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعۡرُوفٖۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ٢٤٠ وَلِلۡمُطَلَّقَٰتِ مَتَٰعُۢ بِٱلۡمَعۡرُوفِۖ حَقًّا عَلَى ٱلۡمُتَّقِينَ ٢٤١﴾ [البقرة: 240-241]

السؤال: فيما عدا هؤلاء، ماذا تكون؟

رأينا المفترى: نحن نظن أن الكتابة لغير هؤلاء يقع في باب الدين وليس الوصية. انتهى.

السؤال: هل من توضيح أكثر؟

رأينا المفترى: إذا كان لأحد حق لازم في مال الرجل، فهذا يقع في واحد من بابين:

⇐ إما أن يكتب ذلك كوصية، إذا كان هذا المال حق للأولاد أو للأزواج أو للآباء أو لذوي القربى

⇐ أو أن يكتب ذلك دينا لغير هؤلاء.

مثال

إذا كان لولدي علي حق في مال (أو العكس)، فهذا لا يكون دينا، لذا عندما يُكتب هذا الحق ليستطيع صاحبه استرداده، فإنه يكون في باب كتابة الوصية ولا يقع في باب الدين. أما إذا كان للغريب عليّ حق في مال، فهذا يقع في باب الدين ولا يقع في باب الوصية.

نتيجة مفتراة 1: الحق في المال للأبن والزوج والوالد وذوي القربي يكتب كوصية

نتيجة مفتراة 2: الحق في المال لغير هؤلاء يقع في باب الدين

السؤال: لماذا؟

رأينا المفترى: لو تدبرنا آية الدين من جديد، لوجدنا أن لكتابة الدين شروط يجب توافرها في عقد الدين. وانظر عزيزي القارئ – إن شئت- في الآية نفسها:

- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيۡنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى فَٱكۡتُبُوهُۚ وَلۡيَكۡتُب بَّيۡنَكُمۡ كَاتِبُۢ بِٱلۡعَدۡلِۚ وَلَا يَأۡبَ كَاتِبٌ أَن يَكۡتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُۚ فَلۡيَكۡتُبۡ وَلۡيُمۡلِلِ ٱلَّذِي عَلَيۡهِ ٱلۡحَقُّ وَلۡيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا يَبۡخَسۡ مِنۡهُ شَيۡـٔٗاۚ فَإِن كَانَ ٱلَّذِي عَلَيۡهِ ٱلۡحَقُّ سَفِيهًا أَوۡ ضَعِيفًا أَوۡ لَا يَسۡتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلۡيُمۡلِلۡ وَلِيُّهُۥ بِٱلۡعَدۡلِۚ وَٱسۡتَشۡهِدُواْ شَهِيدَيۡنِ مِن رِّجَالِكُمۡۖ فَإِن لَّمۡ يَكُونَا رَجُلَيۡنِ فَرَجُلٞ وَٱمۡرَأَتَانِ مِمَّن تَرۡضَوۡنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحۡدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحۡدَىٰهُمَا ٱلۡأُخۡرَىٰۚ وَلَا يَأۡبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُواْۚ وَلَا تَسۡـَٔمُوٓاْ أَن تَكۡتُبُوهُ صَغِيرًا أَوۡ كَبِيرًا إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ أَقۡسَطُ عِندَ ٱللَّهِ وَأَقۡوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ وَأَدۡنَىٰٓ أَلَّا تَرۡتَابُوٓاْ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً حَاضِرَةٗ تُدِيرُونَهَا بَيۡنَكُمۡ فَلَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَلَّا تَكۡتُبُوهَاۗ وَأَشۡهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعۡتُمۡۚ وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٞ وَلَا شَهِيدٞۚ وَإِن تَفۡعَلُواْ فَإِنَّهُۥ فُسُوقُۢ بِكُمۡۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ٢٨٢﴾ [البقرة: 282]

وقد تعرضنا لتلك الشروط الواجب توافرها عند كتابة الدين في سلسلة مقالات فقه الزكاة، وذكرنا حينئذ بأن كتابة عقد الدين يتم عن طرق كاتب العدل بحضور الشهود، والهدف من ذلك (بالإضافة لضمان الحق في المال) هو تحديد قيمة الفائدة التي سيتلقاها صاحب المال من المدين (للتفصيل انظر تلك المقالات).

لكن ما يهمنا طرحه هنا هو أنه في حال كان المال قد أخذه الأب من أحد أولاده أو من أحد أزواجه أو من أبيه أو من ذوي القربى، فإن ذلك لا يقع في باب الدين، فلا يحتاج إلى وجود كاتب العدل ولا يحتاج إلى وجود الشهود، ويكون الأب بنفسه هو الذي يكتبه حسب معرفته وتقديراته للأمر، ويقع ذلك كله في باب الوصية.

نتيجة مفتراة من عند أنفسنا: نحن نظن (ربما مخطئين) بأن الفرق الرئيس بين الوصية من جهة والدين من جهة أخرى هو درجة القرابة بين الدائن (صاحب المال) والمدين (المقترض للمال)، فإذا كانت العلاقة بينهما علاقة أسرية، فإن ذلك يقع في باب الوصية، أما إذا كانت علاقة غير أسرية، فإن ذلك يتطلب كتابته كدين. انتهى.

السؤال: ما علاقة هذا كله بالمهر وخاصة المهر المؤجل؟

رأينا المفترى: عندما تحدث المصاهرة، فإن فردا جديدا (ذكرا) من خارج الأسرة يدخل فيها، ويصبح له صوتا يجب أن يسمع في الاسرة بسبب المصاهرة. فعندما تتزوج المرأة ، فلابد أن يكون زوجها من عائلة أخر. ولا شك أن هذا الرجل (الغريب في اشرة زوجته) يصبح له حق في أموال هذه الاسرة عن طريق زوجته. ومادام أن الرجال (لا شك) قوامون على النساء، فإن تأثيره على زوجته، ربما يلحق ضررا في اسرة زوجته، وقد يكون سببا في افتعال صراعات ونزاعات غير متوقعة بين أفرادها، ربما تؤدي في نهاية المطاف إلى مشاكل عائلية تعقد الأمور على أرض الواقع. فالنفس البشرية (لا شك) تحب المال حبا جما، لذا قد يصبح هذا المال (بسبب الصراع المحتمل بين مستحقيه) نقمة على أفراد الأسرة كلها إن لم يراع فيه العدالة (وبالتالي انتفاء الظلم) بين أفرادها.

السؤال مرة أخرى: ما علاقة هذا بالمهر خاصة المهر المؤجل الذي يفرض للمرأة في عقد نكاحها؟

رأينا المفترى الخطير جدا جدا: نحن نظن بأن المهر المؤجل يجب أن يدخل في مال التركة عند تقسيمها.

السؤال: وكيف ذلك؟

رأينا المفترى: نحن نظن بأن الأب يجب أن يحرص على كتابة الوصية (التي هي عبارة عن ما له وما عليه لورثته)، حيث يسجل فيها كل ما تلقاه أي واحد من الأبناء بطريقة إضافية لم يتلقاها أفراد الأسرة الأخرين، وكذلك كل ما تلقاه الأب من أحد أفراد اسرته وأنفقه على الآخرين منهم. فالأب يجب أن يبدأ بكتابة المصروفات الإضافية التي أنفقها على (أو تلقاها من) أي فرد من أفراد الاسرة في الحال. فبعد أن يبلغ أي واحد منهم رحلة الاستقلال عن العائلة (ولنقل نهاية المرحلة المدرسية مثلا)، تبدأ حاجته الخاصة تزداد عن حاجات بقية أفراد الاسرة من المأكل والملبس، كحاجات التعليم والزواج والاستقرار في بيت جديد. فلو أن أحد أفراد الاسرة قد بدأ رحلته الدراسة في الجامعة مثلا، فإنه قد يحتاج إلى تكاليف إضافية ربما تثقل كاهل العائلة بأسرها، عندها يبدأ الأب بتوفير هذه التكاليف من مجموع المال المستحق للأسرة كلها، فربما يضطر إلى الضبط في النفقات، وقد يحتاج إلى الاستدانة لغايات تسديد فواتير دراسة هذا الولد، فما الواجب على الأب فعله في هذه الحالة؟

رأينا المفترى: نحن نفتري الظن (ربما مخطئين) بأن على الوالد أن يفتح سجلا خاصا يثبت فيه جميع النفقات التي أنفقها على هذا الولد كتكاليف إضافية لم تنفق على غيره، ويستمر في تسجيل ذلك لكل فراد من أفراد الاسرة تلقى معونة من والده لم يتلقها جميع أفرادها الأخرين بالتساوي. وتسمى تلك (نحن نفتري القول) وصية الوالد.

السؤال: ما فائدة هذه الوصية؟

رأينا المفترى: عند عملية توزيع التركة بعد وفاة الأب، يجب أن تؤخذ هذه الوصية بعين الاعتبار قبل عملية توزيع ما تبقى من تركة الأب على جميع مستحقيها من ورثته، أي يجب أن يتم حساب كل ما يتلقاها أحد الأفراد كمصروف إضافي لم يتلقاه الآخرون كجزء من التركة. فإذا ما تبين أن هذا الشخص قد

كانت حصته من التركة تفوق ما أخذ، فإنه يُعطى منها مقدار ما نقص عنده، لكن إذا تبين أن هذا الولد قد أخذ أكثر مما يستحق من ورثه، فيعتبر ذلك ذمة في رقبته عليه تسديدها لبقية أفراد الأسرة ليتم توزيعها كجزء من تركة الأب، وهكذا.

مثال

تخيل أنني كنت أنا أحد أفراد الاسرة (ولنقل الابن الأكبر)، وتخيل معي أن أبي قد أنفق على دراستي وزواجي واستقراري في بيت جديد مبلغ مئة ألف دولار، وتخيل أني أنا الوحيد الذي تلقيت هذا الدعم المادي من والدي من دون أفراد الاسرة الآخرين (إما لأنهم لازالوا صغارا أو أنهم لم يوفقوا في الدراسة مثلي). فما الواجب عليّ فعله عند تقسيم التركة؟

تخيلات مفتراة خطيرة جدا من عند أنفسنا: علينا أن نبدأ بتقسيم ما تبقى من تركة الأب بين جميع أفراد الاسرة، كل حسب نصيبه الشرعي فيها. لكن إذا تبين أن حصتي مما تبقى من تركة والدي هي حوالي خمسين ألف دولارا، فإني أكون بذلك مدين لبقية أفراد الأسرة بخمسين ألف دولار (أي ما تبقى من قيمة الفاتورة المسجلة عليّ في وصية أبي). فالوالد قد أقر في وصيته بأني قد تلقيت دعما ماليا خاصا بقيمة مئة ألف دولار لكن حصتي من التركة عند تقسيمها قد بلغت خمسين ألفا فقط. إذن أنا مدين بخمسين ألف للآخرين.

لكن بالمقابل، لو أن قيمة حصتي من التركة كانت (بعد تقسيمها) مئة وخمسين ألف دولار، فإن نصيبي مما تبقى من التركة سيكون فقط خمسين ألفا، وهو ما تبقي لي في ذمة الآخرين. فأنا قد وصلني مسبقا (بناء على وصية والدي) مبلغ مئة ألف. لذا لا يحق لي المطالبة بالمبلغ كاملا (أي مئة وخمسين ألف دولار) ولكن بما تبقى منه (أي خمسين ألف دولار)، وذلك لأني كنت قد أخذت جزءا كبير من حصتي (مئة ألف دولار) في حياة والدي.

نتيجة مفتراة: نحن نظن (ربما مخطئين) بأن كتابة الوصية للذين لهم حق في الميراث يضمن العدالة للجميع، ويتم التغلب على ظروف العائلة الاجتماعية التي يعرفها الوالد نفسه معرفة حقيقية أكثر من معرفة القاضي الشرعي الذي سيوزع التركة بينهم فيما بعد. ونحن نتجرأ على الظن بأنه لا يمكن أن تراعي حقوق جميع أفرادها بعدالة شبه مطلقة دون وجود الوصية.

لذا، لما كان الاب (كرب الاسرة المسئول عنها) لا يحبذ أن يسود الظلم في عائلته باعتداء طرف قوي على طرف ضعيف فيها، كانت وصيته هي السلاح الواقعي القوي الذي يضمن حقوق الجميع بناء على معرفة حقيقة لظروف العائلة الاجتماعية ذاتها.

مادام أن الأب لا يستطيع أن يضمن أن يعيش حتى يعطي جميع أولاده بالقسط لأن الموت قد يباغته في أي ساعة، فعليه أن يضمن أن لا تضيع حقوق الضعيف في اسرته في وجه تغول من تسول له نفسه الاعتداء عليهم من إخوانهم الأقوياء. وهذا (نحن نفتري الظن) هو القول السديد الذي تتحدث عنه الآية الكريمة التالي:

- ﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٩﴾﴾ [النساء: 9]

ولو حاولنا تدبرها في سياقها الأوسع لوجدنا تتوسط آيات تقسيم الميراث، قال تعالى:

- ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا ﴿٧﴾ وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴿٨﴾ وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴿١٠﴾ يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١﴾﴾ [النساء: 7-11]

ولا شك عندنا أن عاقبة هذا القول السديد هو أمران اثنان لا ثالث لهما: إصلاح العمل وغفران الذنوب كما جاء في الآية الكريمة التالية:

- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب: 70-71]

نتيجة مفتراة خطيرة جدا: نحن نظن أن كتابة الوالد لوصيته تقع في باب القول السديد، لأن كلمته ستكون مسموعة حتى بعد موته، وستكون عاقبة ذلك صلاح الأعمال وغفران الذنوب

ولعلي لا أتردد أن افتري الظن بأن صلاح الأعمال التي ترد في هذه الآية الكريم لها علاقة مباشرة بما جاء في الآيات الكريمة التالية:

- ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿١٨٩﴾﴾ [الأعراف: 189]
- ﴿قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [هود: 46]

فهذه الآيات تشير بما لا يدع مجالا للشك عندنا بأن صلاح الأعمال له علاقة بالذرية. وانظر الآية السابقة الأولى في سياقها الأوسع:

- ﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَجَعَلَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا لِيَسۡكُنَ إِلَيۡهَاۖ فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتۡ حَمۡلًا خَفِيفٗا فَمَرَّتۡ بِهِۦۖ فَلَمَّآ أَثۡقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنۡ ءَاتَيۡتَنَا صَٰلِحٗا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ١٨٩ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحٗا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَاۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ١٩٠﴾ [الأعراف: 189-190]

نتيجة مفتراة: نحن نظن أن الوالد هو سبب رئيس في صلاح أبنائه، ولا يكون ذلك – برأينا- إلا بالوصية. انتهى.

وسنتعرض لاحقا للفكرة الغريبة جدا التالية: أن نبي الله صالح (رسول ثمود) كان نتيجة عمل والديه.

رسالة مهمة جدا للآباء: عزيزي الأب الكريم، لا يمكن أن تصلح أبناءك بالتعليم والجهد والمثابرة في جلب الثروة لهم، ما لم تكن من الذين يقولون قولا سديدا، فعليك أن تحاول ما استطعت إلى ذلك سبيلا أن تتوخى أقصى درجات الحيطة والحذر في نشر العدل بين أبناءك، خاصة في توزيع ثروتك بينهم، وبخلاف ذلك، تأكد أن النتيجة ستكون كارثية في جلب الشحناء والبغضاء بينهم، وبالتالي فناء الثروة بسبب الخلاف بين الابناء. والأهم من هذا أنك لن تكون مؤهلا لأن يغفر الله لك من ذنوبك ما لم تراع حق الله فيهم:

- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [الأحزاب: 70-71]

فالقول السديد في وصيتك لأبنائك هو الضامن الحقيقي أن تكون ممن يطع الله ورسوله، ويكون من الفائزين فوزا عظيما.

(دعاء: اللهم رب أنت وحدك من تعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور، فأسألك وحدك أن أكون من عبادك الصالحين الذين يقولون قولا سديدا، فيستحقون بذلك أن يكونوا ممن يصلحون أعمالهم ويفوزون فوزا عظيما، إنك أنت الغفور الرحيم - آمين)

السؤال: ما علاقة هذا بالمهر خاصة المهر المؤجل؟ يسأل صاحبنا مرة أخرى.

جواب مفترى: قلنا بأن المصاهرة تتيح لشخص غريب عن العائلة الدخول فيها، وقد يصبح لهذا الشخص تأثير على زوجته في المستقبل ربما أكبر من تأثير أبيها أو أخيها أو أمها عليها، وربما تسول له نفسه التعدي على ممتلكات العائلة بدعوى الحق الشرعي.

السؤال: وكيف ذلك؟

رأينا المفترى: لما كان هذا الشخص غريبا أصلا عن العائلة، فقد لا يقر بوصية الوالد مادام أنها لا توثق (كدين) عند كاتب العدل وبحضور الشهداء. وقد لا يتردد البعض منهم أن يطعن في ذلك بدعوى أنها ملفقة من قبل الابناء لحيازة الثروة وحرمان الآخرين منها. وقد يطالب عندئذ بتقسيم الميراث حسب الشرع الذي يفهمه هو، ضاربا عرض الحائط بكل تقاليد وأعراف العائلة التي دخل بها. ليكون السؤال الآن هو: كيف يمكن السيطرة على بعض الأنفس المريضة التي قد تتعدى على حقوق الآخرين بدعوى الشرع الزائف الذي يريد تفصيله حسب ما يجلب له المنفعة الشخصية؟

رأينا المفترى: عند إبرام عقد النكاح، على الولي (خاصة الأب) أن يحسب بالتفصيل مقدار ما تلقت ابنته التي ينوي تزويجها من هذا الزائر الجديد من دعم مالي منه. فقد تكون إحدى بناته قد أنفق عليها أكثر مما أنفق على إخونها وأخواتها الأخريات، لذا عليه أن يجعل ذلك مسجلا في عقد النكاح كمهر مؤجل يستحق الالتفات إليه وأخذه بعين الاعتبار عند توزيع التركة. انتهى.

مثال

تخيل معي – عزيزي القارئ- أن ابنتي الكبرى (واسمها زينب) قد أنهت مرحلة الدراسة المدرسية للتو، وهي الآن على أبواب القبول في الجامعة في كلية الطب بإذن الله. وتخيل معي أن أختها الأخرى (رغد) لا زالت في الصف الثامن الأساسي، وتخيل أن إخوتها الآخرين (الحارث وإبراهيم وأحمد) لازالوا في الصف الرابع والثاني ورياض الأطفال على التوالي. والآن، تخيل معي عزيزي القارئ – إن شئت- أن البنت الكبرى (زينب) تحتاج الآن إلى حوالي خمسين ألف دولار لإنهاء دراستها الجامعية في كلية الطب في الجامعة. وما أن تنهي زينب تلك المرحلة حتى تكون رغد على أبواب تلك المرحلة، فهي ستحتاج أيضا إلى مبلغ مشابه وربما اكثر من ذلك بسبب التضخم في فاتورة الجامعة مع مرور الزمن. فقد تحتاج (النقل) إلى ثمانين ألف دولار لتتخرج طبيبة كأختها السابقة بإذن الله. لكن هذا يعني أن بناتي (زينب ورغد) ستتخرجان من الجامعة كطبيبات في حين أن أولادي الصغار (الحارث وإبراهيم وأحمد) لازالوا على مقاعد الدراسة في المدرسة. فما الذي سيحصل لو أن الموت (لا قدر الله) قد جاءني قبل أن أتمكن من إنفاق مثل تلك المبالغ على أبنائي الصغار (الحارث وإبراهيم وأحمد) كما فعلت مع بناتي الاثنتين (زينب ورغد) من ذي قبل؟

السؤال: ماذا لو أني قد زوجت ابنتي بعد تخرجهن لرجلين غريبين عن العائلة قبل أن يأتي موعد دراسة أبنائي (الحارث وإبراهيم وأحمد) في الجامعة؟

السؤال الأكبر: ما الذي قد يحصل عند تقسيم التركة حينئذ؟ هل سيأتي من سيتزوج بناتي اللاتي تخرجن كطبيبات من الجامعة بعد أن أنفقت عليهن قسطا كبيرا من ثروتي لم أنفق مثله على أبنائي فيطالبوا بحقهم في الميراث بالتساوي الشرعي؟ هل هناك ضامن أن يأخذ أزواج بناتي بعين الاعتبار ما أنفقته عليهن دون إخوأنهن اللذين لم يبلغوا مرحلة الدراسة الجامعية في حياتي؟ وماذا سيحصل لو كتبت ذلك في وصيتي؟ هل من المؤكد أن يقر أزواج بناتي بوصيتي حينئذ؟

جواب مفترى: الاحتمال في كلا الاتجاهين وارد، فقد يقرا بذلك وقد لا يرضيان بذلك، وقد يرضى بعضهم وقد لا يرضى البعض الآخر. فكيف لي أن أتأكد بأن ذلك سينفذ على أرض الواقع سواء رضوا بذلك أم لم يرضوا؟ وكيف سيتحقق العدل بين جميع أفراد الاسرة كبيرهم وصغيرهم، ذكرهم وأنثاهم حتى بعد وفاتي؟

جواب مفترى خطير جدا جدا: إنه المهر المؤجل.

السؤال: وكيف ذلك.

رأينا المفترى: يتوجب عليّ أنا (كأب) أن أطلب حق بناتي في ميراثهن من أزواجهن، ليوزع بالقسط بين الجميع عندما يحين توزيع بقية التركة.

السؤال: وكيف ذلك؟

رأينا المفترى: عندما سيقدم الخاطب لابنتي (بإذن الله)، فإني لن أتردد أن أطلب منه مهرا مؤجلا لابنتي بمقدار ما أنفقته عليها من مال العائلة كلها. فإذا كانت نفقاتي الخاصة على ابنتي هذه بمقدار خمسين ألف دينار مثلا، فسأطلب (لا محالة) من خاطبها تسجيل ذلك في عقد النكاح كمهر مؤجل لها، يخصم من قيمة نصيب هذه البنت من التركة التي تبقت عندي عند توزيعها. فالمهر المؤجل (البالغ خمسين ألف دينار مثلا) ليس مقدارا ماليا أطالب به في الحال من خاطبها، ولكنه مقدار من المال يخصم من قيمة حصة البنت هذه عند توزيع ما تبقى من التركة عندئذ. فإذا تبقى لها شيء في التركة، فلها أن تأخذه وزوجها وليأكلوه هنيئا مريئا، وإذا تساوت حصتها من التركة مع قيمة المؤجل، فلا طالب ولا مطلوب ولا عدوان عليهما، وإذا قلت حصتها من التركة عن المبلغ المعجل المكتوب على زوجها، فعلى هذه البنت (التي أصبحت طبية بسبب ما دفعا عليها) أن تدفع لإخوتها الآخرين ما زادت به عنهم رضي زوجها بذلك أم لم يرضى (فهو في نهاية المطاف محكوم بعقد قد وقع على بنوده عندما تمت صفقة المصاهرة (أي عقد النكاح). فهذا حساب يحقق العدالة للجميع، وعلى الجميع أن يرضون به، شاءوا أم أبوا. فالحق أحق أن يتبع.

السؤال: لماذا؟

دعنا ندقق فيما يحصل عند كثير من العائلات كما نجدهم في مجتمعاتنا كلها. فمثلا، عندما يصيب الكبر الأبوين أو أحدهما، فإن كثير من الأصهار (أزواج البنات) يعتبرون أن حق رعاية الأبوين في الكبر يقع على عاتق الأبناء الذكور، ويعتبرون أنفسهم غرباء عن العائلة في هذه الحالة، لكن عندما يأتي موعد تقسيم التركة، فإن كثير منهم (وخاصة ضعفاء النفوس المحبين للمال حبا جما) يعتبرون أن حصتهم في الميراث واجب شرعي مقدس لا يجوز المساس به. فهم - كما أسلفنا القول سابقا- شركاء في المغنم فقط، لكنهم غرباء عن العائلة في المغرم. فأي منطق واي عدالة تلك؟ من يدري؟!

وقد أصبح سائدا في كثير من المجتمعات الإسلامية أن تقوم العائلة بتربية البنت وتدريسها وتجهيزها حتى يقدم سي السيد ليأخذها على فرسه الأبيض، فيأخذ الجمل بما حمل (كما يقول المثل الشعبي)، فالوالد هو الذي دفع على تدريس ابنته، لكن سي السيد هو الذي بجيبه بطاقة الصراف الآلي لراتب زوجته الآن. فهو إذن محاسب مالي، يملأ جيوبه مما تكبده الآباء في تجهيز ابنته. والغريب المريب في الموضوع أن كثيرا من الذكور (ولا أقول الرجال طبعا) يعتبرون أن ذلك حقا لهم، لا يجب منازعتهم عليه، فلو أن بعض النساء حاولن تقديم بعض المساعدة للأهل (من مالها الخاص) لكشر سي السيد عن نابيه معتبرا ذلك تصرفا أرعنا في ماله. والأكثر غرابة هو في حين أنه يتصرف كذلك مع زوجته ويرضى به، قد يشعر بالحنق والغضب لو أن زوج أخته أو ابنته قد تصرف معه بنفس الطريقة. فكثيرا ما نجد أن من الذكور من يتعدون على حصة

أخواتهم في ميراث عائلته ويأكلون كثيرا من حقوقهن لكنهم لا يرضون ذلك مع زوجاتهم. فهم يريدون من زوجاتهم أن يأتوا لهم بالغالي والنفيس من بيت أهلهن، لكنهم لا يسمحون لبناتهم وأخواتهم أن يأخذن شيئا من بيوتهم لبيوت أزواجهن. ولعل هذا الانفصام الاقتصادي في الشخصية لا تجده بهذه الشراسة إلا بمجتمعات الأعراب. من يدري؟!

لكن لما جاء الشرع لينظم حياة كل المسلمين عربهم وعجمهم، فإنه لا شك ينظم العلاقة بين أفراد الاسرة بالقسط، حتى ينتفي الظلم فيها، فلا يبغي طرف منهم على الطرف الآخر. ونحن نرى (ربما مخطئين) بأن الوصية وعقد النكاح هما الضامنان القانونيان الوحيدان اللازمان لتنظيم هذه العلاقة بين افراد الأسرة الذين تربطهم رابطة الدم (الوصية) والدخلاء عليها من الأصهار (عقد النكاح).

نتيجة مفتراة: الوصية هي كتابة الدين بين أفراد الاسرة، يكتبها الأب فسيجل فيها ما لكل ولد من أولاده سواء عطاء أو أخذا، يحضر أداءه عند توزيع التركة

نتيجة مفتراة: المهر المؤجل هو كتابة ما أنفقه الاب على ابنته بشكل خاص، يحضر أداءه عند توزيع التركة.

تفاوت المهر

نحن نظن أن من أبجديات هذا الفهم هو أن المهر يتفاوت من حالة إلى حالة حتى بين الأخوات أنفسهن. فمقدار ما يكتب للمرأة من مهر مؤجل يتم تحديده عن طريق الأب الذي يعلم تماما ما أنفق من ماله على ابنته هذه على وجه التحديد. فقد يكون المهر المؤجل لواحدة منهن مئة الفا فين حين يكون للأخرى لا شيء لأنه لم ينفق عليها شيئا يزيد عن ما أنفقه على الأخريات، وهكذا.

لكن - بالمقابل – فإن جميع الإناث يتساوين في المهر المعجل، أي ما يجب على الخاطب أن يوفره لخطيبته من أجل تجهيزها كعروس جديدة، وهم جميعا محكومون بقوله تعالى:

- ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ۝٧﴾ [الطلاق: 7]

فمادام أن المخطوبة قد قبلت به كزوجا لها، فعليها أن تقبل أيضا بظروفه الحالية. ولو دققنا في الآية السابقة في سياقها الأوسع، لوجدنا أنها مرتبطة بحياة الأزواج مع بعضهم بعضا:

- ﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا۟ عَلَيْهِنَّ وَإِن كُنَّ أُو۟لَٰتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا۟ عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأْتَمِرُوا۟ بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُۥٓ أُخْرَىٰ ۝٦ لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ۝٧﴾ [الطلاق: 6-7]

فالمرأة لا يجب أن تطلب من زوجها أكثر من سعته، كما على الزوج أن لا يضيّق الخناق عليها مادام أنه يستطيع التوسعة، فلا الاسراف مطلوب ولا التبذير مرغوب:

- ﴿وَلَا تَجۡعَلۡ يَدَكَ مَغۡلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبۡسُطۡهَا كُلَّ ٱلۡبَسۡطِ فَتَقۡعُدَ مَلُومٗا مَّحۡسُورًا ٢٩﴾ [الإسراء: 29]

لكن بالرغم أن على المرأة أن تقبل بظروف زوجها المادية، فلا يجب على وليها (وخاصة والدها) أن يفرط في حقها في مهرها المؤجل، وذلك لأنه ليس ضمانا لحقها وحدها عند زوجها (كما يظن الغالبية الساحقة من الناس عالمهم ومتعلمهم حسب الشرع السائد) وإنما ضمانا لحقوق الآخرين من أفراد أسرتها. فإن كان مهرها يغطي مقدار حقها في التركة، فهي إذا سواء معهم، فلا تأخذ ولا يؤخذ منها. وإن كان حقها في التركة يزيد عن مقدار مهرها المؤجل، فلها أن تطالب بذلك من أهلها، ولا يجب أن يبخسوها منه شيئا. وإذا كان مقدار مهرها المؤجل يفوق حصتها في التركة، فعليها أن تدفع لهم ذلك الفرق رضي زوجها بذلك أم لم يرضى. فهذا يقع في باب القسط الذي يرضى به صاحب القلب السليم، ولا يرفضه (نحن نرى) إلا من كان في قلبه مرض من حب المال.

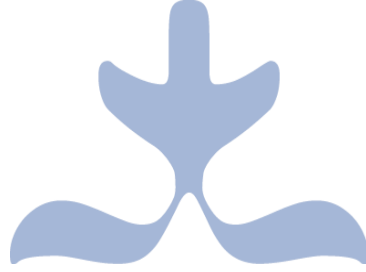
تساؤلات جديدة

- ⇐ متى يجب كتابة الوصية من قبل الأب؟
- ⇐ كيف تكتب؟
- ⇐ لماذا يجب أن يكون المهر المؤجل مسجلا بقيمة الذهب؟
- ⇐ ماذا عن بقية الورثة كالأب والأم والزوجة؟
- ⇐ متى توزع التركة؟
- ⇐ من الذي يجب أن يحضر توزيعها؟
- ⇐ كيف يمكن تحديد درجة القرابة (قربى، أولي القربى، ذوي القربي، الخ)
- ⇐ ما علاقة هذا كله بالجن والشياطين والدم؟
- ⇐ الخ

جواب مفترى: هذا ما ستناوله بالتفصيل بحول الله وتوفيق منه في الجزء القادم من هذه المقالة إن أذن الله لنا بشيء من علمه فيها.

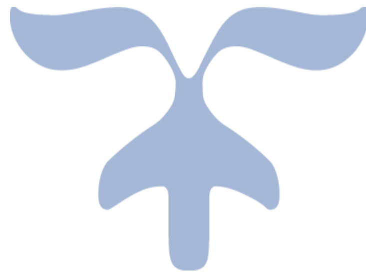
فالله وحده أسأل أن يعلمني، وأن يزيدني علما، وأن يهدين لأقرب من هذا رشدا. وأعوذ به وحده أن أكون ممن يفترون عليه الكذب أو ممن يقولون عليه ما ليس لهم بحق، وأعوذ به أن يكون أمري كأمر فرعون، إنه هو العليم الحكيم - آمين.

المدكرون: رشيد سليم الجراح & علي محمود سالم الشرمان
بقلم د. رشيد الجراح
15 أيلول 2018



فقه الصيام

الجزء الخامس



فقه الصيام: الجزء الخامس

خلصنا في الجزء السابق من هذه المقالة إلى التفريق بين الدين من جهة والوصية من جهة أخرى، وافرينا الظن- من عند أنفسنا- بأن الدين هو ما يجب كتابته من قبل كاتب العدل، ويشهد على ذلك اثنان من الشهداء، ويملله الذي عليه الحق، ولا يبخس منه شيئا (للتفصيل انظر مقالات فقه الزكاة وفقه الصيام السابقة). وقد كان مراد القول هناك أن الدين هو معاملة بالمال بين الغرباء لأغراض تجارية بحتة، يتحصل منها فائدة للطرفين: الدائن والمدين. أما الوصية – بالمقابل- فهي معاملة بالمال بين أفراد العائلة الواحدة، فهي بمثابة الحقوق المترتبة على أفراد الأسرة الواحدة فيما بينهم. فعلى عكس الفكر السائد، فإننا نتجرأ على افتراء الظن بأن الوصية للوالدين والأقربين بالمعروف، وكذلك للزوج والأولاد كما نفهمها من الآيات الكريمة التالية:

⇐ الأولاد

- ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ لِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۚ فَإِن كُنَّ نِسَآءٗ فَوۡقَ ٱثۡنَتَيۡنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَۖ وَإِن كَانَتۡ وَٰحِدَةٗ فَلَهَا ٱلنِّصۡفُۚ وَلِأَبَوَيۡهِ لِكُلِّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا ٱلسُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُۥ وَلَدٞۚ فَإِن لَّمۡ يَكُن لَّهُۥ وَلَدٞ وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ ٱلثُّلُثُۚ فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخۡوَةٞ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُۚ مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصِي بِهَآ أَوۡ دَيۡنٍۗ ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ لَا تَدۡرُونَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ لَكُمۡ نَفۡعٗاۚ فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمٗا ١١﴾ [النساء: 11]

⇐ الوالدين والأقربون بالمعروف

- ﴿كُتِبَ عَلَيۡكُمۡ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ إِن تَرَكَ خَيۡرًا ٱلۡوَصِيَّةُ لِلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَ بِٱلۡمَعۡرُوفِۖ حَقًّا عَلَى ٱلۡمُتَّقِينَ ١٨٠﴾ [البقرة: 180]

⇐ الأزواج

- ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوۡنَ مِنكُمۡ وَيَذَرُونَ أَزۡوَٰجٗا وَصِيَّةٗ لِّأَزۡوَٰجِهِم مَّتَٰعًا إِلَى ٱلۡحَوۡلِ غَيۡرَ إِخۡرَاجٖۚ فَإِنۡ خَرَجۡنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ فِي مَا فَعَلۡنَ فِيٓ أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعۡرُوفٖۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ٢٤٠ وَلِلۡمُطَلَّقَٰتِ مَتَٰعُۢ بِٱلۡمَعۡرُوفِۖ حَقًّا عَلَى ٱلۡمُتَّقِينَ ٢٤١﴾ [البقرة: 240-241]

فالأب يكتب بنفسه وصيته فيما أنفق على أبنائه وعلى والديه وعلى أقربائه حتى يتم احتساب ذلك من قيمة تركته قبل توزيعها على ورثته بعد وفاته. فما ينفقه الشخص على ورثته في حياته يقع في باب الوصية وعلى الشخص أن يكتب ذلك كتبة بنفسه، ويسمى ذلك وصيته، أما ما يأخذوهم من مال بعد وفاته فهو ورثة. لذا وجب النظر في وصية الرجل قبل تقسيم ميراثه ليتم احتساب ما فيها عند توزيع ما ترك الرجل (للتفصيل انظر الجزء السابق من هذه القالة)

ويقع المهر الذي يطلبه الأب لبناته من خاطبيهم – نحن نرى- في هذا الباب (أي الوصية)، إلا أنه يختلف عن الوصية بأنه يكون مكتوبا ومشهودا عليه، وذلك لأن طرفه الآخر (الناكح) ليس من أفراد الأسرة الذين لهم حق في الميراث عند توزيعه، ويكون المهر جزء من المال الذي يجب احتسابه في التركة عند

تقسيمها. فإذا كان حق البنت في ميراث أبيها حوالي مئة ألف دولار مثلا، وكان مهرها المؤجل الذي طلبه أبوها، وتم توثيقه في عقد النكاح بحضور الشهود هو خمسين ألف دولار، فإن ذلك يقتطع من قيمة ما لها من الميراث (أي من المئة ألف دولار)، فيتبقى لها خمسين ألفا. ويتم توزيع الخمسين الباقية كجزء من الميرات على بقية الورثة بمن فيهم البنت نفسها كل حسب نصيبه منها.

وهذا – برأينا ربما الخاطئ- يندرج تحت باب الوصية للأولاد جميعا. فقبل تقسيم التركة يجب أن يحسب ما على كل واحد منهم من (دين عائلي) مكتوب في الوصية ليتم أخذه بعين الاعتبار عند توزيع التركة بالقسط بينهم جميعا.

وقد أنهينا الجزء السابق من هذه المقالة بطرح التساؤلات التالية:

- هل يجب على الزوج (الناكح) أن يدفع المهر المؤجل لزوجته في حالة أن طلقها قبل توزيع تركة والدها؟
- متى يجب كتابة الوصية من قبل الأب؟
- كيف تكتب؟
- لماذا يجب أن يكون المهر المؤجل مسجلا بقيمة الذهب؟
- ماذا عن بقية الورثة كالأب والأم والزوجة؟
- متى توزع التركة؟
- من الذي يجب أن يحضر توزيعها؟
- كيف يمكن تحديد درجة القرابة (قربى، أولي القربى، ذوي القربي، الخ)
- ما علاقة هذا كله بالجن والشياطين والدم؟
- الخ

وسنحاول النقاش في هذه المسائل تباعا بما أذن الله لنا به من علم فيها. فالله وحده نسأل أن يعلمنا ما لم نكن نعلم، وأن يهدينا لأقرب من هذا رشدا، وأن يزدنا علما، إنه هو العليم الحكيم – آمين.

أما بعد،

السؤال الأول:

هل يجب على الزوج دفع المهر المؤجل لزوجته إن طلقها قبل أن توزع تركة والدها؟

جواب مفترى: نعم

السؤال: لماذا؟

رأينا المفترى: لقد افترينا القول من عند أنفسنا بأن المهر المؤجل المسجل للمرأة في عقد نكاحها يحدده الوالد (أو الولي) بمقدار ما دفع عليها زيادة عنما دفعه على غيرها من أولاده الآخرين. والهدف من ذلك – برأينا – هو أن يتم احتساب هذا المبلغ من نصيب البنت من ميراث والديها عند توزيعه.

لكن إذا حصل الطلاق قبل توزيع الميراث، فإن على الزوج أن يدفع للزوجة المهر المفروض لها في عقد النكاح، ليكون السؤال هو: لماذا؟

رأينا المفترى: مادام أن الزوجة قد طُلّقت، فنفقتها لم تعد حينئذ تقع على عاتق والدها، لأنها ببساطة قد تزوجت وخرجت من بيته، وأصبحت نفقتها واجبة على زوجها (أو ناكحها). وفي حال قام الزوج بطلاق هذه المرأة، فإن المرأة تحتاج أن تجد مصدرا للنفقة عليها، فمن أين تستطيع أن تتحصل على ما ينفق عليها؟

رأينا المفترى: نحن نظن أنه يحق للمرأة أن تأخذ مهرها المؤجل (الذي هو جزء من نصيبها في ميراث والدها) لتنفق منه على نفسها حتى حضور وقت توزيع تركة أحد والديها أو كلاهما لاحقا. فهذا بمثابة مصدر للإنفاق على المرأة حتى يحين وقت حصولها على نصيبها من ميراث والديها. وحينها يتم احتساب هذا المهر (الذي حصلت عليه المطلقة) كجزء من التركة عند حلول موعد توزيعها.

السؤال: وماذا لو كان مهرها لا شيء؟ أي ماذا لو أن الوالد لم ينفق على ابنته هذه شيء من المال يزيد عمّا أنفقه على غيرها من أولاده، وكان مهرها حينئذ قليل جدا أو ربما لا شيء؟ فمن أين لها أن تنفق على نفسها في حالة طلاقها؟

رأينا المفترى: غالبا ما ظن البعض بأنه يترتب على الرجل الذي طلق زوجته أن يدفع لها مهرها المؤجل وكفى. ويصبح الرجل في حل من التزاماته المالية تجاه امرأته التي طلقها. فنحن نظن أن هذا غير صحيح، فللمرأة المطلقة حق في مهرها المؤجل من بعلها الذي طلقها، ولها أيضا حق في دوام نفقته عليها حتى بعد طلاقها. انتهى.

السؤال: وأين الدليل على ذلك إن كان ما تفتريه صحيحا؟ يسأل صاحبنا مستغربا

جواب مفترى: دعنا ندقق في الآية الكريمة التالية:

- ﴿وَلِلْمُطَلَّقَٰتِ مَتَٰعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ۝٢٤١﴾ [البقرة: 241]

السؤال: ما معنى أن يكون للمطلقات متاع بالمعروف؟ وكيف يكون ذلك حقا على المتقين؟

رأينا المفترى: نحن نفتري الظن بأنه يجب التفريق بين ما فرض للمرأة من جهة ومتاع المرأة بالمعروف من جهة أخرى. فالمرأة لها إذاً (حتى اللحظة) حقان عند ناكها، وهما: (1) ما فرض لها و (2) المتاع بالمعروف

السؤال: ما الفرق؟

رأينا المفترى: نحن نظن أن ما فرض للمرأة (وهو ما تم تسجيله من حق لها عند ناكحها من المال كمهر مؤجل) يحين سداده في حينه، لكن متاعها شيء مختلف. ليكون السؤال: ما هو متاع المرأة؟ أو بكلمات أكثر دقة كيف يمكن للرجل أن يمتع المرأة المطلقة؟

جواب مفترى: دعنا ندقق في الآية الكريمة التالية:

- ﴿۞ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ۚ وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةٌۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦ ۚ وَعَلَى ٱلْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ ۗ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا ۗ وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّآ ءَاتَيْتُم بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٣﴾﴾ [البقرة: 233]

لنجد – بناء على فهمنا لما جاء في هذه الآية الكريمة- أن للمرأة على زوجها (أو من وَلدت له) حق الرزق والكسوة بالمعروف (وَعلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ). ولا شك – عندنا- أن الرزق خاص بالطعام، مصداقا لقوله تعالى:

- ﴿... كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾﴾ [آل عمران: 37]

والكسوة خاصة باللباس، التذي هو تغطية، كما نفهمه من الآية الكريمة التالية:

- ﴿أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِا۟ئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِا۟ئَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾﴾ [البقرة: 259]

فالفصل بين الرزق والكسوة واضح في الآيات الكريمة التالية:

- ﴿وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمًا وَٱرْزُقُوهُمْ فِيهَا وَٱكْسُوهُمْ وَقُولُوا۟ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٥﴾﴾ [النساء: 5]
- ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَٰنَ ۖ فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ ۚ ذَٰلِكَ كَفَّٰرَةُ أَيْمَٰنِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ ۚ وَٱحْفَظُوٓا۟ أَيْمَٰنَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٨٩﴾﴾ [المائدة: 89]

نتيجة مفتراة من عند أنفسنا: نحن نظن أن المتاع مختلف عن الرزق والكسوة. فالمطلقة له حق بأن تمتع من قبل زوجها لكن ليس لها حق في أن يطعمها أو أن يكسوها. انتهى.

الدليل

- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَكَحۡتُمُ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ ثُمَّ طَلَّقۡتُمُوهُنَّ مِن قَبۡلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمۡ عَلَيۡهِنَّ مِنۡ عِدَّةٖ تَعۡتَدُّونَهَاۖ فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحٗا جَمِيلٗا ٤٩﴾ [الأحزاب: 49]
- ﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ إِن طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ مَا لَمۡ تَمَسُّوهُنَّ أَوۡ تَفۡرِضُواْ لَهُنَّ فَرِيضَةٗۚ وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى ٱلۡمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلۡمُقۡتِرِ قَدَرُهُۥ مَتَٰعَۢا بِٱلۡمَعۡرُوفِۖ حَقًّا عَلَى ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٢٣٦﴾ [البقرة: 236]

لو عدنا إلى الآية محرك البحث وهو قوله تعالى:

- ﴿وَلِلۡمُطَلَّقَٰتِ مَتَٰعُۢ بِٱلۡمَعۡرُوفِۖ حَقًّا عَلَى ٱلۡمُتَّقِينَ ٢٤١﴾ [البقرة: 241]

لوجدنا بأن الحق المترتب على الرجل للمرأة التي طلقها هو المتاع فقط (وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ). فكيف يمكن أن نفهم ذلك مادام أن المتاع لا يشمل الرزق (الطعام والكسوة)؟

رأينا المفترى: لو دققنا في الآيات الكريمة التالية، لوجدنا بأن الفصل واضح بين الأكل والتمتع:

- ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأۡكُلُونَ كَمَا تَأۡكُلُ ٱلۡأَنۡعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثۡوٗى لَّهُمۡ ١٢﴾ [محمد: 12]
- ﴿ذَرۡهُمۡ يَأۡكُلُواْ وَيَتَمَتَّعُواْ وَيُلۡهِهِمُ ٱلۡأَمَلُۖ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ٣﴾ [الحجر: 3]
- ﴿كُلُواْ وَتَمَتَّعُواْ قَلِيلًا إِنَّكُم مُّجۡرِمُونَ ٤٦﴾ [المرسلات: 46]

السؤال: مادام أن الأكل منفصل عن التمتع، فكيف يمكن للرجل أن يمتع مطلقته بالمعروف؟

- ﴿وَلِلۡمُطَلَّقَٰتِ مَتَٰعُۢ بِٱلۡمَعۡرُوفِۖ حَقًّا عَلَى ٱلۡمُتَّقِينَ ٢٤١﴾ [البقرة: 241]

رأينا المفترى: عندما يحصل الطلاق بين الرجل والمرأة، فإن الرجل لا يعود ملزما بأن يجلب الطعام والكسوة للمرأة، لأنهما لم يعودا يسكنان في المكان ذاته معا. فالعلاقة المباشرة بين الرجل من جهة ومطلقته من جهة أخرى قد أصبحت ممنوعة، ويجب أن تكون العلاقة بينهما (إن وجدت) غير مباشرة، لا يترتب عليها اتصال أو تواصل حسي بين الطرفين كجلب الطعام والكسوة مثلا. لكن يبقى بينهما اتصال غير مباشر وذلك بأن يبقى يمتعها حتى بعد طلاقها.

السؤال: فكيف إذا سيمتعها مادام أنهما قد انفصلا عن بعضهم البعض؟

رأينا المفترى: عندما حاولنا البحث عن معنى مفردة مَتَاعٌ ومشتقاتها في كتاب الله، وجدنا الآية الكريمة التالية:

- ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُواْ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٩٨﴾﴾ [يونس: 98]
- ﴿أَفَرَءَيْتَ إِن مَّتَّعْنَٰهُمْ سِنِينَ ﴿٢٠٥﴾ ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُواْ يُوعَدُونَ ﴿٢٠٦﴾﴾ [الشعراء: 205-206]
- ﴿وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔامَنُواْ فَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١٤٨﴾﴾ [الصافات: 147-148]
- ﴿وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ ۖ وَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ﴿٣﴾﴾ [هود: 3]
- ﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾﴾ [البقرة: 36]
- ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم مَّتَٰعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ ۚ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِى مَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٤٠﴾ وَلِلْمُطَلَّقَٰتِ مَتَٰعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٤١﴾﴾ [البقرة: 240-241]
- ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴿١٤﴾﴾ [آل عمران: 14]
- ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾﴾ [آل عمران: 185]
- ﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُواْ لَهُنَّ فَرِيضَةً ۚ وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ قَدَرُهُۥ مَتَٰعًۢا بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٢٣٦﴾﴾ [البقرة: 236]
- ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿١٩٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٩٧﴾﴾ [آل عمران: 196-197]
- ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓاْ أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ ٱلنَّاسَ كَخَشْيَةِ ٱللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً ۚ وَقَالُواْ رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا ٱلْقِتَالَ لَوْلَآ أَخَّرْتَنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ ۗ قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧٧﴾﴾ [النساء: 77]
- ﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ وَطَعَامُهُۥ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ ۖ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ ٱلْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا ۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [المائدة: 96]
- ﴿قَالَ ٱهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٢٤﴾﴾ [الأعراف: 24]
- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ ۚ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾﴾ [التوبة: 38]

- ﴿فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمۡ إِذَا هُمۡ يَبۡغُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۗ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغۡيُكُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۖ مَّتَٰعَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ ثُمَّ إِلَيۡنَا مَرۡجِعُكُمۡ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٢٣﴾ [يونس: 23]
- ﴿قُلۡ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ لَا يُفۡلِحُونَ ٦٩ مَتَٰعٞ فِي ٱلدُّنۡيَا ثُمَّ إِلَيۡنَا مَرۡجِعُهُمۡ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ ٱلۡعَذَابَ ٱلشَّدِيدَ بِمَا كَانُواْ يَكۡفُرُونَ ٧٠﴾ [يونس: 69-70]
- ﴿وَأَنِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ يُمَتِّعۡكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى وَيُؤۡتِ كُلَّ ذِي فَضۡلٖ فَضۡلَهُۥۖ وَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٖ كَبِيرٍ ٣﴾ [هود: 3]
- ﴿قَالُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبۡنَا نَسۡتَبِقُ وَتَرَكۡنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئۡبُۖ وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا وَلَوۡ كُنَّا صَٰدِقِينَ ١٧﴾ [يوسف: 17]
- ﴿وَلَمَّا فَتَحُواْ مَتَٰعَهُمۡ وَجَدُواْ بِضَٰعَتَهُمۡ رُدَّتۡ إِلَيۡهِمۡۖ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مَا نَبۡغِيۖ هَٰذِهِۦ بِضَٰعَتُنَا رُدَّتۡ إِلَيۡنَاۖ وَنَمِيرُ أَهۡلَنَا وَنَحۡفَظُ أَخَانَا وَنَزۡدَادُ كَيۡلَ بَعِيرٖۖ ذَٰلِكَ كَيۡلٞ يَسِيرٞ ٦٥﴾ [يوسف: 65]
- ﴿قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأۡخُذَ إِلَّا مَن وَجَدۡنَا مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ إِنَّآ إِذٗا لَّظَٰلِمُونَ ٧٩﴾ [يوسف: 79]
- ﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَسَالَتۡ أَوۡدِيَةُۢ بِقَدَرِهَا فَٱحۡتَمَلَ ٱلسَّيۡلُ زَبَدٗا رَّابِيٗاۖ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيۡهِ فِي ٱلنَّارِ ٱبۡتِغَآءَ حِلۡيَةٍ أَوۡ مَتَٰعٖ زَبَدٞ مِّثۡلُهُۥۚ كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡحَقَّ وَٱلۡبَٰطِلَۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذۡهَبُ جُفَآءٗۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمۡكُثُ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَالَ ١٧﴾ [الرعد: 17]
- ﴿ٱللَّهُ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ وَفَرِحُواْ بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٞ ٢٦﴾ [الرعد: 26]
- ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمۡ سَكَنٗا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلۡأَنۡعَٰمِ بُيُوتٗا تَسۡتَخِفُّونَهَا يَوۡمَ ظَعۡنِكُمۡ وَيَوۡمَ إِقَامَتِكُمۡ وَمِنۡ أَصۡوَافِهَا وَأَوۡبَارِهَا وَأَشۡعَارِهَآ أَثَٰثٗا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٖ ٨٠﴾ [النحل: 80]
- ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلۡسِنَتُكُمُ ٱلۡكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٞ وَهَٰذَا حَرَامٞ لِّتَفۡتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ لَا يُفۡلِحُونَ ١١٦ مَتَٰعٞ قَلِيلٞ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ١١٧﴾ [النحل: 116-117]
- ﴿وَإِنۡ أَدۡرِي لَعَلَّهُۥ فِتۡنَةٞ لَّكُمۡ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٖ ١١١﴾ [الأنبياء: 111]
- ﴿لَّيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَن تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ مَسۡكُونَةٖ فِيهَا مَتَٰعٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ وَمَا تَكۡتُمُونَ ٢٩﴾ [النور: 29]
- ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيۡءٖ فَمَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتُهَاۚ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ٦٠ أَفَمَن وَعَدۡنَٰهُ وَعۡدًا حَسَنٗا فَهُوَ لَٰقِيهِ كَمَن مَّتَّعۡنَٰهُ مَتَٰعَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا ثُمَّ هُوَ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ مِنَ ٱلۡمُحۡضَرِينَ ٦١﴾ [القصص: 60-61]
- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤۡذَنَ لَكُمۡ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيۡرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَٰكِنۡ إِذَا دُعِيتُمۡ فَٱدۡخُلُواْ فَإِذَا طَعِمۡتُمۡ فَٱنتَشِرُواْ وَلَا مُسۡتَـٔۡنِسِينَ لِحَدِيثٍۚ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ يُؤۡذِي ٱلنَّبِيَّ فَيَسۡتَحۡيِۦ مِنكُمۡۖ وَٱللَّهُ لَا يَسۡتَحۡيِۦ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ وَإِذَا سَأَلۡتُمُوهُنَّ مَتَٰعٗا فَسۡـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٖۚ ذَٰلِكُمۡ أَطۡهَرُ لِقُلُوبِكُمۡ وَقُلُوبِهِنَّۚ وَمَا كَانَ

لَكُمْ أَن تُؤْذُواْ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓاْ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًاۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٣﴾ [الأحزاب: 53]

- ﴿إِلَّا رَحْمَةً مِّنَّا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٤٤﴾﴾ [يس: 44]
- ﴿يَٰقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ وَإِنَّ ٱلْءَاخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ ﴿٣٩﴾﴾ [غافر: 39]
- ﴿فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَاۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [الشورى: 36]
- ﴿وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٣﴾ وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَٰبًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِـُٔونَ ﴿٣٤﴾ وَزُخْرُفًاۚ وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَاۚ وَٱلْءَاخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٣٥﴾﴾ [الزخرف: 33-35]
- ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ ﴿٧١﴾ ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ ﴿٧٢﴾ نَحْنُ جَعَلْنَٰهَا تَذْكِرَةً وَمَتَٰعًا لِّلْمُقْوِينَ ﴿٧٣﴾﴾ [الواقعة: 71-73]
- ﴿ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًاۖ وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿٢٠﴾﴾ [الحديد: 20]
- ﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا ﴿٣١﴾ وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا ﴿٣٢﴾ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٣﴾﴾ [النازعات: 31-33]
- ﴿أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٢﴾﴾ [عبس: 25-32]
- ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوٓاْ أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُواْ فَلْيَكُونُواْ مِن وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّواْ فَلْيُصَلُّواْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُواْ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْۗ وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَٰحِدَةًۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَن تَضَعُوٓاْ أَسْلِحَتَكُمْۖ وَخُذُواْ حِذْرَكُمْۗ إِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٠٢﴾﴾ [النساء: 102]

السؤال: ما الذي يمكن أن نستنبطه من هذه الآيات الكريمة بخصوص مفردة المتاع؟

رأينا المفترى: لو تفقدنا هذه الآيات الكريمة، لوجدنا بأن الحياة الدنيا كلها متاع:

- ﴿يَٰقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ وَإِنَّ ٱلْءَاخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ ﴿٣٩﴾﴾ [غافر: 39]

ولو دققنا أكثر في الآيات، لوجدنا أن المتاع هو كل ما يجلب المتعة، لذا يستثنى من ذلك السلاح، بدليل الفصل الواضح بين الأمتعة من جهة والأسلحة من جهة أخرى كما جاء في الآية الكريمة التالية:

- ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمۡ فَأَقَمۡتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَلۡتَقُمۡ طَآئِفَةٞ مِّنۡهُم مَّعَكَ وَلۡيَأۡخُذُوٓاْ أَسۡلِحَتَهُمۡۖ فَإِذَا سَجَدُواْ فَلۡيَكُونُواْ مِن وَرَآئِكُمۡ وَلۡتَأۡتِ طَآئِفَةٌ أُخۡرَىٰ لَمۡ يُصَلُّواْ فَلۡيُصَلُّواْ مَعَكَ وَلۡيَأۡخُذُواْ حِذۡرَهُمۡ وَأَسۡلِحَتَهُمۡۗ وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ تَغۡفُلُونَ عَنۡ أَسۡلِحَتِكُمۡ وَأَمۡتِعَتِكُمۡ فَيَمِيلُونَ عَلَيۡكُم مَّيۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ إِن كَانَ بِكُمۡ أَذٗى مِّن مَّطَرٍ أَوۡ كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَن تَضَعُوٓاْ أَسۡلِحَتَكُمۡۖ وَخُذُواْ حِذۡرَكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا ١٠٢﴾ [النساء: 102]

والمتاع هو كل ما يحتاجة الإنسان في سفره، بدليل قوله تعالى:

- ﴿وَلَمَّا فَتَحُواْ مَتَٰعَهُمۡ وَجَدُواْ بِضَٰعَتَهُمۡ رُدَّتۡ إِلَيۡهِمۡۖ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مَا نَبۡغِيۖ هَٰذِهِۦ بِضَٰعَتُنَا رُدَّتۡ إِلَيۡنَاۖ وَنَمِيرُ أَهۡلَنَا وَنَحۡفَظُ أَخَانَا وَنَزۡدَادُ كَيۡلَ بَعِيرٖۖ ذَٰلِكَ كَيۡلٞ يَسِيرٞ ٦٥﴾ [يوسف: 65]
- ﴿قَالُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبۡنَا نَسۡتَبِقُ وَتَرَكۡنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئۡبُۖ وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا وَلَوۡ كُنَّا صَٰدِقِينَ ١٧﴾ [يوسف: 17]

وهو متطلبات البيت من المسلتزمات باستثناء الطعام:

- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤۡذَنَ لَكُمۡ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيۡرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَٰكِنۡ إِذَا دُعِيتُمۡ فَٱدۡخُلُواْ فَإِذَا طَعِمۡتُمۡ فَٱنتَشِرُواْ وَلَا مُسۡتَـٔۡنِسِينَ لِحَدِيثٍۚ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ يُؤۡذِي ٱلنَّبِيَّ فَيَسۡتَحۡيِۦ مِنكُمۡۖ وَٱللَّهُ لَا يَسۡتَحۡيِۦ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ وَإِذَا سَأَلۡتُمُوهُنَّ مَتَٰعٗا فَسۡـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٖۚ ذَٰلِكُمۡ أَطۡهَرُ لِقُلُوبِكُمۡ وَقُلُوبِهِنَّۚ وَمَا كَانَ لَكُمۡ أَن تُؤۡذُواْ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓاْ أَزۡوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦٓ أَبَدًاۚ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ٥٣﴾ [الأحزاب: 53]

وهو ما يبقى في البيت:

- ﴿لَّيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَن تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ مَسۡكُونَةٖ فِيهَا مَتَٰعٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ وَمَا تَكۡتُمُونَ ٢٩﴾ [النور: 29]

فصواع الملك المفقود هو من المتاع:

- ﴿قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأۡخُذَ إِلَّا مَن وَجَدۡنَا مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ إِنَّآ إِذٗا لَّظَٰلِمُونَ ٧٩﴾ [يوسف: 79]

والمتاع يشمل كذلك ما جاء في الآيات الكريمة التالية:

- ﴿وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٣﴾ وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَٰبًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِـُٔونَ ﴿٣٤﴾ وَزُخْرُفًا ۚ وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَٱلْـَٔاخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٣٥﴾﴾ [الزخرف: 33-35]

ويشمل ما جاء في الآية الكريمة التالية من الشهوات:

- ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴿١٤﴾﴾ [آل عمران: 14]

نتيجة مفتراة: المتاع هو كل مسلتزمات البيت التي تجلب لساكنيه المتعة والرفاهية. فالتمتع إذا يحصل في الدار.

- ﴿فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا۟ فِى دَارِكُمْ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ ۖ ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ ﴿٦٥﴾﴾ [هود: 65]
- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾﴾ [الأحزاب: 28]

السؤال: كيف إذا نفهم قوله تعالى بخصوص متاع المطلقات:

- ﴿وَلِلْمُطَلَّقَٰتِ مَتَٰعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٤١﴾﴾ [البقرة: 241]

رأينا المفترى: نحن نفتري الظن من عند أنفسنا بأنه من حقوق المرأة المطلقة على زوجها أن يمتعها، وذلك بأن يجهز لها بيتا فيه مستلزمات الحياة التي تجعل ذلك البيت مكانا للتمتع والرفاهية. لكن هذا المتاع يجب أن يكون بالمعروف. فكيف نفهم ذلك؟

رأينا المفترى: نحن نظن أن الأمر يكون بالمعروف، أي بما يتعارف عليه بين الناس في أي مجتمع من المجتمعات. فمستلزمات البيت العربي تختلف عن مستلزمات البيت الفرنسي أو الأمريكي، ومستلزمات البيت المدني تختلف عن مستلزمات البيت الريفي أو البدوي في البلد العربي، وهكذا. لذا، من حق كل مطلقة أن يوفر لها مطلقها بيتا لا يقل في تجهيزاته (أو لنقل متاعه) عن أي بيت آخر من بيئتها المحيطة.

نتيجة مفتراة: يصبح للمرأة الحقوق التالية:
1. ما فرض لها في عقد نكاحها أو ما نسميه جوازا بالمهر المؤجل
2. المتاع

وبالإضافة لذلك فالمرأة لها حق في صداقها مصداقا لقوله تعالى:

- ﴿وَءَاتُواْ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحۡلَةٗۚ فَإِن طِبۡنَ لَكُمۡ عَن شَيۡءٖ مِّنۡهُ نَفۡسٗا فَكُلُوهُ هَنِيٓـٔٗا مَّرِيٓـٔٗا ٤﴾ [النساء: 4]

لو دققنا في هذه الآية الكريمة، لوجدنا بأن صدقاتهن يجب أن تؤتي للنساء نحلة، كما يمكن أن يطبن لأزواجهن عن شيء منه شيئا، فلا مانع في ذلك، ويستطيع الرجل أن يأكله هنيئا مريا، لكن لو استعرضنا الآية الكريمة التالية:

- ﴿وَإِنۡ أَرَدتُّمُ ٱسۡتِبۡدَالَ زَوۡجٖ مَّكَانَ زَوۡجٖ وَءَاتَيۡتُمۡ إِحۡدَىٰهُنَّ قِنطَارٗا فَلَا تَأۡخُذُواْ مِنۡهُ شَيۡـًٔاۚ أَتَأۡخُذُونَهُۥ بُهۡتَٰنٗا وَإِثۡمٗا مُّبِينٗا ٢٠ وَكَيۡفَ تَأۡخُذُونَهُۥ وَقَدۡ أَفۡضَىٰ بَعۡضُكُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٖ وَأَخَذۡنَ مِنكُم مِّيثَٰقًا غَلِيظٗا ٢١﴾ [النساء: 20-21]

لوجدنا أن المنع واضح أن نأخذ منه شيئا. فما الفرق بين صدقاتهن التي يمكن أن نأخذ منه شيئا من جهة وما أتينا النساء الذي لا يجوز أن نأخذ منه شيئا؟

رأينا المفترى: لو دققنا في الآية الكريمة الأخيرة، لوجدنا أن هذا ينطبق على من أراد استبدال زوج مكان زوج، أي في حالة الانفصال التام بين الرجل وزوجته. ففي هذا الحالة لا يجوز أن نأخذ مما أتيناهن شيئا حتى لو بلغ مقدار قنطار.

السؤال: كيف نفهم ذلك إذن؟

رأينا المفترى الغريب جدا: نحن نظن بأن صدقاتهن هو ما يسمى بالمهر المعجل الذي يفرض للمرأة عند نكاحها، فهذا يجب أن يدفع على الفور (نحلة)، ويمكن للرجل أن يأكل منه إن طابت المرأة نفسا منه لزوجها. فعندما يفرض للمرأة صداقها (أي مهرها المعجل)، ويتم الزواج، فإنه يجوز للمرأة أن تطيب نفسها عن شيء منه لزوجها، ما داما يعيشان تحت سقف واحد. لكن في حالة استبدال زوج مكان زوج، فإن ما كتب للمرأة من مهر مؤجل، يصبح حقا مفروضا لا يحوز للرجل أن يأكل منه شيئا. لأن الأخذ منه يقع حينئذ في باب البهتان والإثم المبين.

تلخيص ما سبق: نحن نفتري الظن من عند أنفسنا بأن حقوق المرأة المفروضة على الرجل (ناكحها) ثلاثة حقوق، وهي:

1. صدقاتهن نحلة (مهر معجل) يمكن أن تطيب المرأة عن شيء منه نفسا لزوجها، ولا حرج في ذلك
2. ما فرض لها (مهرها المؤجل) ولا يجوز أن يأخذ منه الرجل شيئا
3. المتاع وهو تجهيز البيت للسكن بمستلزماته بعد حدوث الطلاق

السؤال الثاني:

متى يجب كتابة الوصية؟

رأينا المفترى: نحن نفتري القول من عند أنفسنا بأن الوصية يجب أن تكتب في حينها.

السؤال: وكيف ذلك؟

رأينا المفترى: لا شك أن الأب هو المسئول الأول عن تلبية حاجات أطفاله من المسكن والمأكل والملبس، ولا شك أن الآباء يفعلون ذلك بالقسط، فيستحيل أن نجد أبا ينفق على طعام أحد أبنائه أكثر من إنفاقه على طعام الآخرين أو على كسوتهم، فجميع أفراد العائلة يتشاركون في ذلك بالتساوي، كل حسب حاجته. كما لا نجد أن أحدا من الأبناء قد احتج على طعام إخوته أو كسوتهم. فهذه من مقومات الحياة الأساسية التي لا ينفرد بها فرد من أفراد العائلة دون الآخرين. لذا، ما دامت احتياجات أطفال العائلة جميعا متساوية، فلا داع أن يكتب الأب وصيته في ذلك.

لكن ما أن تبدأ مصاريف أفراد العائلة واحتياجاتهم تتفاوت، فهنا يجب أن يكون الأب حريصا على توثيق ذلك بالكتابة أولا بأول. فعلى سبيل المثال، إذا ما انهى أحد أفراد العائلة المرحلة المدرسية وانتقل إلى مرحلة جديدة في مقارعة أعباء الحياة، وكان ذلك يتطلب التزامات مالية جديدة، خاصة به دون أفراد الأسرة الآخرين، فعلى الأب أن يوثق بالتفصيل ما دفعه لهذا الولد على وجه التحديد حتى يتم دفع مثله على الأفراد الآخرين في قادم الأيام. فلو احتاج هذا الولد الأكبر مثلا مبلغا من المال (ولنقل ألفا أو ألفين أو ثلاثة أو مئة ألف أو مليونا)، وقام والده بإعطائه هذا المال، فيتوجب حينها على الأب أن يسجل ذلك دينا على هذا الولد على شكل وصية يكتبها الوالد بيده على علم أفراد الأسرة جميعا ليتم أخذها بعين الاعتبار لو حصل (لا قدر الله) مكروها للأب – كالوفاة- بعد ذلك. ويستمر هذا الأب في توثيق هذا الدين على كل من دفع له شيئا من ماله لم يدفع من مثله لكل أولاده.

السؤال الثالث:

كيف يكتب ذلك؟

رأينا المفترى: نحن نظن أن كتابته يجب أن تتسم بشرطين اثنين:

أولهما، أن يوثق ذلك في سجل (كراسة) خاص، يكون جميع أفراد الأسرة مطلعين عليه.

ثانيهما، أن يكتب القيمة الحقيقة للمبلغ المدفوع.

السؤال: لماذا يجب أن يكون كل أفراد عائلته على علم بكتابة لوصية؟

رأينا المفترى: عندما يقوم الأب مثلا بدفع شيء من ماله لأحد أبنائه يختلف عما دفعه للآخرين، أو عندما يقوم الأب بأخذ شيء من مال أحد أبنائه لم يأخذه من مثله من الآخرين، فإن على الجميع أن يكون على بينه، وذلك لأن الوصية (على غير الدين) لا تخضع لشرط وجود الشهود والتوثيق من قبل الكاتب

بالعدل. فالوالد هو من يخط وصيته بيده، لذا على الجميع أن يكونوا حاضرين عارفين بما خطت يد والدهم من حقوق وواجبات تجاه أحدهم سيتم أخذه لاحقا بعين الاعتبار عند وفاة الوالد وتقسيم التركة بينهم كل حسب نصيبه منها. وهذا لا شك يزيل عامل الريبة والشك عندهم جميعا، فيتم تقسيم التركة على بينة، فيأخذ كل منهم نصيبه منها عن طيب نفس، فلا يضيق ذرعت بما خطت يد والده لاحقا بعد وفاته.

السؤال الرابع:

لماذا يجب أن تكون الوصية بقيمة الذهب؟

افتراء من عند أنفسنا: عند كتابة الوالد الوصية على علم ورثته، فعليه أن يكتب المبالغ المستحقة على أبنائه أو مستحقة لبعضهم بالقيمة الحقيقية وليس بالقيمة الدارجة حينئذ.

السؤال: وكيف يكتب القيمة الحقيقة لذلك؟ فهل يزيد في المبلغ المدفوع أو ينقص منه؟

جواب مفترى: كلا وألف كلا. لكن عليه أن يسجل قيمة المال المدفوع الحقيقة وليس كقيمته الآنية حينئذ.

مثال: تخيل أن الآب قد أعطى أحد ابنائه ألف دينار لأحد ابنائه ولم يعطي مثلها للآخرين، فما الذي سيكتبه الآب في وصيته الخاصة بهذا الولد؟ هل يكتبها ألف دولار مثلا وكفى؟

السؤال مرة أخرى: كيف يسجل الآب قيمة الألف دولار الحقيقية؟ أليست هي ألف دولار وكفى؟

جواب مفترى: كلا وألف كلا. فلا شك أن القيمة السوقية للنقد تتناقص من توالي الأيام والسنين، فقيمة الألف دولار في عام 2000 ليست هي نفس قيمتها في عام 2030. فربما كانت الألف دينار في عام 2000 تشتري لعريس أثاثا كغرفة نوم كاملة مثلا، قد تحتاج لشرائها ذاتها 5000 الآلاف في عام 2030، وهكذا. فمعدل التضخم (انخفاض القيمة السوقية للنقد) في ازدياد مضطرد يوما بعد يوم. لذا، يجب أن يؤخذ هذا العامل في الحسبان عند تسجيل قيمة الدين على أفراد الأسرة في الوصية.

السؤال: وكيف يكون ذلك؟

رأينا المفترى: نحن نظن بأن التغلب على ظاهرة التضخم (انخفاض قيمة النقد السوقية مع الزمن) يمكن التغلب عليها بطريقة سهلة ميسرة.

السؤال: وكيف ذلك؟

رأينا المفترى الخطير جدا: نحن نظن أن ذلك يكون بتسجيل قيمة الدين (كالألف دولار مثلا) بالمادة التي لا تتأثر كثيرا بمعدلات التضخم، وتحافظ على القيمة السوقية للنقد.

السؤال: وما هي هذه الطريقة؟

جواب مفترى خطير جدا جدا: إنه الذهب. انتهى.

افتراء خطير جدا: نحن نظن أن الذهب هو العملة السوقية التي تحافظ على قيمتها مع تقلب الأيام والسنين، فصحيح أن غراما واحدا من الذهب كان ثمنه عشرة دولارات قبل عشرة أعوام، لكنه الآن بثلاثين دولارا. وما كنت تستطيع شراءه بعشرة غرامات حينئذ تشريه الآن بعشرة غرامات من الذهب أيضا. فالذهب هو المعدن النقدي الذي يحافظ على قيمته السوقية مهما تقدم الزمن.

السؤال: ما علاقة هذا بكتابة الوصية من قبل الأب؟

رأينا المفترى: عندما يدفع الأب لأحد أبنائه دون الآخرين مبلغ ألف دولار مثلا، فعليه أن يسجل هذا المبلغ بقيمته من الذهب في ذلك الوقت. فلنفترض جدلا بأن الألف دولار في الوقت الذي دفع فيه الأب المبلغ كان عبارة عن خمسين غراما من الذهب، وذلك لأن سعر الغرام من الذهب هو عشرين دولارا (20 X 50 = 1000) عندها يسجل الأب قيمة المبلغ بالذهب (أي خمسين غراما من الذهب). وفي وقت توزيع التركة، لا يطلب من الأبن الذي أخذ الألف دولار في قديم الزمان أن يدفع ألف دولار بعد عشرين أو ثلاثين عاما ألف دولار، ولكن عليه أن يدفع خمسين غراما من الذهب في حينه. فقد تكون القيمة السوقية لخمسين غراما من الذهب هي خمسة الآلاف دولار، على حساب أن سعر الغرام من الذهب حينئذ هو 100 دولار (50 X 100 = 5000)

ولو دقننا مليا في هذا الافتراء الخطير جدا الذي هو لا شك من عند أنفسنا، لربما وجدنا على الفور أنه يعلل لنا ظاهرة اجتماعية دينية نطبقها على أرض الواقع حتى دون أن ندرك ماهيتها، ألا وهي أن يفرض للمرأة المهر بمساغ ذهبي. ليكون السؤال الذي ربما تبادر لذهن البعض يوما هو: لماذا يكون المهر المؤجل عادة على شكل مساغ ذهبي؟

رأينا المفترى: نحن نظن بأن المهر المؤجل يجب أن يكون مصاغا ذهبيا لهذه الغاية، حتى لا يفقد المبلغ المالي قيمته السوقية. فلو كان مهر العروس مثلا ألف غرام من الذهب في عام 2018، فإنه سيبقى ألف غرام من الذهب في عام ألفين وخمسين. وستبقى قيمته السوقية هي ذاتها، فلا يُبخس المهر شيئا مع تقلب الأيام والأعوام.

لكن عندما غفل أهل العلم – برأينا- عن فقه هذا التشريع، عندها انجر كثير من العامة إلى تحريف هذا التشريع، فأخذ البعض منهم يكتب قيمة المهر بالعملة الدارجة. وكانت نتيجة هذا التحريف (ربما غير المقصود) كارثية على المرأة المنكوحة التي وجدت أن مهرها قد فقد قيمته مع توالي السنين والأعوام. فعلى سبيل المثال، كان المهر المؤجل لأمي في نهاية الخمسينيات من القرن الماضي لا يتجاوز مئة وخمسين دينارا أردنيا، وقد كان هذا المبلغ حينئذ مبلغا محترما لعروس مثل أمي ذات الأصول اللبنانية، وقد تجرأ أبي على دفع هذا المبلغ الكبير حينئذ لأن أمي لم تكن أقل جمالا من نانسي عجرم أو هيفاء وهبي على أقل تقدير الآن، ولكن بعد مضي ثلاثة أو أربعة عقود من الزمن انخفضت قيمة الدينار الأردني انخفاضا شديدا، لدرجة أن المئة والخمسين دينارا (وهو مهر أمي المؤجل) لم تعد تشري أكثر من خروف مستورد، فما عاد لهذا المبلغ قيمة كان من الممكن أن تستفيد منه أمي لو حصل الطلاق (يا ريت) بينهما بعد ثلاثة أو أربعة عقود من الزمن. وقد عرضت أنا شخصيا على والدي غير مرة أن أدفع لها المئة الخمسين دينارا ويطلقها، لكن

للأسف رفض أبي غرضي المغري جدا، وأصر على التمسك بها ربما لأنه كان لازال يراها بتلك العين التي رءاها بها يوم أن نكحها.

لكن تخيل عزيزي القارئ – إن شئت- لو أن مهر أمي قد تم تسجيله بقيمة الذهب حينئذ، أي ما يمكن شراءه بمئة وخمسين دينارا اردنيا من الذهب في نهاية خمسينيات القرن الماضي؟ فهل كنت سأتجرأ أنا (هذا الصعلوك) على أن أطلب من أبي أن يطلق أمي؟ كلا وألف كلا، وذلك لأن مهر أمي كان سيكون حوالي 150 غراما من الذهب، وذلك لأن سعر الغرام الواحد من الذهب في نهاية خمسينيات القرن الماضي عندما نكح أبي أمي لم يكن يتجاوز الدينار الواحد، وقد كان عرضي على أبي أن يطلق أمي سيكلفني (إن كنت فعلا جادا فيه) ما يقرب من عشرين ألف دينارا أردنيا.

السؤال: ألم يكن تسجيل قيمة المهر بالذهب سيخرس ألسنة النابحين من مثلي ويحفظ للمرأة حقها على مر الزمان؟! من يدري؟

السؤال الخامس:

ما علاقة هذا بالشيطان؟

جواب مفترى: هذا ما ستناوله بالتفصيل بحول الله وتوفيق منه في الجزء القادم من هذه المقالة إن أذن الله لنا بشيء من علمه فيها.

فالله وحده أسأل أن يعلمني، وأن يزيدني علما، وأن يهدين لأقرب من هذا رشدا. وأعوذ به وحده أن أكون ممن يفترون عليه الكذب أو ممن يقولون عليه ما ليس لهم بحق، وأعوذ به أن يكون أمري كأمر فرعون، إنه هو العليم الحكيم - آمين.

المدّكرون: رشيد سليم الجراح & علي محمود سالم الشرمان
بقلم د. رشيد الجراح
1 كانون ثاني 2019